

البيان في علوم القرآن

تأليف

المصنوع

السيد اسماعيل علي

مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين - القاهرة
جامعة الأزهر

الطبعة الثانية

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

* مطبعة الحسين الإسلامية *
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر
تليفون ٩١٩٧٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي
له . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ونشهد أن محمدا
عبده ورسوله أرسله بالهدى والحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون .

أما بعد ، ،

فكتاب الله تعالى أشرف ما صرفت إليه الهمم ، وأعظم ما جال
فيه فكر ومد به قلم ، لأنه منبع كل علم وحكمة ، ومريع كل هدى
ورحمة ، وهو أجل ما تنسك به المتسكون ، وأقوى ما تمسك به
المتمسكون ، من استمسك به فقد علقت يده بحبل متين ، ومن سلك
سبيله فقد سار على طريق قويم وهدى الى صراط مستقيم .

وقد أودع الله تعالى ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة
وأجناس البلاغة ، وأنواع الجزالة ، وفنون البيان وغوامض اللسان ،
وحسن الترتيب والتركيب ، وعجيب السرد وغريب الأسلوب ، وعذوبة
المساع وحسن البلاغ ، وبهجة الرونق وطلاوة المنطق ، ما أذهل عقول
العقلاء وأخرس السنة الفصحاء والبلغاء .

كما أودع سبحانه في القرآن الكريم أصول الدين ، ومعالَم الشريعة

وكرائم الأخلاق والأحكام ، وحقائق البعث والجزاء ، ودلائل الحق والصدق ، وأسرار الحياة والكون ، وسنن الاجتماع والاقتصاد ، وأخبار الأمم والدول ...

وبالجملة : فقد جعله الله تعالى - مع وجازة لفظه وحجمه - دستوراً جامعاً ومرجعاً شاملاً ، قال تعالى : « وازلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (١) .

ولقد أدرك المسلمون الأوائل عظم شأن القرآن الكريم وأهميته البالغة في تنظيم حياتهم ، وتقويم أخلاقهم ، وتهذيب سلوكهم . ومن ثم فقد اهتموا به اهتماماً كبيراً . وقام علماء الإسلام - عبر العصور - على إحاطته بكل أسباب الرعاية والعناية من جميع الجوانب ، وكان أبرز شيء من هذه الرعاية هو تفسير آياته للناس لعلهم يهتدون .

وظل اهتمام علماء الإسلام بدراسة القرآن طوال العصور التاريخية المتعاقبة مع تنوع هذه الدراسة ، من حيث تفسيره وبيان إعجازه تارة ، ومن حيث أحكامه ، وقراءاته وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومعانيه وإعرابه ، ومشكله ومجازه ، وجمعه وترتيب سورة وآياته تارة أخرى ، إلى غير ذلك من الدراسات المختلفة التي كانت تدور حول القرآن الكريم .

ولما كان المستشرقون والمبشرون قد دائبوا على أن يتلمسوا المطاعن في القرآن الكريم ، بكل ما أوتوا من قوة ، حقداً وحسداً لدين

(١) الآية ٨٩ من سورة النحل .

الإسلام ، وذهبوا يبحثون وينقبون فى بطون الكتب وأغوارها على أقوال تساعدهم على هذا الغرض الدنىء ، سواء كانت أقوالا حكاها أصحابها بصيغة التمرىض أو ردوها بالفعل ، ولكن هؤلاء الأفاكون حكوها على أنها مذهب صاحب الكتاب ، أو من حكى عنه ، ثم أنهم لا يترددون فى الاستدلال على مدعاهم بأسانىء ضعيفة مستقاة من بطون كتب التاريخ واللغة التى تحكى الغث والسمن ، كما أنهم يبترون النص بترا ، ويقطعون عن ظروفه وملابساته ، حتى يتفق مع مبدئهم الذى يسوقون النص لأجله ، وبذلك يشوهون الحقائق ويطمسون معالم الدين .

وقد وضعوا هذه الأباطىل والافتراءات فى كتب ينشرونها بين أبناء المسلمين ، ومنها : كتاب : « مذاهب التفسىر الإسلامى » (١) ، وكتاب : « تعليقات على القرآن » (٢) ، وكتاب : « أسرار عن القرآن » (٣) .

-
- (١) تألىف : جولد تسهىر . ترجمة الدكتور عبد الحلىم النجار ، طبعة السنة المحمدىة سنة ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م .
- (٢) سلسلة الهدىة ، العدد الرابع وطبع الكتاب بالنمسا ، والمؤلف خدام الرب « يقصد المبشرون من قساوسة النصارى » وهذا الكتاب مكون من قسمىن : القسم الأول يتناول تعليقات على بعض موضوعات علوم القرآن كالوحى ، والاعجاز ، والقراءات ، وجمع القرآن والناسخ والمنسوخ ، ونزول القرآن على سبعة أحرف وفى آخر هذا القسم موضوع بعنوان (أخطاء فى القرآن) فىدعون أن فى القرآن أخطاء لغوىة وتارىخىة وأسلوبىة الى غير ذلك .
- أما القسم الثانى من الكتاب فانه يتناول تعليقات على بعض آيات من سور القرآن سورة سورة من أول سورة الفاتحة وحتى سورة الناس .
- (٣) تألىف : جرجس سال ، وهاشم العربى وهو عبارة عن الجزء الثالث من مقالة فى الاسلام منشورات سلسلة الهدىة أيضا طبع النمسا ، وهو يحوى تقرىبا نفس الأباطىل التى اشتمل عليها الكتاب السابق ولكن بأسلوب مختلف . وانى أسأل الله تعالى أن يوفقنى لدراسة هذين الكتابىن والرد عليهما فى كتاب مستقل .

لذلك : فان كتاب : « البيان فى علوم القرآن » يتناول كثيرا من موضوعات علوم القرآن بالدراسة والتحليل حتى تكون على بصيرة بالقرآن الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولقد سلكت فى هذه الدراسة منهجا وسطا بين البسط والايجاز ، متحاشيا الحشو والتطويل ، مع السهولة فى الأسلوب ، والوضوح فى العبارة حتى تفى بالغرض المطلوب من أقرب طريق . ثم ذكرت بعض الشبه التى أثارها المششرقون ، وقمت بتفنيدها والرد عليها ، بما ينحى الأذى عن طريق عشاق الحق ، وطلاب الحقيقة ، ومريدى الإسلام ، ورواد البحث .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، كما أسأله سبحانه التوفيق والسداد ، وأن ينفع بعملى هذا كل طالب علم ، وصاحب دعوة ، وباحث عن الحق ، ومدافع عن ساحة القرآن إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف

أبو محمد

دكتور / السيد بن إسماعيل بن على

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

الفصل الأول

جمع القرآن الكريم

الجمع فى اللغة : معناه الاستقصاء والاحاطة بالشئ . تقول جمعت علم كذا أحتت بمسائله واستوعبته . وقال الراغب : الجمع ضم الشئ بتقريب بعضه من بعض ، يقال : جمعته فاجتمع ، وجمع القرآن : معناه استيعابه والإحاطة به ، وذلك ميسور حفظا وكتابة ، قال تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » (١) .

فكلمة الجمع بالنسبة للقرآن : تطلق تارة ويراد منها حفظه واستظهاره فى الصدور . وتطلق تارة أخرى ويراد منها كتابته كله فى الصحائف والسطور ، وقد وفر الله تعالى للقرآن الكريم هذا الجمع بنوعيه منذ أشرق نور القرآن على الأرض وبزغ فجر الاسلام يبعث ضياءه فى الأفاق ، وذلك تحقيقا لوعد الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٢) .

وإليك بيان هذا الجمع وقصته بنوعيه فى عصر النبى ﷺ وصحابته الكرام .

(١) الآية : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ من سورة القمر .

(٢) الآية : ٩ من سورة الحجر .

النوع الأول - جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور :

كان النبي ﷺ شديد الحرص على حفظ القرآن واستظهاره فور سماعه من جبريل عليه السلام ، وذلك ضرورة أنه - ﷺ - كان أميا لا يقرأ ولا يكتب بعثه الله تعالى في الأميين ، قال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » (١) وقال تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم تتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (٢) .

ومن شأن هذا الأمي أن يعول على حافظته فيما يهمه أمره ، ويعتنه استحضاره وجمعه ، خصوصا إذا أوتى من قوة الحفظ والاستظهار ما يسر له هذا الجمع والاستحضار .

لذلك كان ﷺ يحرك به لسانه في أشد حالات حرجه وشدته ، وهو يعانى ما يعانى من الوحى وسطوته قبل أن ينتهى منه جبريل ، استعجالا لحفظه وجمعه مخافة أن تفوته كلمة أو يفلت منه حرف ، وظل ﷺ على ذلك حتى نزل عليه قول الله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه » (٢) .

روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « أن رسول الله ﷺ كان يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك به شفتيه

(١) الآية ٤٨ من سورة العنكبوت .

(٢) الآية ٢ من سورة الجمعة .

(٣) الآيات ١٧ - ١٩ من سورة القيامة .

فأنزل الله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه »
 قال : جمعه لك فى صدرك وتقرأه « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » قال :
 فاستمع له وأنصت « ثم إن علينا بيانه » ثم إن علينا أن نقرأه ، فكان
 رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع له ، فإذا انطلق جبريل
 قرأه النبي ﷺ كما قرأه (١) ، وهذا تحقيق وعد الله تعالى : « سنقرئك
 فلا تنسى » (٢) .

ومن هنا كان النبي ﷺ أجمع الناس للقرآن فى قلبه ، وأحفظهم
 له ، وكان ﷺ مرجع المسلمين فيه ، يقرؤه على الناس على مكث ، كما
 أمره الله تعالى فى قوله : « وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث
 ونزلناه تنزيلاً » (٣) ، وكان جبريل يعارضه القرآن فى كل مرة ،
 وعارضه القرآن فى العام الأخير مرتين فى رمضان ، روى البخارى بسنده
 عن عائشة عن فاطمة رضى الله تعالى عنها ، قالت أسر الى النبي ﷺ
 « أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة ، وأنه عارضنى العام
 مرتين ولا أراه الا حضر أجلي » (٤) .

وكان ﷺ يبلغه الصحابة ، وهم كانوا يتسابقون فى أخذه عنه ،
 ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه ، وربما كان قرءة عين
 السيدة منهم أن يكون مهرها فى زواجها سورة من القرآن يعلمها اياها
 زوجها ، بل كانوا يؤثرون القيام به فى الليل على لذة النوم وراحة
 الابدان .

(١) راجع البخارى ، كتاب التفسير . باب « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » ،
 فتح البارى ٥٥٠/٨ .
 (٢) الآية ٦ من سورة الأعلى .
 (٣) الآية ١٠٦ من سورة الاسراء .
 (٤) راجع البخارى ، كتاب : فضائل القرآن ، باب (كان جبريل يعرض
 القرآن على النبي ﷺ) ، فتح البارى : ٦٥٩/٨ .

كانوا رضى الله تعالى عنهم يبذلون قصارى جهدهم لاستظهار القرآن وحفظه ، ويعلمونه أزواجهم وأولادهم فى البيوت ، حتى لقد كان الذى يمر ببيوت الصحابة فى غسق الدجى ، يسمع فيها دويبا كدوى النحل بالقرآن .

ولقد ساعد الصحابة على حفظ القرآن والعناية به أمور أهمها ماأتى :

١ - ما ورد عن النبى ﷺ من الأحاديث الكثيرة التى تدعوا الى حفظ القرآن وتحت على تعلمه والتى منها :

ما رواه البخارى بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (١) .

وروى البخارى ومسلم بسندهما عن أبى موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » (٢) .
وروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله

(١) الحديث : أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن ، باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) راجع فتح البارى ٦٩٢/٨ .
(٢) الحديث : أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن ، باب اثم من رآه بقراءة القرآن . فتح البارى : ٧١٨/٨ ورواه مسلم فى كتاب الصلاة ، باب فضيلة حافظ القرآن ، راجع صحيح مسلم بشرح النووي ٢٤٢/٣ .

ﷺ « الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتعتق فيه وهو عليه شاق له أجران » (١) .

وروى مسلم بسنده عن عقبة بن عامر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال : « أيكم يحب أن يغدو كل يوم الى بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير اثم ولا قطع رحم ؟ فقلنا : يارسول الله نحب ذلك . قال : أفلا يغدو أحدكم الى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع . ومن أعدداهن من الإبل » (٢) .

وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشرة أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » (٣) .

وروى الترمذى فى سننه عن عبد الله بن عروة عن النبى ﷺ قال : « يقال لصاحب القرآن اقرأ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك

-
- (١) الحديث : أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة ، باب (فضل الماهر بالقرآن ٢٤٤/٣ شرح النووى ورواه البخارى فى تفسير سورة عبس ، ، راجع فتح البارى ٥٦٠/٨ .
- (٢) راجع صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ، باب فضل قراءة القرآن ، ٢٥٣/٣ ، ورواه أبو داود فى الصلاة باب (فى ثواب قراءة القرآن ، ٧١/٢ الحديث : ١٤٥٦ .
- (٣) راجع : الترغيب والترهيب ٢٠٥/٢ ورياض الصالحين للنووى ص ٢٨٢ والحديث رواه الترمذى وقال عنه حسن صحيح .

عند آخر آية كنت تقرؤها» (١) .

٢ - أن القرآن الكريم مصدر التشريع الأول ، ولم تكن لدى الصحابة وسيلة لتسجيله ، فكان لابد من الاعتماد على الحفظ في الذاكرة وكان عامتهم أميين لا يقرعون ولا يكتبون ، لكن الله تعالى قد عوضهم عن أميتهم صفاء في القريحة ، ونشاطا في الذهن ، وسعة في الحفظ والفهم وذلك نتيجة لظروف العرب الطبيعية وما فيها من صفاء وسعة ، وقد اشتهروا بحفظ القصائد الطوال لمجرد سماعها مرة أو مرتين ، وكذا الانساب والوقائع وغيرها ، كل ذلك ساعدهم على حفظ القرآن بيسر وسهولة .

٣ - معرفة الصحابة أن القرآن سبب عزهم في الدنيا اذ به يسوسون الناس ، وسبب سعادتهم في الآخرة حيث يشفع لهم عند الله تعالى ، ويرفع درجاتهم ومراتبهم عنده ، فتسابقوا الى حفظه وتنافسوا في تطبيقه والعمل به .

٤ - مافى القرآن الكريم من الخصائص البلاغية ، والمزايا البيانية التي بلغت حد الإعجاز ، وقد كانوا عريا خلصا تستهويهم البلاغة والبيان فكانوا يجدون في القرآن متعة نفسية وروحية تدفعهم الى الاكثار من قراءته وتكراره .

٥ - أن الصحابة رضی الله تعالى عنهم كانوا قانعين بضروريات الحياة ، والانسان اذا كان بعيدا عن الشواغل كان أقدر على الحفظ ،

(١) الحديث أخرجه أبو داود والترمذی وقال عنه حسن صحيح . راجع رياض الصالحين للنووي ص ٢٨٢ .

وكان حفظه أقرب للثبات ، وهذا ما تمتع به صحابة رسول الله ﷺ لأنهم كانوا بعيدين عن حياة الترف المرهقة للفكر والصارفة عن الاستقرار .

٦ - ارتباط القرآن الكريم بحياة الصحابة اليومية ، ووروده على حسب ما يحدث من الوقائع المتجددة ، وعلى حسب ما يكون منهم من استفسارات وأسئلة ، وبذلك يتمكن القرآن في النفوس أيما تمكن ، ولعل هذه هي الحكمة التي اقتضت نزول القرآن منجماً مفرقاً في أكثر من عشرين سنة . قال تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » (١) .

٧ - آيات الترغيب والترهيب التي اشتمل عليها القرآن الكريم ، وغريزة الانسان تدفعه لتحقيق الخير لنفسه ودفع المساءة عنها . قال تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور » (٢) .

وقوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى - قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (٣) .

٨ - ومن الأسباب الهامة أيضاً التي ساعدت على حفظ القرآن في

(١) الآية ٣٢ ، ٣٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٢٩ ، ٣٠ من سورة فاطر .

(٣) الآيات ١٢٤ ، ١٢٦ من سورة طه .

صدور الصحابة - وحتى اليوم - وعملت على تثبيته في قلوبهم ،
التعبد بتلاوته في الصلاة وخارجها .

تلك هي بعض الأسباب التي دفعت الصحابة للاقبال على القرآن
الكريم تلاوة وحفظا وجعلتهم يعتنون به ويتقربون به الى الله تعالى في
صلواتهم وتهجدهم وتعلمهم وتعليمهم ، وكان رسول الله ﷺ يزكى فيهم
روح هذه العناية بالقرآن ، يبلغهم ما أنزل اليه من ربه ، ويبعث الى من
كان بعيد الدار من يعلمهم ويقرئهم ، كما بعث مصعب بن عمير وابن أم
مكتوم الى أهل المدينة قبل هجرته يعلمونهم الاسلام وقرئونهم القرآن ،
وكما أرسل معاذ بن جبل الى أهل مكة بعد فتحها للتخفيف والاقراء ،
وكما أرسل أبا موسى الأشعري الى أهل اليمن ، وكما أرسل القراء الى
بئر معونة ، بل قد عين ﷺ جماعة لتعليم الصحابة القرآن في مسجده
الشريف وذلك ما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : خذوا القرآن من أربعة ، من ابن أم عبد - يعنى
عبد الله بن مسعود فبدأ به ، ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب ، وسالم مولى
أبى حذيفة ، وفي رواية أخرى عنه : « استقرئوا القرآن من أربعة : من
ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل » (١) .

هؤلاء هم القراء الذين عينهم رسول الله ﷺ لآخذ القرآن عنهم ، وكان
يسمع - بضم الياء - لمسجد رسو الله ﷺ ضجة بالقرآن ، فكان يأمرهم
رسول الله ﷺ بخفض أصواتهم لئلا يتغالطوا ، قال عبادة بن الصامت

(١) راجع صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، كتاب فضائل القرآن ،
باب (القراء من أصحاب النبي ﷺ ٦٦٣/٨) .

رضى الله تعالى عنه : « كان الرجل اذا هاجر دفعه النبي ﷺ الى رجل منا يعلمه القرآن ، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا » (١) .

حفاظ القرآن من أصحاب النبي ﷺ

للأسباب التي ذكرناها وغيرها كان حفاظ القرآن الكريم فى حياة النبي ﷺ جما غفيرا ، منهم الخلفاء الأربعة ، وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم مولى أبى حذيفة وأبو هريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبد الله ابن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة ، وهؤلاء كلهم من المهاجرين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

وحفظه من الأنصار فى حياته ﷺ أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء ومجمع بن حارثة وأنس بن مالك وأبو زيد قيس بن السكن وغيرهم .

وقال العيني : ان القراء من أصحاب النبي ﷺ كثير عددهم ، ومن ذكرهم عبادة بن الصامت وأبا أيوب خالد بن زيد ، وقيس ابن أبى صعصعة البدرى ، وقيس بن السكن ، وأم ورقة بنت نوفل وقيل : بنت عبد الله بن الحارث ، قال عنها ابن سعد أن الرسول ﷺ كان يزورها ويسمياها الشهيدة ، وأمرها أن تؤم أهل دارها ، وكان لها مؤذن وقد جمعت القرآن .

(١) راجع مناهل العرفان للزرقانى ٢٤١/١ .

ثم قال - بعد أن عد بعضهم - وقد ظهر من هذا أن الذين جمعوا القرآن على عهد ﷺ لا يحصيهم أحد ولا يضبطهم عدد .
هذا وقد أورد البخارى فى صحيحه ثلاث روايات تشتمل على سبعة من الحفاظ للقرآن الكريم وهم : عبد الله بن مسعود ، وسالم ابن معقل مولى أبى حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد بن السكن ، وأبو الدرداء .

فالرواية الأولى أخرجها بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبى بن كعب » (١) .

والثانية أخرجها بسنده عن قتادة قال : « سألت أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : من جمع القرآن على عهد النبى ﷺ ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد ابن ثابت ، وأبو زيد » (٢) .

والثالثة أخرجها بسنده عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : « مات النبى ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال ونحن ورثناه » (٣) .

وأبو زيد المذكور فى هذه الروايات جاء بيانه فيما نقله ابن حجر بأسناد على شرط البخارى عن أنس : أن أبا زيد الذى جمع القرآن اسمه :

(١) الحديث : سبق تخريجه ص ١٢ .
(٢،٣) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن باب (القراء من أصحاب النبى ﷺ ٨٠ / ٦٦٢ ، ٦٦٤) .

قيس بن السكن ، قال : وكان رجلا من بنى عدى بن النجار أحد عمومتى ومات ولم يدع عقبيا ، ونحن ورثناه (١) .

السوق الثانى - جمع القرآن بمعنى كتابته فى السطور :

لقد حظى القرآن الكريم بأوفى نصيب من العناية من النبى ﷺ وصحابته الكرام ، فلم تصرفهم العناية بحفظه واستظهاره فى صدورهم عن العناية بكتابته ونقشه ، ولكن بمقدار ما سمحت لهم الظروف من وسائل الكتابة وأدواتها .

ومن هنا فقد مر جمع القرآن بمعنى كتابته فى هذا العصر الشريف بمراحل ثلاث : المرحلة الاولى فى عهد النبى ﷺ ، والثانية فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، والثالثة فى عهد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، واليهك بيان هذا الجمع فى مراجله الثلاث :

أولا - جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ :

كان النبى ﷺ ينزل عليه القرآن شيئا فشيئا الآية وجزءها ، والآيتان والأكثر ، والسورة وبعضها ، وكان ﷺ كلما نزل عليه شىء من القرآن يادرسه بتبليغه لأصحابه ، وكان يجمع كل ما يكتب بين يديه فى بيته ، حتى جمع القرآن كله مكتوبا فى حضرته وبأمر منه ﷺ - وتحت رعايته ، وذلك على ترتيب الآيات فى سورها . وقد قام بهذه المهمة بعض فضلاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم - الذين عرفوا بكتاب الوحي .

(١) راجع الاصابة فى تمييز الصحابة ٢٨/٢ وراجع فتح البارى ٧/١٦٠

كتاب الوحي

لقد اتخذ الرسول ﷺ كتابا للوحي من فضلاء الصحابة يكتبون له ما ينزل من القرآن ، ضرورة أنه نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فكتب له ﷺ بمكة الخلفاء الأربعة ، والزبير بن العوام ، وسعيد بن العاص ، وابناه خالد وأبان ، وعبد الله بن الأرقم وغيرهم .

وأول من كتب له بالمدينة أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وحنظلة ابن الربيع الأسدي ، ومعيقب بن أبي فاطمة الدوسي ، وشرحبيل ابن حسنة ، وعبد الله بن رواحة ، وثابت بن قيس ، وأبو سفيان بن حرب وابناه معاوية ويزيد ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعامر بن فهيرة والعلاء بن الحضرمي ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وحذيفة بن اليمان ، وحويطب بن عبد العزى وغيرهم .

وقد أحصى العلماء كتاب الوحي بين يدي النبي ﷺ بثلاثة وأربعين كتابا كان ألزمهم للنبي ﷺ وأكثرهم كتابة له زيد بن ثابت ، وعلى ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين (١) .

ومن الأدلة على أن القرآن الكريم كتب بين يدي النبي ﷺ ، وأنه كان هناك كتابا للوحي ما رواه الامام مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه » (٢) .

(١) راجع فتح الباري لابن حجر ٦٣٩/٨ ، ومناهل العرفان : ٢٤٦/١ .
 (٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد ، باب (الثبت في الحديث وحكم كتابه العلم) ٢٢٩٨/٤ الحديث ٣٠٠٤ .

وما رواه البخارى بسنده عن زيد بن ثابت قال : « أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة .. الى أن قال زيد : قال أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ (١) . »

وما رواه الامام أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن عباس عن عثمان قال : « كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشئ يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا » .

وأخرج الامام أحمد والترمذى - وقال عنه حديث حسن غريب - والحاكم - وقال عنه : صحيح على شرط الشيخين وصححه الذهبى - عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال : « كنا عند رسول الله ﷺ - نؤلف القرآن من الرقاع » الحديث قال البيهقى : يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الايات المفرقة فى سورها وجمعها بأشارة من النبى ﷺ (٢) .

وأخرج البخارى بسنده عن سهل بن سعد الساعدى أنه رأى مروان ابن الحكم فى المسجد ، فأقبلت حتى جلست الى جنبه ، فأخبرنا أن زيد ابن ثابت أخبره « أن رسول الله ﷺ أملى عليه (لا يستوى القاعدون

(١) الحديث : أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن ، باب (جمع القرآن) فتح البارى ، ٦٢٧/٨ .
(٢) راجع الاتقان : ٧٦/١ .

من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله (فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها على ... » (١) .

وروى البخارى أيضا من طريق شعبة عن البراء رضى الله تعالى عنه قال : « لما نزلت (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) دعا رسول الله ﷺ زيادا فكتبها » (٢) .

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن القرآن قد كتب بين يدي النبي ﷺ وبأمره ، وما أنزل شيء من القرآن آية أو سورة إلا وضع موضعه بتوقيفه واعلام الصحابة بذلك .

طريقة الكتابة وأدواتها

من خلال النصوص السابقة يتبين لنا أن جمع القرآن وطريقة كتابته كان بتوقيف من النبي ﷺ وبأمر الله تعالى له ، وأنه مرتب الآيات فى سورها كما نراه بالمصاحف التى بين أيدينا اليوم ، وقد أجمعت الأمة على ذلك .

قال القاضى أبو بكر أن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ - ترتيب أى كل سورة وموضعها وعرفت موقعها .

وقال أبو جعفر بن الزبير فى (مناسباته) : ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه ﷺ من غير خلاف فى هذا بين المسلمين ، وقال ابن

(٢٠١) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب التفسير ، باب (لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله) ١٠٨/٨ الحديث ٤٥٩٢ ، ٤٥٩٣ .

الحصار : ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها انما كان بالوحي ،
كان رسول الله ﷺ يقول ضعوا آية كذا فى موضع كذا . وقد
حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله
ﷺ ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا بالمصحف (١) .

وأما عن أدوات الكتابة فكانت كما جاء فى صحيح البخارى بسنده
عن زيد بن ثابت قال : (فتنبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف)
وما رواه الترمذى وغيره عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال :
(كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاق) وفى رواية أخرى :
وقطع الأديم . وفى أخرى : والأكتاف ، وفى أخرى : والأضلاع ، وفى
أخرى : والأقتاب (٢) .

هذه هى الأدوات التى كانوا يكتبون عليها القرآن فى العهد النبوى
وكان هذا هو المتيسر لهم آنذاك ، لأن صناعة الورق لم تكن مشهورة عند
العرب ، فكانوا يكتبون على ما يقع تحت أيديهم مما يصلح للكتابة .
أما الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - فقد كانوا يكتبون لأنفسهم
أيضا فيما تيسر لهم من قرطاس أو كتف ، أو نحو ذلك بالمقدار الذى يبلغ

(١ ، ٢) راجع الاتقان : ٧٦/١ . والعسب : جمع عسيب وهو جريد
النخل . كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض
واللخاف : جمع لخفة ، وهى الحجارة الرقاق ، وقال
الخطابى صفائح الحجارة . والرقاع : جمع رقعة وقد تكون
من جلد أو ورق . والأكتاف : جمع كتف ، وهو عظم البعير
أو الشاة . والأقتاب : جمع قتب ، وهو الخشب الذى يوضع
على البعير ليتركب عليه .

الواحد منهم عن رسول الله ﷺ ، ولم يلتزموا توالى السور وترتيبها ضرورة أنهم كانوا يخرجون فى الغزوات للجهاد فربما ينزل فى غياب أحدهم شىء من القرآن ، فيفوته حفظه وكتابته ، ويتشاغل بما نزل بعده وهكذا . ومن هنا جاءت مصاحف الصحابة مختلفة فى الترتيب والزيادة والنقصان - كما سنعرض له فيما بعد - ومنهم من كان يرتب مصحفه على ترتيب النزول .

وقد كان بعض الصحابة يعتمد على حفظه فلا يكتب جريا على عادة العرب فى حفظ أنسابها ، واستظهار مفاخرها وأشعارها من غير كتابة .
وخلاصة القول : أن القرآن كان مكتوبا كله على عهد رسول الله ﷺ وكانت كتابته ملحوظا فيها أن تشمل الأحرف السبعة التى نزل عليها ، غير أن بعض الصحابة كان قد كتب بعض منسوخ التلاوة ، وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد ، ربما كتبه غير مرتب ، ولم يكن القرآن على ذلك العهد مجموعا فى صحف ولا مصاحف عامة .

الباعث على كتابة القرآن فى العهد النبوى

كان الباعث على كتابة القرآن فى عهد النبى ﷺ هو زيادة التوثق له بالمحافظة عليه من طريقين : الأول ، طريق حفظه فى الصدور ، والثانى طريق كتابته فى السطور . حيث أن القرآن هو النص الالهى الخالد ، المعجز بلفظه ونظمه ، ولا يمكن أن تقوم عبارة أخرى مقام عبارته ، لذلك كان جديرا بأبلغ ما يمكن من الاحتياط فى ضبط ألفاظه وصيانتها من التغيير والتبديل ولا يتحقق هذا الا بالحفظ والكتابة معا ، فان الكتابة تعاضد الحفظ وتظاهره .

وقد ظهرت فائدة هذه الكتابة بعد وفاة النبي ﷺ حين كتب الصحابة الصحف والمصاحف حيث اعتمدوا عليها في الكتابة ، فكان لديهم مصدران لجمع القرآن هما : الحفظ في الصدور ، والكتابة من السطور ، وبذلك يكون القرآن موصول السند بالنبي ﷺ حفظا وكتابة .

لماذا لم يجمع القرآن في العهد النبوي في مصحف واحد ؟

لم يلحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى الا وقد كتب القرآن كله وجمعه في بيته مرتب الآيات في سورها ، ولكن لم يكن مجموعا في مصحف واحد للأسباب الآتية :

أولا : أن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة ، وإنما نزل مفرقا على أكثر من عشرين عاما ، ولا يتأتى جمعه وهو لا يزال ينزل ، اذ لو نزلت آية - وهو مجموع في صحيفة - لا تجد لها موضعا . من هنا كانت الحاجة ماسة لترك القرآن مفرقا لما ينزل من آيات .

ثانيا : أن القرآن كان ينزل على حسب الدواعي ، وكان بعضه ينسخ في أوقات مختلفة ، فلو كتب ما ينزل أولا بأول في صحيفة واحدة على التدرج ، ثم احتيج الى رفع المنسوخ لأدى ذلك الى حرج شديد لعدم توافر أدوات الكتابة . اذ الذي نسخ لابد له أن يرفع ويحل محله ما نسخه ، لانه لو لم يرفع لأدى الى الالتباس والاختلاط وعدم معرفة الناسخ من المنسوخ .

اذن كانت كتابة القرآن على تلك الرقاع على نحو ما تقدم كان ضرورة في ذلك الوقت ، لانه يسهل المهمة ويعين عليها ، فاذا نسخ شيء

من القرآن فما على النبي ﷺ الا أن يأمر برفع الرقعة التي كتب عليها المنسوخ وتستبعد ، ثم توضع الرقعة التي كتب عليها القرآن الناسخ في مكانها ، وهذا العمل سهل وميسور ولا مشقة فيه على الاطلاق . قال الزركشى : « وانما لم يكتب - القرآن - في عهد النبي ﷺ في مصحف ، لئلا يفضى الى تغييره كل وقت ، فلهذا تأخرت كتابته - أى فى مصحف واحد - الى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ ، فكتب أبو بكر والصحابة بعده » . وقال أيضا : « وانما ترك جمعه - أى القرآن - فى مصحف واحد ، لأن النسخ كان يرد على بعضه فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه لادى الى الاختلاف واختلاط الدين ، فحفظه الله فى القلوب الى انقضاء زمن النسخ . ثم وفق الله لجمعه الخلفاء الراشدين » (١) .

ثالثا : أنه لم يوجد من دواعى كتابته فى مصحف واحد مثل ما وجد فى عهد أبى بكر رضى الله تعالى عنه - حين خاف ذهاب شيء من القرآن بموت حفظته - حتى كتبه فى صحف ، ولا مثل ما وجد فى عهد عثمان رضى الله تعالى عنه - حين خاف اختلاف الناس فى القرآن - حتى نسخه فى مصاحف .

فالوحى مازال ينزل والرسول ﷺ يعلمهم القرآن ويذكرهم به ، والصحابة يحفظونه ويتدارسونه ، والقراء كثيرون ، والاسلام لم يستبحر عمرانه بعد ، والفتنة مأمونة . كما أن التعويل فى هذا العصر كان على الحفظ اكثر من الكتابة .

فلما انتقل الرسول ﷺ الى ربه وفق الله الخلفاء الراشدين الى جمعه والمحافظة عليه وفاء لوعده بضمان حفظه على هذه الامة المحمدية . قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (١) ، وكان كما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير .

ثانيا : جمع القرآن في عهد أبي بكر رضى الله عنه

القت الخلافة قيادها الى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بعد وفاة النبي ﷺ ، وواجهت أبا بكر مشاكل عظام ، وأحداث جسام ، منها موقعة اليمامة والتي وقعت بعد وفاة النبي ﷺ بعام واحد ، وكانت مع مسيلمة الكذاب ، وكانت معركة حامية الوطيس ، حيث استشهد فيها كثير من قراء الصحابة وحفظتهم للقرآن الكريم بلغ عددهم سبعين ، وأنهاه ابن كثير وغيره الى خمسمائة من أجهم سالم مولى أبي حذيفة رضى الله تعالى عنهم أجمعين . وقال ابن حجر فى الفتح : وقتل فى غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة قبل سيمائة ، وقيل أكثر (٢) .

ولقد هال هذا الأمر المسلمين ، وعز على عمر بن الخطاب ، فدخل على أبي بكر وأخبره الخبر ، واقترح عليه أن يجمع القرآن خشية ضياعه بموت الحفاظ وقتل القراء فى المعارك الجريية ، فتردد أبو بكر أول الأمر ، لأنه كان وقافا عند حدود ما كان عليه الرسول ﷺ خشية أن يجره التجديد الى التبديل ، والوقوع فى مهاوى الخروج والابتداع .

(١) الآية : ٩ من سورة الحجر :

(٢) راجع فقه الباري : ٦٣٨/٨ :

لكنه ، بعد مفاوضة عمر اياه ، سرعان ما تجلى له وجه الحق ، واقتنع بصواب الفكرة . وشرح الله صدره لها ، لأنها من أعظم الوسائل النافعة لحفظ الكتاب العزيز ، والمحافظة عليه من الضياع والتحريف ، وأن ذلك ليس من محدثات الأمور ، ولا من البدع الخارجة عن حدود الدين ، بل هو مستمد من القواعد التي وضعها الرسول ﷺ في كتابة القرآن واتخاذها كتابا للوحى ، وجمعه مكتوبا في بيته الى أن مات ﷺ ، وإن كان مفرقا في الأكتاف والرقاع والعصب - بضم العين والسين - والمخاف .

قال المحاسبى فى كتاب فهم السنن : « كتابة القرآن ليست بمحدثة ، فانه ﷺ كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقا فى الرقاع والأكتاف والعصب ، وانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعا ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرا ، فجمعها وربطها بخيط ، حتى لا يضيع منها شىء (١) . »

تنفيذ أبى بكر لفكرة الجمع ومنهجه فى ذلك

اهتم أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - بتحقيق هذه الفكرة ، ورأى بنور الله تعالى أن يندب للقيام بها رجل من خيرة الصحابة هو : زيد بن ثابت الأنصارى رضى الله تعالى عنه ، لأنه اجتمع فيه من المميزات ما لم يجتمع فى غيره ، إذ كان من حفاظ القرآن ، ومن كتاب الوحى لرسول الله ﷺ وشهد العرضة الأخيرة للقرآن فى ختام حياة النبى ﷺ ، وكان

(١) راجع : الاتقان فى علوم القرآن : ٧٨/١ .

فوق ذلك شابا معروفا بخصوبة العقل ، وشدة الورع ، وعظم الامانة ، والاستقامة فى الدين .

فاستدعاه أبو بكر وندبه للقيام بهذا العمل ، ولكن زيادا كان مترددا أول الامر ، فمزال أبو بكر يعالج شكوكه ، ويبين له وجه المصلحة ، حتى اطمأن واقتنع بصواب تلك الفكرة ، وشرع يجمع القرآن تحت اشراف أبى بكر ومعاونة عمر وعثمان وأبى بن كعب رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

روى البخارى بسنده عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : « أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر بن الخطاب عنده . قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : إن عمر اتانى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ، فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . فنتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الانصارى لم أجدها مع أحد غيره » لقد جاعكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ... حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه « (١) .

(١) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن ، باب (جمع القرآن) ٦٢٧/٨ .

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على عدة أمور أهمها :

١ - مدى اهتمام كبار الصحابة بالمحافظة على القرآن والعناية به ،
وخوفهم من ضياع شيء منه بموت الحفاظ إذا اشتد القتل بهم في ميادين
الجهاد ، فكانت مشورة عمر ، وفعل أبي بكر من باب النصيحة لله ولكتابه
ولائمة المسلمين وعامتهم .

٢ - يدل الحديث على أن أول من جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ
هو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ولكون هذا العمل قد حفظ على
الامة دينها متمثلا ذلك في حفظ كتابها ، فان ذلك يعد من أعظم مناقب
أبي بكر تذكر له بالفخر على مدى الدهر ، وقد أثنى علي بن أبي طالب
رضي الله تعالى عنه على أبي بكر بهذا العمل ، حيث أخرج ابن أبي داود
بسند عن عبد خير يقول : « سمعت عليا يقول : أعظم الناس في
المصاحف اجرا أبو بكر رحمة الله على أبي بكر ، هو أول من جمع كتاب
الله » (١) .

٣ - يدل الحديث كذلك على مدى ورع الصحابة - رضي الله تعالى
عنهم - وتوقفهم عند حدود سنة رسول الله ﷺ وعدم تهجمهم على شيء
حتى يستبين لهم فيه وجه الحق والصواب ، نلمح ذلك في قول الصديق
لعمر : « كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ، وقول زيد كذلك لأبي

(١) راجع فتح الباري لابن حجر : ٦٢٩/٨ ، والاتقان في علوم القرآن

بكر ، وقال أيضا : « فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن » .

٤ - كفاءة زيد بن ثابت لهذا العمل الجليل ، وبعد نظر الصديق فى اختياره له ، ووضعه الرجل المناسب فى المكان المناسب ، وقد ذكر لزيد من المزايا ما تجعله جديرا بذلك وهى :

(أ) كونه شابا ، فيكون ذلك أنشط للقيام بهذه المهمة الضخمة التى تحتاج الى عمل شاق وصبر وجلد ، ولا يقوى على ذلك إلا الشباب .
(ب) كونه عاقلا : فيكون أوعى لعمله ، فلا يقع فيه خلل أو نقص .

(ج) كونه غير متهم ، فتركن النفس الى عمله ، ولا تحوم حوله الشبهات ، ولا يلتبس بأدنى ريبة أو شك .

(د) كونه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، ولاشك أن الخبرة والممارسة أدعى لاخراج عمل متقن ، وتجعله سهلا ميسورا .

هذا مع ما قدمناه من كون زيد كان أكثر الصحابة كتابة للوحي ، وقد حضر العرضة الأخيرة للقرآن على النبي ﷺ من جبريل ، وكتبها للنبي عليه الصلاة والسلام ، وكان فى بيته يؤلف القرآن من الرقاع ، أى يرتب الآيات فى سورها بتوقيف من النبي ﷺ . زد على ذلك ما كان يتصف به زيد من صفاء الذهن وحدة الذكاء ، فقد ورد أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم السريانية فتعلمها فى سبعة عشر يوما (١) .

(١) أنظر الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر : ٦١/١ طبعة بيروت .

وهذه الصفات قد توجد فى بعض الصحابة ولكنها لم توجد
مجتمعة الا فى زيد بن ثابت لذا كان - كما رأى الصديق - خير
من يعهد اليه بهذا العمل العظيم الشأن الجليل الخطر .

منهج أبى بكر فى جمع القرآن

كون أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - لجنة لجمع
القرآن برئاسة زيد بن ثابت ، وعضوية جمع من خيرة فضلاء
الصحابة فيهم عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وأبى بن
كعب ، وأمرهم أن يستعينوا بمن أرادوا عند الحاجة .

ولقد انتهج زيد بن ثابت فى جمع القرآن طريقة دقيقة محكمة
وضعها له أبو بكر رضى الله تعالى عنه فيها ضمان الحيطه لكتاب الله
تعالى بما يليق به من تثبت بالغ وحذر دقيق ، وتحريات شاملة ،
فلم يكتف بما حفظ فى قلبه من القرآن ، ولا بما كتب بيده بين يدي
رسول الله ﷺ ، ولا بما سمعه منه بأذنه . بل جعل يتتبع ويستقصى
أخذا على نفسه أن يعتمد فى جمعه على مصدرين اثنين : أحدهما :
ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ . الثانى : ما كان محفوظا فى صدور
الرجال ، وبلغ من مبالغته فى الحيطه والحذر أنه لم يقبل شيئا
من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ .

ومما يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبى داود بسنده عن هشام
ابن عروة عن أبيه أن أبى بكر قال لعمر ولزيد : « اقعدا على
باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه »
قال ابن حجر : رجاله ثقات مع انقطاعه (١) .

(١) راجع فتح البارى : ٦٣١/٨ ، والاتقان فى علوم القرآن ٧٧/١ .

وأخرج ابن أبي داود أيضا من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : « قام عمر فقال : من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والألواح والعسب ، قال : وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان » (١) .

قال ابن حجر : وهذا يدل على أن زيادا كان لا يكتفى بمجرده وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سمعا ، مع كون زيد كان يحفظه ، وكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط . . . والمراد بالشاهدين الحفظ والكتابة (٢) .

نعم لقد التزم زيد بن ثابت بهذا المنهج ، وكتب ما أجمع عليه الجميع ، وتواترت روايته ، واقتصر على ما لم تنسخ تلاوته ، ووجد مكتوبا بين يدى رسول الله ﷺ . قال ابن حجر : وكان غرضهم أن لا يكتب الا من عين ما كتب بين يدى النبى ﷺ لا من مجرد الحفظ ، ولذلك قال فى آخر سورة التوبة لم أجد لها مكتوبة مع غيره ، لأنه كان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة .

فقد كان زيد يطلب التثبت ممن كتبها عن النبى ﷺ ، وليس المراد لم أجدها محفوظة ، لأنها كانت مع جمع يحصل بهم التواتر ، ولقد اتبع بذلك أدق طريقة فى التحقيق العلمى قد عرفت فى العصر الحديث ، حيث أخذ المروى عن الرسول ﷺ محفوظا ومكتوبا .

ومما يدل على دقته واحتياطه فى جمع القرآن ، ما أخرجه بن أشته فى كتاب (المصاحف) عن الليث بن سعد رضى الله تعالى عنه قال : « أول من جمع القرآن أبو بكر ، وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت ، فكان لا يكتب آية الا بشاهدى عدل ، وإن آخر سورة براءة لم

ثوجد الا مع ابي خزيمة ، فقال اكتبوها فان رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب ، وأن عمر أتى بأية الرجم ، فلم يكتبها ،
لانه كان وحده « (١) » .

كتب زيد آخر سورة براءة التي جاء بها أبو خزيمة وحده ،
لما تقدم من جعل الرسول ﷺ شهادته بشهادة رجلين ، فضلا عن
كونهم كانوا يحفظون هاتين الآيتين .

قال ابن حجر : ان أبا خزيمة لم ينفرد بها ، بل كان معه عمر
ابن الخطاب وزيد بن ثابت ، وعثمان بن عفان ، وأبي بن كعب -
وذكر في هذا المقام ثلاث روايات عن أبي داود ، ورواية عن ابن التين
عن الداودي - قال : لم ينفرد بها أبو خزيمة ، بل شاركه زيد بن
ثابت ، فعلى هذا تثبت برجلين « . وقال : « ان خزيمة بن ثابت قال :
تلقيت من رسول الله ﷺ (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الى آخر
السورة ، فقال عثمان : وأنا أشهد « وقال : « ان أبي بن كعب قال
أقراني رسول الله ﷺ : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الى آخر
السورة (٢) » .

وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على كتابتهما في المصحف ،
ولا يمكن أن يكون مستندهم فيه رواية واحد فقط فان الدواعي قد
توافرت على نقله لاختصاصه بمزايا تحمل على ذلك هي : اعجازه ،
والتعبد بتلاوته ، وكونه أصل الشريعة الاسلامية .

فأذن لا بد أن يكون تبليغ النبي ﷺ هاتين الآيتين قد وقع لجماعة
كبيرة ، واثباتهم لهما في المصحف لا بد أن يكون قد استند الى رواية
جماعة كبيرة كذلك . وهكذا تم جمع القرآن على هذا المنهج الرشيد

(١) أنظر الاتقان في علوم القرآن : ٧٨/١ .
(٢) راجع هذه الروايات في فتح الباري لابن حجر : ٦٣٣/٨ مع تصرف
في الأسلوب .

البالغ الغاية فى الحيلة والحذر ، واتباع أدق الطرق العلمية فى البحث والتحرى وأصول التثبت العلمى ، الأمر الذى لم يشهد التاريخ له نظير الى اليوم ، حيث أخذ المروى من القرآن عن النبى ﷺ محفوظا ومكتوبا معا ، فاتصل سنده حفظا وكتابة !! .

ولاشك أن ذلك العمل منقبة عظيمة خالدة لايزال التاريخ يذكرها بالثناء الجميل لأبى بكر فى الاشراف ، ولعمر فى الاقتراح ، ولزيد فى التنفيذ ، وللصحابه - رضوان الله عليهم جميعا - فى المعاونة والاقرار . وقد شهد المنصفون من العلماء بالدقة البالغة فى جمع القرآن ، والصدق والتثبت فى روايته . قال المستشرق الانجليزى سير وليم موير : (أن القرآن ونظامه ينطق فى قوة بدقة جمعه ، فقد ضمت الأجزاء المختلفة بعضها ببساطة تامة ، لا تعتمد فيها ولا تكلف ، وهذا الجمع لا أثر فيه ليد تحاول المهارة أو التنسيق ، وهو يشهد بايمان الجامع واخلاصه لما يجمع ، فهو لم يجرؤ على أكثر من تناول هذه الآيات المقدسة ووضع بعضها الى جانب بعض .

ويقول فى موضع آخر أيضا : (والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل اثنى عشر قرنا كاملا بنص هذا مبلغ صفائه ودقته) (١) .

مميزات الصحف البكرية وأهم فوائدها

أولا : كان جمع القرآن فى عهد أبى بكر أول جمع فى صحائف من الورق صالحة للاحتفاظ بها دائما ، ولتكون مرجعا يرجعون اليها عند الحاجة ، ولتجديد ماعساه أن يكون قد تأكل من حروف الصحف النبوية .

(١) كتاب : علوم القرآن والتفسير : ص ٣٢ للدكتور / عبد الله شحاتة
نقلا عن كتاب الصديق أبو بكر لمحمد حسين هيكل .
(٣٨ - البيان)

ثانياً : كان هذا الجمع بمثابة اتصال السند الكتابي بالأخذ عما كتب بين يدي النبي ﷺ ، كاتصال السند المتواتر في الرواية ، والتلقى عن الشيوخ ، فتكون كتابة أبي بكر بمثابة الطبقة الثانية ، وكتابة عثمان بمثابة الطبقة الثالثة وهكذا .

ثالثاً : حظى القرآن بهذا الجمع في عهد أبي بكر باجماع الأمة ، وثناء كبار الصحابة - رضوان الله عليهم جميعاً - عليه .

رابعاً : اقتصر في هذا الجمع على ما لم تنسخ تلاوته .

خامساً : أن جمع القرآن في عهد أبي بكر كان مشتملاً على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، وأنه مرتب الآيات في سورها على ما هو موجود الآن في المصاحف التي بين أيدينا .

سادساً : جمع القرآن بهذه الطريقة المتقدمة لم يعرف لأحد قبل أبي بكر رضى الله تعالى عنه ، وذلك لا ينافى أن الصحابة كانت لهم صحف أو مصاحف كمصحف على بن أبي طالب ، ومصحف عبد الله بن مسعود ومصحف أبي بن كعب ، وغيرهم ولكنها لم تكن على هذا النحو ، ولم تنل حظها من التحرى والدقة ، والجمع والترتيب ، بل اشتمل بعضها على الناسخ والمنسوخ ، وما لم يتواتر ، بل كانت تضم بعض التفسيرات والأدعية الماثورة الخاصة بهم ، مع تفاوت بينها في الترتيب ، والزيادة والنقصان . لأنهم كانوا لا يكتبون إلا ما يخافون عليه التفلت والنسيان ، وكان بعضهم لا يزال يحتفظ بما نسخت تلاوته ، ويكتب ماتيمر له حفظه من الأحرف السبعة ، بخلاف الصحف البكرية ، فانها لم تحو إلا ما أجمعت عليه الأمة ، وحظيت برضا الجميع . ويرى بعض العلماء أن تسمية القرآن بالمصحف نشأ منذ ذلك الحين في عهد أبي بكر . فعن

على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر رحمة الله على أبى بكر ، هو أول من جمع كتاب الله » .
وقد حفظت الدولة هذا القرآن عند أبى بكر الصديق طوال حياته ،
ثم حفظت الدولة هذا القرآن عند عمر بن الخطاب طوال حياته ، ثم نقل
عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين بعد عمر ، فقد كان هناك فترة خلت فيها
الدولة من رياسة عند التشاور فى أمر الاستخلاف بعد مقتل رئيس الدولة
غذرا من أعداء الاسلام فلم يجد المسلمون أنسب ولا أليق من أن يعود
القرآن الى بيت النبى ﷺ ، وكان أيسر البيوت النبوية هو بيت حفصة
أم المؤمنين لأنها ابنة رئيس الدولة الذى يحفظ عنده القرآن الكريم ،
وكانت رضى الله عنها نعم الامينة الحافظة .

فقد روى البخارى - كما سيأتى قريبا - أن عثمان أرسل الى
حفصة أن أرسلى اليها بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك ،
فأرسلت بها حفصة الى عثمان ٥٠٠ حتى اذا نسخوا الصحف فى
المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة « (١) » .

وروى ابن أبى داود من طريق شعيب عن ابن شهاب قال أخبرنى
سالم بن عبد الله بن عمر قال : « كان مروان يرسل الى حفصة - يعنى
حين كان أمير المدينة من جهة معاوية - يسألها الصحف التى كتب
منها القرآن فتأبى أن تعطيه ٥٠٠ » (١) .

ثالثا : جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه

امتدت الفتوحات الاسلامية فى زمن عثمان رضى الله عنه ، واستبحر العمران ، حيث امتدت خريطة العالم الاسلامى - منذ زمن عمر بن الخطاب - فشملت بلاد الفرس والشام والعراق ، وغيرها من البلاد ، ولم تمض عشر سنوات على وفاة النبى ﷺ حتى كانت دعوة الاسلام تزحف بقوة ذاتية فتطوى ممالك ودولا وتحتوى شعوبا وأمما - والاسلام دعوة عالمية لا تعرف العنصرية ولا العصبية - ودخل الأعاجم فى دين الله أفواجا وأقبلوا على الدين الجديد يستوعبون أحكامه ويرتلون قرآنه بلهجات متعددة وقراءات متنوعة .

وروى محمد بن سعد فى طبقاته عن محمد بن كعب القرظى بإسناده قال : جمع القرآن فى زمان النبى ﷺ خمسة من الأنصار : معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبى بن كعب ، وأبو أيوب ، وأبو الدرداء . فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب اليه يزيد بن أبى سفيان أن أهل الشام قد كثروا وربلوا (١) وملأوا المدائن ، واحتاجوا الى من يعلمهم القرآن ويفقههم ، فأعنى يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم ، فدعا عمر أولئك الخمسة ، فقال : ان أخوانكم من أهل الشام قد استعانوا بمن يعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين فأعينونى - رحمكم الله - بثلاثة منكم ان أجبتم فاستهموا وان انتدب ثلاثة منكم فاخرجوا ، فقالوا : ما كنا لنستهم ، هذا شيخ كبير ، لأبى أيوب ، وأما هذا فسقيم ، لأبى بن كعب ، فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء . فقال عمر : أبدعوا بحمص فانكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة ، منهم من يلقن (٢) ، فاذا رأيتم ذلك فوجهوا

(١) يريد كثر عددهم ونموا .

(٢) يلقن : يلحن .

اليه طائفة من الناس ، فاذا رضيتهم منهم فليقم بها واحد ، وليخرج واحد الى دمشق والآخر الى فلسطين .

وقدموا حمص فكانوا بها ، حتى اذا رضوا من الناس اقام بها عبادة ، وخرج أبو الدرداء الى دمشق ، ومعاذ الى فلسطين . أما معاذ فمات فى طاعون عمواس ، وأما عبادة فصار بعد الى فلسطين فمات بها ، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات بها (١) .

وهكذا استمر الخلفاء رضى الله تعالى عنهم يرسلون الصحابة الى الأقطار والبلاد الاسلامية يعلمون الناس القرآن ، فكان أهل كل اقليم من أقاليم الاسلام يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم بالقراءة من الصحابة ، فأهل الشام - مثلا - يأخذون بقراءة أبي بن كعب ، وأهل الكوفة يقرعون بقراءة عبد الله بن مسعود ، وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري ، وهكذا كل صحابى يقرأ بحرف من الأحرف السبعة غير حرف صاحبه ، حسبما تيسر له حفظه وسماعه من النبى ﷺ .

فكان بينهم اختلاف فى حروف الأداء ، ووجوب القراءة ، بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع فى قراءة القرآن ، وكان ذلك يظهر جليا حينما يجتمع المسلمون الجدد فى ميادين الجهاد ، فيجدون اختلافا بينهم فى القراءات ، وكانوا يجهلون أن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف ، وأيها حرف قرأوا به فقد أصابوا ، ولم يكن لديهم مصحف جامع يرجعون اليه فيما شجر بينهم من خلاف وشقاق ، فصار أهل كل بلد يخطئ قراءة البلد الآخر ، واستفحل الداء حتى كفر بعضهم بعضا . وكادت تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير .

(١) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٥٦ .

ولم يقف هذا الطغيان عند حد ، بل أصاب الصغار والكبار ،
وشمل كل البلاد حتى الحجاز والمدينة عاصمة الدولة الاسلامية . ومقر
الخلافة ، ومسكن كبار الصحابة . الأمر الذى دفع الخليفة عثمان
وفضلاء الصحابة الى نسخ امام يرجع اليه الجميع مخافة الفتنة
سواء فى النص القرآنى ، أو فى وحدة الأمة الاسلامية .

أخرج ابن أبى داود من طريق أبى قلابة قال : « لما كانت خلافة
عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل
الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين ، حتى كفر
بعضهم بعضا ، فبلغ ذلك عثمان ، فخطب فقال : « أنتم عندي تختلفون ،
فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافا وأشد لحنا » (١) .

وأخرج ابن أخته عن أبى قلابة أيضا قال : حدثنى رجل من بنى
عامر يقال له أنس بن مالك ، قال اختلفوا فى القراءة على عهد عثمان بن
عفان ، حتى اقتتل الغلمان والمعلمون ، فبلغ ذلك عثمان بن عفان ، فقال
« عندي تكذبون به وتلحنون فيه ، فمن نأى عنى كان أشد تكذيبا
وأكثر لحنا ... » (٢) .

وصدق عثمان رضى الله تعالى عنه فيما قال ، فقد كانت الأمصار
النائية ، والبلاد القاصية أشد اختلافا ، وأكثر نزاعا من المدينة والحجاز
حتى أدى بهم ذلك الى الشك والمجادلة والتأثير والمشاجرة ، واستلوا
السيوف وتفرقت الصفوف ، كما يدل على ذلك ما رواه ابن أبى داود من

(١) راجع فتح البارى لابن حجر : ٦٣٥/٨

(٢) راجع الاتقان فى علوم القرآن : ٢٩/١

طريق يزيد بن معاوية النخعي قال : « انى لفى المسجد زمن الوليد بن عقبة ، فى حلقة فيها حذيفة ، فسمع رجلا يقول : قراءة عبد الله بن مسعود ، وسمع آخر يقول : قراءة أبى موسى الأشعري ، فغضب ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هكذا كان من قبلكم اختلفوا ، والله لأركبن الى أمير المؤمنين « (١) ، وفى رواية أخرى : أن اختلفهم كان فى آية : « وأتموا الحج والعمرة لله » ، وقرأ بعضهم « وأتموا الحج والعمرة للبيت » ، فغضب حذيفة واحمرت عيناه « (٢) » .

عثمان يستشير الصحابة رضى الله عنهم :

لهذه الاسباب رأى عثمان - رضى الله تعالى عنه - بثاقب فكره وبعد نظره أن يستدرك الخرق قبل أن يتسع على الراقع وأن يستأصل الداء قبل أن يعزز الدواء ، فجمع فضلاء الصحابة وذوى البصر منهم ، وعرض عليهم المشكلة واستشارهم فى علاجها ، فأجمعوا أمرهم على كتابة عدة مصاحف يرسل بها الى الافاق ، وأن تعتبر تلك المصاحف الرسمية هى النور الهادى فى ظلام هذا الاختلاف ، والفيصل فى ذلك الشقاق والنزاع وبذلك يقضى على تلك الفتنة فى مهدها .

ومما يدل على تلك المشاورة ، وذلك الاجماع من الصحابة ما أخرجه ابن أبى داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « لا تقولوا فى عثمان الا خيرا فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف الا عن ملامتنا ، قال : ما تقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول : إن قراعتى خير من قراعتك وهذا يكاد يكون كفرا ، قلنا : فماذا ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف . قلنا : نعم ما رأيت « (٣) » .

(٢٠١) راجع فتح البارى : ٦٣٤/٨ .

(٣) راجع فتح البارى : ٦٣٥/٨ ، والاتقان فى علوم القرآن : ٧٩/١ .

تنفيذ عثمان لقرار الجمع

بعد أن استشار عثمان - رضى الله تعالى عنه - فضلاء الصحابة فى أمر جمع القرآن ، وأجمعوا على ذلك : شرع على الفور فى تنفيذ هذا القرار الحكيم الذى أجمع عليه الصحابة فى سنة خمس وعشرين من الهجرة ، أى بعد عامين من توليته الخلافة - عهد فى نسخ المصاحف الى جماعة من المهاجرين والأنصار اختلف العلماء فى عددهم ، وذلك لاختلاف الروايات الواردة فى هذا الشأن .

فمن الروايات ما يفيد أنه عهد الى زيد بن ثابت بكتابته ، وفى رواية البخارى ما يفيد أن اللجنة كانت مكونة من أربعة ، وفى رواية ابن أبى داود من طريق محمد بن سيرين أن اللجنة كانت مكونة من اثنى عشر رجلا .

ويتضح من جملة الروايات أن زيد بن ثابت كان رئيس اللجنة ، وأن عثمان ندب معه أربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ ، فلما احتاجوا الى من يساعدهم فى الكتابة بحسب الحاجة الى عدد المصاحف التى ترسل الى الأفاق أمدهم عثمان بعدد آخر من الصحابة .

فمن نسب كتابة المصحف الى زيد بن ثابت ، راعى أنه رئيس اللجنة فينسب العمل اليه ، ومن جعل اللجنة رباعية راعى أنها اللجنة الأصلية المكلفة بكتابة المصحف الامام ، ومن جعلها اثنى عشر رجلا ، ضم اليها من استعان بهم عثمان للمساعدة فى نسخ المصاحف التى أرسلت الى الأفاق الإسلامية .

أسماء لجنة جمع المصحف العثماني

في رواية البخارى أن عددهم أربعة هم : زيد بن ثابت ، وعبد الله ابن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .
وفي رواية ابن أبي داود ذكر ابن حجر من أسماء لجنة الجمع :
عبد الله بن عباس ، وأبى بن كعب ، وكثير بن أفلح ، وأنس بن مالك ،
ومالك بن عامر « جد مالك بن أنس » (١) .

وروى الدانى عن حذيفة قال : « فأرسل عثمان الى زيد بن ثابت
والى عبد الله بن عمرو بن العاص والى عبد الله بن الزبير والى ابن عباس
والى عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقال : انسخوا هذه الصحف
فى مصحف واحد » (٢) .

من خلال هذه الروايات لم نعرف من كتبة المصحف سوى عشرة ،
وأما الاثنان الباقيان فلم نعرف اسمهما ، ولم يطلع عليهما ابن حجر
ولا السيوطى ، وواضح من تكوين هذه اللجنة أن نصفها من قريش ،
وهم : عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن الحارث بن
هشام ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عباس .

والنصف الآخر من الأنصار ، وهم زيد بن ثابت ، وأبى بن كعب ،

(١) راجع فتح البارى : ٦٣٥/٨ ، ٦٣٦ .

(٢) راجع كتاب : المقنع ص ٥ .

وأنس بن مالك ، وكثير بن أفلح مولى أبى أيوب الأنصارى ، ومولى القوم منهم ، والخامس : مالك بن أبى عامر - جد مالك بن أنس - وهو حميرى يمنى .

وبذلك قد راعى عثمان فى تكوين لجنة الجمع أن يكون النصف من قریش ، والنصف الآخر تقريبا من الأنصار ، وواحد من اليمن . كما روعى فى تكوينها أيضا أن يجمع أعضاؤها بين الشباب والكهول . فالشباب : يمثلون القوة والنشاط ، والكهول يختارون للتجارب والخبرة ونضوج الفكرة وحسن القدوة .

والخلاصة : أن اختيار اللجنة لكتابة المصحف العثمانى كان موقفا كل التوفيق ، ولم يكن سببه هوى ذاتيا أو تحيزا شخصيا ، وإنما كان سببه الكفاءة المطلقة والخبرة والاخلاص ، والتقوى والعلم والمعرفة ، وتاريخ اللجنة وسجل حياة أفرادها أعظم دليل على حسن هذا الاختيار فيه (١) .

منهج عثمان فى كتابة المصحف

بعد أن كون عثمان - رضى الله تعالى عنه - لجنة جمع المصحف برئاسة زيد بن ثابت أرسل الى أم المؤمنين حفصة أن أرسلى الينا المصحف - التى جمع القرآن فيها على عهد أبى بكر - فأرسلت اليه بتلك المصحف ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ،

(١) ذهب المستشرق بلاشير الى أن عثمان بن عفان كان رجلا أرستقراطيا وأنه اختار لكتابة المصحف ثلاثة من قریش يمثلون النزعة الأرستقراطية ، ويدعى أنه اختارهم لصلات المصاهرة التى بينه وبينهم ، وهذا تهافت ينقضه أن زيدا المدنى كان رئيس لجنة الجمع وأن عملها وافق قبول الأمة ، وفيما عرضناه ما يكفى لدحض هذه الشبهة . راجع علوم القرآن والتفسير ص ٤٦ د . عبد الله شحاتة .

وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بنسخها في المصاحف ، وقال عثمان
للرهب القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من
القرآن فاكتبوه بلغة قريش ، فانما نزل بلسانهم .

وقد توافقت لجنة الجمع في كتابة المصاحف على مايتى :

١ - أنهم لا يكتبون في هذه المصاحف الا ما تحققوا أنه
قرآن ، وعلموا أنه استقر في العرصة الأخيرة .

٢ - أنهم لا يكتبون من القرآن الا ما تواتر وأيقنوا صحته
عن النبي ﷺ .

٣ - أنهم لا يكتبون من القرآن ما نسخت تلاوته .

٤ - أنهم كتبوا عدة مصاحف ، وجعلوها خالية من النقط
والشكل ، والحذف والاثبات وغير ذلك ، حتى تشتمل على الأحرف
السبعة ما أمكن .

لذلك كانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه وذلك مثل
كلمة « فتبينوا » من قوله تعالى : « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » (١)
فانها تصلح أن تقرأ « فتثبتوا » وذلك عند خلوها من النقط والشكل وهي
قراءة أخرى ، ومثل كلمة (ننشزها) من قوله تعالى : « وانظر الى
العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما » (٢) فانها تقرأ (ننشزها)
وذلك عند خلوها من النقط والشكل أيضا ، وهي قراءة واردة .

(١) من الآية : ٦ من سورة الحجرات .

(٢) من الآية : ٢٥٩ من سورة البقرة .

أما الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوها من النقط والشكل ، مع أنها واردة بقراءة أخرى ، فانهم كانوا يكتبونها فى بعض المصاحف برسم يدل على قراءة ، وفى بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية ، كقراءة (ووصى) بالتضعيف ، و (أوصى) بالهمز وهما قراءتان فى قوله سبحانه : « ووصى بها إبراهيم بنيه ٠٠٠ » (١) ، وكذلك قراءة : « تحتها الأنهار » ، وقراءة : « من تحتها الأنهار » بزيادة لفظ (من) فى قوله تعالى : « لهم جنات تجري تحتها الأنهار » (٢) . وقد يسأل سائل فيقول : ان كان هدف عثمان من كتابة المصاحف هو رفع الاختلاف الذى وقع بين الناس فى وجوه القراءة ، فكيف كان يكتب المصاحف على طريقة تحتمل أوجه متعددة من القراءة ؟

والجواب على ذلك : أنه كتبها على وجه يحتمل ما صح من التلاوة وطرح ما لم يتواتر ، وكان أيضا يرسل مع كل مصحف من الصحابة والتابعين من يقرئهم على الوجوه الصحيحة المتواترة عن النبي ﷺ .

فكان بالمدينة زيد بن ثابت وابن المسيب وعروة ، وكان بمكة عبد الله بن السائب وعبيد بن عمير ، وكان بالشام المغيرة بن شعبة ، وكان بالكوفة أبو عبد الرحمن السلمى ، وكان بالبصرة عامر بن قيس ، وهكذا ، وقرأ أهل كل بلد بما كان فى مصحفهم على هؤلاء (٣) .

(١) من الآية ١٣٢ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١٠٠ من سورة التوبة .

(٣) أنظر : مناهل العرفان : ٤٠٣/١ ، ٤٠٤ .

والذى دعا الصحابة الى انتهاج هذه الخطة فى رسم المصاحف وكتابتها أنهم تلقوا القرآن عن الرسول ﷺ بجميع وجوه قراءته ، وبكافة حروفه التى نزل عليها ، فكانت هذه الطريقة أقرب الى الاحاطة بالقرآن على وجوهه كلها ، حتى لا يقال : أنهم أسقطوا شيئا من قراءته ، أو منعوا أحدا من القراءة بأى حرف شاء على حين أنها كلها منقولة نقلا متواترا عن النبى ﷺ .

وبعد أن انتهت لجنة الجمع من نسخ المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة ، وأرسل الى كل قطر بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

وفى ذلك يروى البخارى بسنده عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى إلينا بالمصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة ، الى عثمان فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد ابن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهب القرشيين الثلاثة : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ، رد عثمان الصحف الى حفصة ، فأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » (١) .

(١) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن ، باب (جمع القرآن) ، ٦٢٧/٨ .

عدد المصاحف التي كتبها عثمان

اختلف العلماء فى عدد المصاحف التى كتبها عثمان رضى الله عنه وبعث بها الى الأقطار الاسلامية ، فبعضهم قال : أنها ستة : المكي والشامى والبصرى ، والكوفى ، والمدنى العام الذى سيره عثمان رضى الله تعالى عنه من محل نسخه الى مقره ، والمدنى الخاص به الذى حبسه لنفسه هو المسمى بالامام .

قال صاحب زاد القراء : لما جمع عثمان القرآن فى مصحف سماه الامام ، ونسخ منه مصاحف فأنفذ منها مصحفا الى مكة ، ومصحفا الى الكوفة ، ومصحفا الى البصرة ، ومصحفا الى الشام ، وحبس مصحفا بالمدينة (١) .

وذهب السيوطى وابن حجر الى أنها خمسة ، ولعلهما أرادا بالخمسة ماعدا المصحف الامام فيكون الخلاف لفظيا بينه وبين سابقه .

وبعضهم قال : انها سبعة مصاحف . قال ابن أبى داود سمعت أباً حاتم السجستاني يقول : كتبت سبعة مصاحف ، فأرسل الى مكة ، والى الشام ، والى البحرين ، والى البصرة ، والى الكوفة ، والى اليمن ، وحبس بالمدينة واحدا .

وقال ابن الجزرى : أنها ثمانية ، وزاد مصحف عثمان نفسه الذى يقال له الامام .

(١) راجع مناهل العرفان للزرقانى : ٤٠٢/١ .

وقال أبو عمرو الداني : « أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لما كتب المصحف جعله أربع نسخ ، وبعث الى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن ، فوجه الى الكوفة احداهن ، والى البصرة الأخرى ، والى الشام الثالثة ، وأمسك عند نفسه واحدة . وقد قيل : انه جعله سبع نسخ ، ووجه من ذلك نسخة الى اليمن ، ونسخة الى البحرين ، والأول أصح وعليه الأئمة » (١) .

من خلال هذه الأقوال يتضح لك الخلاف بين العلماء فى عدد المصاحف التى نسخها عثمان وأرسل بها الى الأفاق ، ويتبين لنا أن الدانى يرجح القول بأنها أربعة ، فى حين نرى الشيخ الزرقانى يرجح الرأى الأول القائل بأنها ستة ، ويقول : ولعل القول بأن عددها ستة ، هو أولى الأقوال بالقبول (٢) .

وخروجا من هذا الخلاف نقول : ان عثمان رضى الله تعالى عنه قد أرسل بنسخة من المصحف الى كل قطر فتحه المسلمون آنذاك ، يدل على ذلك العقل والنقل : أما العقل : فان الغرض من إرسال المصاحف الى الأمصار هو القضاء على الفتنة التى كانت قائمة حينئذ بسبب اختلاف المسلمين فى القراءة ، والمنع من حدوث مثلها مرة أخرى فى أقطار المسلمين ، وهذا الغرض لا يتحقق الا بإرسال المصاحف الى جميع الأقطار الاسلامية .

وأما النقل فهو حديث أنس الذى رواه البخارى وفيه : (وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا) وكلمة أفق تدل بعمومها على أنه أرسل المصاحف الى جميع الأقطار الاسلامية لا الى بعضها دون البعض .

(١) راجع المقنع ص ١٠ .
(٢) راجع مناهل العرفان : ٤٠٣/١ .

هل المصاحف العثمانية تشتمل على الأحرف السبعة ؟

إن الإجابة على هذا السؤال من الأهمية بمكان حتى نرد بها على الذين يدعون أن عثمان رضى الله تعالى عنه أسقط ستة أحرف ، وأخذ بحرف واحد من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن .
لذلك سأنقل اليك آراء العلماء فى ذلك ، ثم ندلل على الرأى المختار عندنا بما نملك من أدلة وبراهين فنقول :

قال ابن الجزرى : « ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين الى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرضة الأخيرة التى عرضها النبى ﷺ على جبريل عليه السلام . متضمنة لها لم تترك حرفا واحدا . قلت : وهذا القول هو الذى يظهر صوابه ، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له « . الخ (١) .

وقال الزرقانى فى مناهل العرفان : « ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين الى أن جميع الأحرف السبعة موجودة بالمصاحف العثمانية . واحتجوا بأنه لا يجوز للامة أن تهمل نقل شيء منها ، وأن الصحابة أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التى كتبها

(١) راجع : النشر فى القراءات العشر : ٣١/١ .

أبو بكر ، أجمعوا على ترك ما سوى ذلك . ومعنى هذا أن الصحف التي كانت عند أبي بكر جمعت الأحرف السبعة ، ونقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السبعة كذلك « (١) » .

وذهب ابن جرير الطبري ومن لف لفه الى أن المصاحف العثمانية لم تشتمل الا على حرف واحد من الحروف السبعة . وعلل ابن جرير لذلك بأن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة ، وإنما كان جائزا لهم ومرخصا لهم فيه ، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف اذا لم يجمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجماعا شائعا ، وهم معصومون من الضلالة ، ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام (٢) .

وتحقيق القول بأن المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة كلها أو بعضها يتوقف على أمرين : أحدهما تحديد المراد من الأحرف السبعة ، وثانيها الرجوع الى ما هو مكتوب ومائل بتلك المصاحف في الواقع ونفس الأمر .

أما عن تحديد المراد من الأحرف السبعة ، فقد اختلف العلماء في تحديد المراد منها الى ما يقرب من أربعين قولا ذكرها السيوطي في الاتقان ، وابن حجر في فتح الباري ، والزرقاني في مناهل العرفان .

قال ابن حبان : اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا ، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة ويحتمل غيرها .

(١) مناهل العرفان : ١٦٨/١ والاتقان في علوم القرآن : ٦٦/١ .

(٢) راجع الاتقان في علوم القرآن : ٦٦/١ ، وتفسير ابن جرير : ٢٢/١ .

وقال المرسى : هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها ولا عن نقلت ، ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر مع أنها كلها موجودة فى القرآن ، فلا أدري معنى التخصص ، ومنها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة ، أكثرها معارضة لحديث عمر وهشام بن حكيم الذى فى الصحيح ، فانهما لم يختلفا فى تفسيره ولا أحكامه ، وانما اختلفا فى قراءة حروفه ، وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبع ، وهو جهل قبيح (١) .

وأقرب الأقوال الى الصواب قول من قال : « انها الأوجه التى يرجع اليها كل اختلاف فى القراءات . سواء ماكان منها صحيحا ، أو شاذا ومنكرا وأنها تنحصر فى سبعة أوجه فى الاختلاف ، على ما ذكر أبو الفضل الرازى فى (اللوائح) ، وهى :

الأول : اختلاف الاسماء من افراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيت .

الثانى : اختلاف تصريف الأفعال من ماضى ومضارع وأمر .

الثالث : وجوه الاعراب .

الرابع : النقص والزيادة .

الخامس : التقديم والتأخير .

السادس : الابدال .

السابع : اختلاف اللغات يريد (اللهجات) كالفتح والامالة والترقيق

والتفخيم والادغام والاظهار ونحو ذلك (٢) .

وأما اذا رجعنا بهذه الأوجه السبعة الى المصاحف العثمانية وماهو

مخطوط بها فى الواقع ونفس الأمر ، فسوف نخرج بهذه الحقيقة التى

(١) الاتقان ٦٦/١ .

(٢) الاتقان : ٦٢/١ .

لا تقبل النقض ، ونصل الى فصل الخطاب فى هذا البحث ، وهو أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها ، ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلا أو بعضا ، بحيث لم تخل المصاحف فى مجموعها عن حرف منها رأسا . واليك بيان هذه الأوجه :

أما الوجه الأول : وهو اختلاف الأسماء افرادا وجمعا وتذكيرا وتانيئا نحو قوله تعالى : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » (١) . المقروء بجمع الأمانة وافرادها ، فقد اشتمل عليهما المصحف ، اذ كان الرسم العثمانى فيه هكذا : (لأمنتهم) برسم المفرد فى الحروف ولكن عليها ألف صغيرة لتشير الى قراءة الجمع وغير منقوطة ولا مشكولة .

وأما الوجه الثانى : وهو اختلاف تصريف الأفعال ، نحو قوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » (٢) فقد قرئ هكذا بنصب لفظ (ربنا) على أنه منادى ، وبلفظ (باعد) فعل أمر ، وبعبارة أخرى أنسب بالمقام (فعل دعاء) . وقرئ هكذا : (ربنا بعد) برفع (رب) على أنه مبتدأ ، وبلفظ (بعد) فعلا ماضيا مضعف العين جملته خبر . وقد وافقت كلتا القراءتين رسم المصحف العثمانى أيضا ، لأن هيكلا الفعل واحد لا يتغير فى كلتا القراءتين ، والمصحف العثمانى لم يكن منقوطا ولا مشكولا .

وأما الوجه الثالث : وهو اختلاف وجوه الاعراب ، كقراءة « ولا يضار كاتب » (٣) بفتح الراء وضمها فان الرسم يحتملها كالوجه السابق ، وهو واضح ه

(١) الآية ٨ من سورة المؤمنون .

(٢) الآية : ١٩ من سورة سبأ .

(٣) من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

وأما الوجه الرابع : وهو الاختلاف بالنقص والزيادة ، فمنه ما يوافق الرسم فى بعض المصاحف نحو قوله سبحانه فى سورة التوبة : « وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار » (١) وقرىء « تجري من تحتها الأنهار » بزيادة لفظ (من) ، وهما قراءتان متواترتان وقد وافقت كلتاهما رسم المصحف ، بيد أن ذات الزيادة توافق رسم المصحف المكي ، لأن لفظ (من) ثابتة فيه . أما حذفها فإنه يوافق رسم غير المصحف المكي حيث لم تثبت فيه ، أى فى غير المصحف المكي .

ومن هذا الوجه مالا يوافق رسم المصحف بحال من الأحوال نحو قوله تعالى : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » (٢) ، وقرأ ابن عباس هكذا (يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) بزيادة كلمة (صالحة) ، فإن هذه الزيادة لم تثبت فى مصحف من المصاحف العثمانية ، فهى مخالفة لخط المصحف ، وذلك لأن هذه القراءة وما شاكلها منسوخة بالعرضة الأخيرة ، ويدل على هذا النسخ اجماع الأمة على ما فى المصاحف العثمانية .

وأما الوجه الخامس : وهو الاختلاف بالتقديم والتأخير ، فهو مثل سابقه منه ما يوافق رسم المصحف نحو قوله تعالى : « فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا » (٣) قرىء الفعل بالبناء للفاعل فى الأول ، وللمفعول فى الثانى وقرىء بالعكس ، وهما قراءتان متواترتان ، ولا يخالف شىء منهما رسم المصحف .

-
- (١) من الآية : ١٠٠ من سورة التوبة .
 - (٢) من الآية : ٧٩ من سور الكهف .
 - (٣) من الآية : ١١١ من سورة التوبة .

ومن هذا الوجه ما يخالف رسم المصحف نحو قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » (١) وقرىء « وجاءت سكرة الحق بالموت » فان هذه القراءة الثانية لا يحتملها رسم المصحف وان كانت منقولة عن أبى بكر الصديق وطلحة بن مطرف ، وزين العابدين - رضى الله تعالى عنهم - لكنها لم تتواتر ، فهى منسوخة بالعرضة الأخيرة وباجماع الصحابة على المصحف العثمانى .

وأما الوجه السادس : وهو الاختلاف بالابدال ، فقد وافق بعضه رسم المصحف وخالفه البعض أيضا ، ومثال ذلك ما وافق الرسم قوله تعالى : (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وقرىء (فتثبتوا) وهما قراءتان متواترتان ، وتوافق كليهما رسم المصحف ، ومثال الثانى : قراءة : « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله » وقراءة « وتكون الجبال كالصوف المنفوش » فانهما مخالفتان لرسم المصحف ، وذلك لنسخها بالعرضة الأخيرة ، واستقرار الامر على ما وافق الرسم منه ، وهو قراءة « فاسعوا إلى ذكر الله » (٢) وقراءة « كالعهن المنفوش » (٣)

وأما الوجه السابع : وهو الاختلاف بسبب تباين اللهجات فيوافق رسم المصحف موافقة تامة ، لانه اختلاف شكلى لا يترتب عليه تغيير جوهر الكلمة ، وهو ظاهر وتجد شواهد كثيرة فى خط المصحف تدل على بعض هذا النوع من الاختلاف نحو قوله تعالى : « وهل أتيتك حديث موسى » (٤) فانها رسمت هكذا بياء فى الفعل بعد التاء ، وبقلب الف موسى ياء ،

-
- (١) الآية ١٩ من سورة ق .
 - (٢) من الآية ٩ من سورة الجمعة .
 - (٣) من الآية ٥ من سورة القارعة .
 - (٤) من الآية : ٩ من سورة طه .

ومن غير شكل ولا اعجام (١) .

وبعد هذا البيان لهذه الأوجه نستطيع أن نقول : بأن المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة على ما يحتملها رسمها ، جامعة لما استقر في العرصة الأخيرة .

وأما ما يقال من أن الأمة على عهد عثمان - رضى الله تعالى عنه - قد اختلفت في قراءات القرآن على حروف مختلفة الى حد جعلهم يتنازعون ويترامون - بفتح الميم وسكون الواو - بتكفير بعضهم بعضا ، حتى خيفت الفتنة ، فرأى الصحابة بقيادة خليفتهم الحكيم عثمان رضى الله تعالى عنهم أن يعالجوا المشكلة ، وبطفئوا الفتنة ، بهذه الطريقة ، من جمع الناس على حرف واحد ، ونسخ المصاحف على حرف واحد ، واهمال كل ما عداه من الحروف والمصاحف المنسوخة عليها .

فهذا القول غير مقبول واحتججه باطل للأسباب الآتية :

أولا : أن مثل هذا النزاع والخلاف قد حدث في عهد النبي ﷺ في قراءة القرآن على حروف مختلفة ، ومع ذلك فقد أقرهم النبي ﷺ على هذه الحروف المختلفة وقررها فيهم ، وحملهم على التسليم بها بأساليب متنوعة .

روى البخارى بسنده عن عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - يقول : « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه

(١) راجع هذه الأمثلة في مناهل العرفان : ١٧٠/١ .
والاتقان : ٦١/١ ، وفتح الباري : ٦٤٥/٨ .

فقلت : من أقرأ هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ فقال : أقرانيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت ، فان رسول الله ﷺ قد أقرانيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده الى رسول الله ﷺ فقلت : اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها . فقال ﷺ أرسله ، اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت . ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت للقراءة التي أقراني ، فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت ، ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا ما تيسر منه «(١)» .

وروى مسلم بسنده عن أبي بن كعب قال : كنت في المسجد ، فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه . ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ . فقلت : ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه . فأمرهما رسول الله ﷺ فحسن النبي ﷺ شأنهما . فسقط في نفسى من التكذيب ، ولا اذ كنت في الجاهلية . فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد

(١) راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ٦٣٩/٨ ، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب (بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه) راجع صحيح مسلم بشرح النووي : ٢٧٢/٣ .
ورواه أبو داود في الصلاة : باب (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ، ٧٥/٢ الحديث ١٤٧٥ .
ورواه الترمذي في القراءات (باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف) ١٩٣/٥ الحديث ٢٩٤٣ .
ورواه النسائي في الصلاة (المجتبي) ١٥٢/٢ .

غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكائما انظر الى الله عز وجل فرقا .
فقال لي « يا ابي : ارسل الي : ان اقرأ القرآن على حرف فرددت اليه
ان اهون على امتي . فرد الى الثانية : اقراه على حرفين فرددت اليه :
ان اهون على امتي . فرد الى الثالثة : اقراه على سبعة احرف . . . »
الخ الحديث (١) .

ثانيا : ان نزول القرآن على سبعة احرف هو للتيسير ، ورحمة من
الله تعالى بالامة الاسلامية بعد سؤال النبي ﷺ .

قال ابن الجزري : واما سبب وروده على سبعة احرف فللتخفيف
على هذه الامة ، واردة اليسر بها ، والتهوين عليها شرفا لها ، وتوسعة
ورحمة وخصوصية لفضلها واجابة لقصد نبيها افضل الخلق وحبيب الحق .

روى مسلم بسنده عن ابي بن كعب ، ان النبي ﷺ كان عند اضاءة
بنى غفار . قال فاتاه جبريل عليه السلام . فقال : ان الله يامرک ان تقرأ
امتک القرآن على حرف . فقال « اسأل الله معافاته ومغفرته ، وان امتي
لا تطيق ذلك » ثم اتاه فقال : ان الله يامرک ان تقرأ امتک القرآن على
حرفين . فقال اسأل الله معافاته ومغفرته ، وان امتي لا تطيق ذلك ، ثم
جاءه الثالثة فقال : ان الله يامرک ان تقرأ امتک القرآن على ثلاثة احرف
فقال : « اسأل الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك » . ثم جاءه
الرابعة فقال : ان الله يامرک ان تقرأ امتک القرآن على سبعة احرف . فايما

(١) أخرجه مهلم في كتاب الصلاة ، باب (في بيان أن القرآن أنزل على
سبعة احرف) ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٢٧٤/٣ الحديث
١٨٧٣ ، ورواه أبو داود في الصلاة ، باب (أنزل القرآن على سبعة
احرف) ٧٦/٢ ، ورواه النسائي في الصلاة (في المجتبى) ١٥٢/٢

حرف قرأوا عليه ، فقد أصابوا « (١) » .

ثالثا : أن المصاحف العثمانية نسخت من الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر رضى الله تعالى عنه قبل أن يدب النزاع فى أقطار الاسلام بسبب اختلاف حروف القراءة فى القرآن . فكانت تلك الصحف محتملة للأحرف السبعة جميعا ، وموافقة لها جميعا ، ضرورة أنه لم يحدث وقتئذ من النزاع والشقاق ما يدعو الى الاقتصار على حرف واحد فى رأيهم ، ولم يثبت أن الصحابة تركوا من الصحف المجموعة على عهد أبى بكر حرفا واحدا فضلا عن ستة حروف ، ولو كان ذلك لنقل البنا متواترا ، لأنه مما تتوافر الدواعى على نقله تواترا .

رابعا : أنه لا يجوز بحال من الأحوال أن الصحابة قد وافقوا عثمان وأجمعوا على ضياع ستة أحرف نزل عليها القرآن ، دون أن يبقوا عليها ، لأنها لم تنسخ ولم ترفع ، وإنما الرسول ﷺ قد قررها بقوله وفعله ، حيث صوب قراءة كل المختلفين فى عهده بقوله : لكل « هكذا أنزلت » .

خامسا : وجود الخلاف بين العلماء فى معنى الأحرف السبعة دليل على بقائها ، اذ كيف تجمع الأمة على ترك ستة أحرف وابقاء حرف واحد ثم يختلف العلماء فى معنى الأحرف السبعة على أربعين قولا ، ويكادون يتفقون - رغم خلافهم هذا - على أن الأحرف السبعة باقية ، مع أن الاجماع حجة عند المسلمين ، وبه ينجلي ظلام الشك عن وجه اليقين .

سادسا : من يقرأ الأحاديث السابق ذكرها فى السبب الأول يرى فيها

(١) راجع صحيح مسلم يشرح النووى كتاب الصلاة ، باب (بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) ٣ / ٢٧٤ .

موقف عمر بن الخطاب من هشام بن حكيم وموقف هشام من عمر وهما قرشيان ، وموقف أبي بن كعب من صاحبيه ، وتأمل كيف أن كلا من هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أبي أن يتنازل عن قراءة سمعها وتعلمها من رسول الله ﷺ ، يستبعد كل البعد ، بل يحيل كل الاحالة أن يكون هؤلاء الصحابة قد أجمعوا على اسقاط ستة حروف من القرآن ، وأخذوا بحرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن تيسيرا على الأمة .

سابعاً : من علم هذا الكم الهائل من القراءات - التي يقرأ بها القرآن اليوم - على ما بينها من اختلاف في الوجوه والأنواع ، وعلم أن وجه الاختلاف فيها قد يكون ناشئاً عن وجود الفاظ مترادفة في كلمة واحدة ، ومعنى واحد ، ومنها ما هو من لغات قبائل مختلفة ، كما نص على ذلك السيوطي في الاتقان . يستبعد كل البعد أن تكون المصاحف العثمانية خالية من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن . وأن عثمان قد جمعها على حرف واحد .

وبعد أن عرفت من خلال ما سبق أن المصاحف العثمانية تحتوى على الأحرف السبعة على ما يحتملها رسمها ، وكل ما استقر في العريضة الأخيرة للقرآن التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام .

اعلم أنه قد يثار سؤال ويقول قائل : أذن ما معنى قول عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا » . أليس يفهم من هذا أن عثمان أسقط ستة أحرف وأبقى على حرف قريش ولغتهم وحيدهم ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول : إن هذا الكلام مردود من عدة وجوه وهي :

أولاً : أن اللفظ لا يؤدي ذلك المعنى .

ثانياً : أن القرآن الكريم فيه كلمات كثيرة من لغات قبائل أخرى وليس من لغة قريش وحدها ، واليك ما قاله الواسطي في كتابه «الارشاد في القراءات العشر» حيث قال : « ان في القرآن من اللغات خمسون لغة هي : لغة قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثعم ، والخزرج ، وأشعر ، ونمير ، وقيس عيلان ، وجرهم ، واليمن ، وأزد شنوءة ، وكندة ، وتميم ، وحمير ، ومدين ، ولخم ، وسعد العشيرة ، وحضرموت ، وسدوس ، والعمالقة ، وأنمار ، وغسان ، ومذحج ، وخزاعة ، وغطفان ، وسبأ ، وعمان ، وبنو حنيفة ، وثعلب ، وطى ، وعامر بن صعصعة ، وأوس ، ومزينة ، وثقيف ، وجزام ، ويلي - بياض مشددة - ، وعذرة ، وهوازن ، والنمر واليمامة . . . ومن غير العربية : الفرس ، والروم ، والنبط ، والحبشة ، والبربر ، والسريانية ، والعبرانية ، والقبط » (١) .

واعلم أن هذه اللغات كلها تمثلت في لغة قريش باعتبار أن لغة قريش كانت المتزعمة لها ، المهيمنة عليها ، والاختذة منها ما تشاء مما يحلو لها ويرق في ذوقها ، ثم يأخذ الجميع عنها وحتى صح أن يعتبر لسان قريش هو اللسان العربى العام ، وبه نزل القرآن الكريم .

ثالثاً : أن المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة كما سبق بيانه .

رابعاً : أنه لم ينقل اليينا نقلا صريحا صحيحا أنهم تركوا من الأحرف السبعة شيئا فضلا عن أن يتركوها كلها ما عدا حرف واحد ، ولو حدث ذلك لنقل اليينا نقلا متواترا ، لأن هذا الأمر الجلل مما تتوافر

(١) راجع الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١٧٧/١ ، ص ١٧٧ ، (١) .

الدواعى على نقله وتواتره ، وقصارى ما وصلنا من بعض الطرق أنهم اختلفوا فى كلمة (التابوت) فى قوله تعالى : « وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن ياتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم » (١) أكتبونها بالتاء المفتوحة أم بالهاء ، فأمرهم عثمان أن يكتبوها بالتاء المفتوحة ، لأنها كذلك فى لغة قريش .

وهذا يوضح لنا أن مراد عثمان من الاختلاف فى قوله : « اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن » انما كان يريد الاختلاف فى الكتابة والرسم لا فى الألفاظ واللغات والحروف . أو يريد أن لغة قريش قد توافر فيها التواتر أكثر من غيرها ، فليأخذوا بها عند الاختلاف ولأنهم ألزموا أنفسهم التواتر الذى شرطوه فى منهج كتابتهم وجمعهم للقرآن .

أضف الى ذلك أن المصاحف العثمانية نقلت من الصحف التى جمع أبو بكر القرآن فيها ، والتى ظفرت بالتواتر وإجماع الأمة ، كما قدمنا . فهل يرضى عثمان ويوافق الصحابة جميعا على أن يخرقوا هذا الاجماع ، ويعبثوا بذلك التواتر ، فى أمر جعل الله تعالى تعدد الوجوه والحروف فيه رحمة بالأمة الى هذا اليوم ؟ ذلك أمر بعيد ، بل مستحيل أن يحدث من هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

مميزات المصاحف العثمانية

يمكن لنا بعد هذا العرض أن نلخص مزايا المصاحف العثمانية فيما يأتى :

١ - الاقتصار فيها على ما ثبت بالتواتر ، دون ما كانت روايته أحادا .

(١) من الآية ٢٤٨ من سورة البقرة .

٢ - إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرصة الأخيرة .

٣ - ترتيب السور والآيات القرآنية على الوجه المعروف الآن في

المصاحف التي بين أيدينا .

٤ - أنها كتبت بطريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف

السبعة التي نزل بها القرآن .

تجريدها من كل ما ليس بقرآن كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في

مصاحفهم شرحا لمعنى ، أو بيانا للناسخ ومنسوخ .

تحريق عثمان للمصاحف والصحف المخالفة

بعد أن أتم عثمان - رضى الله تعالى عنه - نسخ المصاحف بالصورة

السابقة ، وما اشتملت عليه من المميزات ، وأرسل بها إلى الأقطار

الإسلامية ، وأرسل مع كل مصحف من الصحابة والتابعين من يقرأ للناس

على ما فيها جمعا لشمل الأمة ، أمر أن يحرق كل ما عداها من صحف

أو مصاحف ، ليحسم الخلاف والنزاع من ناحية ، وليحمل المسلمين على

الجدادة في كتاب الله من ناحية أخرى ، فلا يأخذوا إلا بتلك المصاحف التي

كتبت على ما استقر في العرصة الأخيرة باجماع الصحابة رضى الله عنهم

ولقد استجاب الصحابة لأمر عثمان فحرقوا مصاحفهم ، واجتمعوا

جميعا على المصاحف العثمانية ، ولم يؤثر من خلاف في ذلك إلا ما جاء

عن عبد الله ابن مسعود في أول الأمر ثم عاد سريعا إلى مصحف الجماعة .

فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عن شقيق بن سلمة قال : « خطبنا

عبد الله بن مسعود فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا

وسبعين سورة ، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أنى من أعلمهم بكتاب

الله وما أنا بخيرهم • قال شقيق : فجلست فى الحلق أسمع ما يقولون ،
فما سمعت رادا يقول غير ذلك « (١) ، ووقع فى رواية مسلم عن عبد الله
قال : « ومن يغلل يأتى بما غل يوم القيامة • ثم قال : على قراءة من
تأمرونى أقرأ ؟ فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعا وسبعين
سورة ٠٠٠ » (٢) الحديث •

وروى ابن أبى داود فى فصل بعنوان « كراهية عبد الله بن مسعود
ذلك » كثيرا من الآثار - ومنها هذا الأثر الذى أخرجه الترمذى والنسائى
والحاكم وأبو عوانة : قال عبد الله : يا أهل الكوفة - أو يا أهل العراق -
اكنتموا المصاحف التى عندكم وغلوها ، فان الله يقول : « ومن يغلل يأت
بما غل يوم القيامة » فالقوا الله بالمصاحف • قال الزهرى : فبلغنى أن
ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال أفاضل من أصحاب النبى ﷺ « (٣) •

ومراد ابن مسعود من غل المصاحف اخفائها لئلا تخرج فتحرق ،
وكان قد رأى خلاف ما رأى عثمان ومن وافقه ، فى الاقتصار على لغة
واحدة ، أو كان يريد أن تكون قراءته هى التى يعول عليها ، لما له من
المزية فى ذلك مما ليس لغيره كما يؤخذ ذلك من ظاهر كلامه ، فلما فاته
ذلك اختار استمرار القراءة على ما كانت عليه •

وقد شق على ابن مسعود صرفه عن كتابة المصحف ، والعذر لعثمان
انه كتبه وعبد الله فى الكوفة ، ولم يؤخر ما عزم عليه الى أن يرسل اليه

(١) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن ،

باب القراء من أصحاب النبى ﷺ الحديث : ٥٠٠٠ ، ٦٦٣/٨ •

(٢) راجع صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الفضائل ، باب (من

فضائل عبد الله بن مسعود : ٥٠١/٧ •

(٣) كتاب المصاحف ص ١٤ ، وراجع فتح البارى : ٦٦٥/٨ •

ويحضر ، وأيضا فان عثمان أراد نسخ الصحف البكرية وجعلها في مصحف
وقد تولى زيد ذلك في عهد أبي بكر ، وكان كاتب الوحي للنبي ﷺ ،
فكانت له في ذلك أولوية ليست لغيره ، فمما لا شك فيه أن تقدير أبي بكر
وعثمان لزيد بن ثابت أصدق من تقدير ابن مسعود لنفسه ، ولذلك سرعان
ما ندم ابن مسعود على مقالته ، فاستحى منها وقال : « ما أنا بخيرهم »
ثم نزل من على المنبر ، ولعله بعد ذلك قدم مصحفه ليحرق .

وبذلك طهر الجو الاسلامي من أوبئة الشقاق والنزاع ، وحظى
مصحف الجماعة بالرضا والاعتناء ، وأصبح مصحف ابن مسعود ، ومصحف
أبي بن كعب ، ومصحف عائشة ، ومصحف علي ، ومصحف سالم مولى
أبي حذيفة وغيرهم أصبحت كلها أو أمثالها في خبر كان ، مغسولة بالماء
أو محروقة بالنيران .

ورضى الله تعالى عن عثمان ، فقد أرضى بذلك العمل الجليل ربه ،
وحافظ على القرآن ، وجمع كلمة الأمة ، وأغلق باب الفتنة ، ولا يزال
المسلمون يقطفون ثمار عمله الى اليوم ، والى أن تقوم الساعة باذن الله
تعالى .

ولن يقدح في عمل عثمان أنه أحرق المصاحف والصحف المخالفة
للمصاحف العثمانية لما علمت وجهة نظره في ذلك . كما أنه لم يفعل
ما فعل من هذا الأمر الجلل الا بعد أن استشار الصحابة ، وأجمعوا على
ما أرادوا وأثنوا عليه .

روى أبو بكر بن الأنباري عن سويد بن غفلة قال : « سمعت علي بن
أبي طالب كرم الله وجهه يقول : يا معشر الناس : اتقوا الله وإياكم والغلو
في عثمان ، وقولكم ، حراق مصاحف ، فوالله ما حرقها الا عن ملأ منا
أصحاب رسول الله ﷺ » .

وغل عمر بن سعيد قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :
 « لو كنت الوالى وقت عثمان ، لفطت فى المصاحف مثل الذى فعل
 عثمان » (١) . رضى الله عن الجميع ، وجزاهم أحسن الجزاء على هذا
 الصنيع العظيم لكتاب الله تعالى .

مقارنة بين الجمع فى عهده الثلاثة

من خلال ما سبق نستطيع أن نقارن بين مرات الجمع فى عهده
 الثلاثة فنقول :

١ - كتابة القرآن مشتركة بين العهود الثلاثة ، وكان يكتب مجردا
 من النقط والشكل ، ولم يجمع فى مكان واحد الا بعد وفاة للنبي ﷺ ،
 جمعه أبو بكر ، ثم عثمان على رأى من الصحابة ورضاهم .

٢ - تجريد القرآن من المنسوخ مشترك بين العهود الثلاثة ، أما
 فى عهد النبي ﷺ ، فإنه لم يترك صحيفة فيها منسوخ ، والا التبس الأمر
 على الناس ، ولما استطاعوا تمييز الناسخ من المنسوخ . وأما فى عهد
 أبى بكر وعثمان فلان زمن النسخ قد انقضى بموت النبي ﷺ .

٣ - ترتيب الآيات فى سورها مشترك فى العهود الثلاثة ، غير أنه
 لم يكتب فى عهد النبي ﷺ فى موضع واحد .

٤ - لم تكتب سور القرآن مرتبة فى المصحف كما هو معهود بين
 أيدينا الآن الا فى عهد عثمان ، وان كان ذلك الترتيب معلوما لديهم
 بتعليم النبي ﷺ وكانوا من قبل يقرأونها ويعلمونها مرتبة كما هى فى
 المصحف اليوم .

(١) راجع تفسير القرطبى ص ٤٧ .

٥ - كان القرآن يكتب في جميع العهود الثلاثة بلغة قريش خاصة ، وقد كان بعض الصحابة يكتب لنفسه أحيانا حسبا تلقى من النبي ﷺ بما يوافق لغته من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ثم لما حصل الخلاف في عهد عثمان أحرق تلك المصاحف وأبقى الصحف البكرية ، لأنها كانت بلغة قريش وكانت خالية من منسوخ التلاوة ، وما كانت قراءته أحاد ولم يستقر في العرضة الأخيرة للقرآن .

٦ - كان الهدف من جمع القرآن مكتوبا في عهد النبي ﷺ مع أنه محفوظ للكل ، لكمال العناية به واتخاذ كل الوسائل الممكنة لحفظه وصيانته من أن يضيع منه شيء أو يغير لفظ بلفظ آخر بعد انتقاله ﷺ إلى ربه .

٧ - وكان الهدف من جمع القرآن مكتوبا في عهد أبي بكر رضي الله عنه خشية أن يضيع شيء من القرآن بموت حفظته في أيادي الجهاد ، ولتكون الصحف مرجعا يرجعون إليها عند الحاجة ، وتجديد ما عساه أن يكون قد تآكل من الصحف النبوية .

أما الهدف من جمع القرآن في عهد عثمان ، فقد كان لرفع الخلاف الحادث في القراءات ، وإثبات ما تواتر عن النبي ﷺ حسب العرضة الأخيرة ، وعدم إثبات أخبار الآحاد ، فهو بمثابة نشر صحيفة رسمية أجمعت عليها الأمة يلتزم بها الجميع ويعرضون عما سواها .

وبذلك حفظ عثمان للنص القرآني قدسيته وللمسلمين وحدتهم ، وهذا من فضائله وعلمه ، وقد كان هذا العمل واجبا عليه ، ولو تركه لعصى الله وحاشاه من ذلك . ورضى الله تعالى عن عثمان وأرضاه ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

(م ٥ - البيان)

الشبه الواردة حول جمع القرآن

ان أعداء الاسلام كثيرون ، وانهم يتربصون به الدوائر ، وكان القرآن ولا يزال هدفا لهم يسددون اليه سهام المطاعن ، ويتخذون من علومه مثار للشبهات يلفقونها زورا وبهتانا ، ويروجونها ظلما وعدوانا .

وان من واجبنا أن نحمل العرين ونقوم بواجب الدفاع فى هذا الميدان ، ولن يتسنى لنا ذلك الا اذا تسلحنا بجميع الأسلحة وفى مقدمتها دراسة تلك الشبهات التى ينشرون سمومها فى مصر وغيرها من بلاد الاسلام عن طريق كتب التبشير التى تطعن فى القرآن الكريم (١) . ومن ذلك ما نقصه عليك فى موضوعنا هذا مشفوعا بالتفنيد .

(١) قبل أن أسطر هذا الكلام بشهر تقريبا رجعت ذات يوم الى البيت بعد صلاة الجمعة فوجدت قد وصلنى كتاب طبع فى بلاد النمسا ، وقد ترجم الى العربية يحمل عنوان (تعليقات على القرآن) سلسلة الهداية العدد الرابع ، اسم المؤلف (خدام الرب) ، ويقع فى مئتين وخمس وأربعين صحيفة من القطع المتوسط ، وهو مكون من قسمين: القسم الأول : تعليقات على بعض موضوعات علوم القرآن ، والقسم الثانى : تعليقات على بعض آيات القرآن من أول سورة الفاتحة الى آخر سورة الناس . وبعد خمسة عشر يوما من وصول هذا الكتاب وصلنى كتاب آخر من نفس السلسلة ويحمل عنوان (أسرار عن القرآن) للمؤلف جرجس سال ، تعريب : هاشم العربى . وهو يحمل نفس السموم والأباطيل التى يحملها الكتاب السابق . وانى أسأل الله تعالى أن يوفقنى لدراسة هذين الكتابين والرد عليهما باذن الله تعالى فى كتاب مستقل ، وانى لأهيب بالمسلمين أن ينتبهوا الى ما يحاك بهم وبدينهم . وصدق الله العظيم اذ يقول : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » وقوله تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردونكم عن دينكم إن استطاعوا) .

الشبهة الأولى والرد عليها

يقولون : « كانت معرفة القرآن قاصرة على أربعة فقط » (١) .
واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله
تعالى عنه قال : « مات النبى ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة ، أبو
الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال : (ونحن
ورثناه) .

وما أخرجه البخارى أيضا بسنده عن قتادة قال : (سألت أنس بن
مالك رضى الله تعالى عنه : من جمع القرآن على عهد النبى ﷺ ؟ قال :
أربعة كلهم من الأنصار ، أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت
وأبو زيد) (٢) .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : هذان الحديثان اللذان يستشهد بهما أولئك الأفاكون على
قولهم : (ان معرفة القرآن كانت قاصرة على أربعة فقط) - يقصدون
بذلك الطعن فى تواتر القرآن - لا حجة لهم فيهما . فالحديثان بينهما
مخالفة فى التصريح بصيغة الحصر وعدمها ، فى ذكر أبى بن كعب مرة ،
وأبى الدرداء مرة أخرى ، مما يدل على أن الحصر - فى كلام أنس رضى
الله تعالى عنه - هو حصر اضافى لا حقيقى .

لأن الروایتين وردتا عن أنس بن مالك ، وهو صادق فى كلتا الروایتين

(١) ص ٢٨ من كتاب تعليقات على القرآن .

(٢) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن ،
باب : القراء من أصحاب النبى ﷺ ٦٦٤/٨ .

وليس بمعقول أن يكذب نفسه ، فتعین أنه يريد من الحصر الذى أورده الحصر الاضافى ، بأن يقال : ان أنسا تعلق غرضه فى وقت ما بأن يذكر الثلاثة ويذكر معهم أبا الدرداء دون أبى بن كعب ، حاصرا الجمع فيهم ، ثم تعلق غرضه فى وقت آخر بأن يذكر الثلاثة ويذكر معهم أبى بن كعب دون أبى الدرداء .

ومما يؤكد ما نقول : أنه قد وردت روايات كثيرة ، حكى بعضهم فيها التواتر - كما يقول ابن حجر - تصرح بأسماء غير أسماء هؤلاء المذكورين فى حديثى أنس ، منها ما أخرجه البخارى بسنده عن عبد الله ابن عمر قال : « سمعت النبى ﷺ يقول : « خذوا القرآن من أربعة ، من عبد الله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبى بن كعب » (١) ، والأربعة المذكورين منهم اثنان من المهاجرين وهما الأولان ، واثنان من الأنصار وهما الأخيران .

ومن هذه الروايات ما أخرجه النسائى بسند صحيح عن عبد الله بن عمر أنه قال : « جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « اقرأه فى شهر ٠٠٠ » (٢) الحديث .

ومنها أيضا ما أخرجه ابن أبى داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظى قال : « جمع القرآن على عهد النبى ﷺ خمسة من الأنصار ، معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبى بن كعب ، وأبو الدرداء ، وأبو أيوب الأنصارى » (٣) .

(١) المصدر السابق .

(٢) راجع فتح البارى لابن حجر : ٦٦٩/٨ وقال عنه له أصل فى الصحيح

راجع ٧١٣/٨ من المرجع السابق .

(٣) المصدر السابق ، وراجع أيضا طبقات ابن سعد : ٣٥٦/٢ .

فهذه الروايات على اختلافها ورد فيها عشرة أسماء من أصحاب النبي ﷺ قد جمعوا القرآن وحفظوه ، وهم : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، وأبى بن كعب ، وعبدالله بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وعبد الله بن عمر ، وعبادة بن الصامت ، وأبو أيوب الأنصارى . فكيف يقال : بعد ذلك إن معرفة القرآن كانت قاصرة على أربعة فقط .

ثانيا : ما ورد عن أنس بن مالك فيما أخرجه البخارى بسنده عنه قال : « بعث النبي ﷺ سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القراء ، فعرض لهم حيان من بنى سليم رعل وذكوان عند بئر معونة فقتلوهم » (١) الحديث وفى رواية من طريق آخر عن أنس قال : « ان رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم ٠٠٠ » (٢) الحديث .

ثالثا : أن المراد من كلام أنس رضى الله تعالى عنه اثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط ، وهذا لا ينفى جمع القرآن وحفظه عن غير القبيلتين من المهاجرين ، لأنه قال ذلك فى معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج ، كما أخرج ابن جرير من طريق سعيد بن عروة عن قتادة عن أنس قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج ، فقال الأوس : منا أربعة من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومن عدلت شهادته شهادة رجاين خزيمة ابن أبى ثابت ، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبى عامر ، ومن حمته الدبر عاصم بن أبى ثابت أى ابن أبى الأفلح . فقال الخزرج منا أربعة

(٢٠١) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب المغازى ، باب غزوة ذات الربيع ٤٤٥/٧ .

جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم ، فذكرهم (١) .

رابعا : ثم أين الخلفاء الأربعة وفيهم عثمان وعلى بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم الذين اتصلت قراءة القرآن بهم عن النبي ﷺ ، وما ورد أن عليا جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ .

اذن : لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع فى نفس الأمر كذلك ، لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه ، والا فكيف الاحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم فى البلاد ؟ وهذا لا يتم الا اذا لقي كل واحد منهم على انفراده ، وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع القرآن فى عهد النبي ﷺ ، وهذا فى غاية البعد فى العادة ، واذا كان المرجع الى ما فى علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك .

خامسا : لما كانت هذه الشبهة لبست بجديدة ولا وليدة اليوم ، وانما هى مأخوذة من كلام الروافض الذين حاولوا تصويب سهامهم الى الطعن فى تواتر القرآن متمسكين بقول أنس رضى الله تعالى عنه ، وقد استكره جماعة من الأعلام ، حاول القاضى أبو بكر الباقلانى توجيه كلام أنس بعدة أجوبة منها :

١ - أن هذا العدد لا مفهوم له ، فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه .

٢ - أن المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التى نزل بها الا أولئك .

٣ - أن المراد من جمعه تلقيه من فى رسول الله ﷺ لا بواسطة ، بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة .

(١) راجع فتح الباري ٦٦٨/٨ ، والاتقان فى علوم القرآن : ١/٩٥ .

٤ - أنهم تصدوا لالقاءه وتعليمه فاشتهروا به ، وخفى حال غيرهم
عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه ، وليس فى نفس الأمر
كذلك ، أو يكون السبب فى خفائهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب
وأمن ذلك من أظهره .

٥ - المراد بالجمع الكتابة ، فلا ينفى أن يكون غيرهم جمعه
حفظاً عن ظهر قلب .

٦ - المراد بالجمع أن أحداً لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه
فى عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك ، بخلاف غيرهم ، فلم يفصح بذلك ،
لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة النبى ﷺ حين نزلت آخر آية منه
فعل هذه الآية الأخيرة ، وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن
جمع جميع القرآن قبلها ، وان كان قد حضرها من لم يجمع الجمع البين .

ولما كان ابن حجر قد ضعف هذه الأجوبة وغيرها من كلام أبى بكر
الباقلانى ووصفها بالتكلف ، سأذكر لك ما قاله المازرى بما يقضى على
هذه التشبه ويهدم بنيانها من القواعد حيث قال : « وقد تمسك بقول أنس
هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه ، فانا لا نسلم حمله على
ظاهرة . سلمناه ، ولكن من أين لهم الواقع فى نفس الأمر كذلك ؟ سلمناه
لكن لا يلزم من كون كل واحد من الجم الغفير لم يحفظه كله أن لا يكون
حفظ مجموعهم الجم الغفير ، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد
جميعه ، بل اذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى » (١) .

قال القرطبى : « قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل فى

(١) راجع فتح البارى : ٦٦٩/٨ ، والاتقان : ٩٤/١ ، برفع اللام المشددة
فى كلمة (الكل) الأولى ، ونصب لام الثانية .

عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العهد ، وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم ، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم « (١) » .

ويؤيد الامام النووي كلا من المازرى والقرطبي فيقول : « روى غير مسلم حفظ جماعات من الصحابة فى عهد النبي ﷺ ، وذكر المازرى خمسة عشر صحابيا ، وثبت فى الصحيح أنه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآن ، وكانت اليمامة قريبا من وفاة النبي ﷺ فهؤلاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ ، فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها ومن لم يحضرها وبقي بالمدينة أو بمكة أو غيرها ؟

ولم يذكر فى هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ونحوهم من كبار الصحابة الذين يبعد كل البعد أنهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم فى الخير وحرصهم على ما دون ذلك من الطاعات ، وكيف نظن هذا بهم ونحن نرى أهل عصرنا حفظه منهم فى كل بلدة الوف ، مع بعد رغبتهم فى الخير عن درجة الصحابة ؟ مع أن الصحابة لم يكن لهم أحكام مقررة يعتمدونها فى سفرهم وحضرهم الا القرآن وما سمعوه من النبي ﷺ ، فكيف نظن بهم اهماله ، فكل هذا وشبهه يدل على أنه لا يصح أن يكون معنى الحديث أنه لم يكن فى نفس الأمر أحد يجمع القرآن الا الأربعة المذكورين .

والجواب الثانى : أنه لو ثبت أنه لم يجمعه الا أربعة ، لم يقترح فى تواتره فإن أجزاءه حفظ كل جزء منها خلائق لا يحصون يحصل التواتر ببعضهم . وليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه ، بل

إذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك . ولم يخالف في هذا مسلم ولا ملحد (١) . وبالله التوفيق .

والخلاصة : أن الصحابة رضی الله عنهم قد حفظوا القرآن وعنوا بتبليغه واقراءه ، والكثير منهم قد فعلوا ذلك في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته حفظه من لا يحصى ، وتلقاه التابعون عن الصحابة ، وعنهم من بعدهم عصرًا بعد عصر الى أن وصل الينا كعهد النبي ﷺ به ، وذلك تحقيقًا لوعده الله تعالى بحفظه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢) .



(١) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢٠٤، ١٩/١٦ الطبعة المصرية .
(٢) الآية ٩ من سورة الحجر .

الشبهة الثانية والرد عليها

يقولون : (ان فى طريقة كتابة القرآن وجمعه دليلا على أنه سقط منه شيء ، وأنه ليس اليوم بأيدينا كل ما زعم محمد أنه نزل عليه) واعتمدوا فى هذه الشبهة على المزاعم الآتية :

أولا : ما جاء فى حديثه قوله : « رحم الله فلانا لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أسقطتهن » (١) ويروى (أنسيتهن) فثبت بهذا من نفس لفظه أنه كان قد أسقط أو أنسى بعض آيات القرآن .

ثانيا : قوله فى سورة الأعلى « سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله . . » (٢) ولنا من هذا الاستثناء أن نزعم أنه أسقط أو أنسى آيات لم يتفق له من يذكره اياها .

ثالثا : أن الصحابة حذفوا من القرآن كل ما رأوا المصلحة فى حذفه فمن ذلك آية المتعة أسقطها على بته ، وكان يضرب من يقرأها ، وهذا مما شئعت عائشة به عليه ، فقالت : انه يجلد على القرآن ، وينهى عنه ، وقد بدله وحرفه .

رابعا : ما كان يرويه أبى بن كعب ، ولا نجده اليوم فيه - أى فى المصحف - ، وهو قوله : (اللهم انا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك . . الى آخر الوتر) .

(١) راجع الحديث بنصه فى صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن ، باب (نسيان القرآن) ٧٠٣/٨ ، وفى صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة : باب (الامر بتعهد القرآن)

خامسا : أن كثيرا من آياته لم يكن لها من قيد سوى تحفظ الصحابة لها ، وكان بعضهم قد قتلوا فى مغازى محمد وحروب خلفائه الأولين ، وذهب معهم ما كانوا يتحفظونه من قبل أن يوعز أبو بكر الى زيد بن ثابت بجمعه ، فلذلك لم يستطع زيد أن يجمع سوى ما كان يتحفظه الأحياء .

سادسا : أن ما كان مكتوبا منه على العظام وغيرها ، فإنه كان مكتوبا عليها بلا نظام ولا ضبط ، وقد ضاع بعضها ، وهذا ما حدا العلماء الى الزعم أن فيه آيات قد نسخت حرفا لا حكما ، وهو من غريب المزاعم ، وحقيقة الأمر فيها أنها قد سقطت بته بضياع العظم الذى كانت مكتوبة عليه ، ولم يبق منها سوى المعنى محفوظا فى صدورهم .

سابعا : لما قام الحجاج بنصرة بنى أمية لم يبق مصحفا الا جمعه وأسقط منه أشياء كثيرة كانت قد نزلت فيهم ، وزاد فيه أشياء ليست منه ، وكتب ستة مصاحف جديدة بتأليف ما أراه ، ووجه بها الى مصر ، والشام ومكة والمدينة ، والكوفة ، وهى القرآن المتداول اليوم ، وعمد الى المصاحف المتقدمة ، فلم يبق نسخة الا أعلى لها الخل وسرحها فيه حتى تقطعت ، وانما رام بفعله هذا أن يتزلف الى بنى أمية ، فلم يبق فى القرآن ما يسوءهم (١) .

(١) راجع هذه المزاعم فى كتاب (أسرار عن القرآن) ص ٣٣ ، ٣٤ تأليف جرجس سال تعريب : هاشم العربى ، وكتاب تعليقات على القرآن ص ٧٤ . وهى عين الأراجيف والأباطيل التى ذكرها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى فى كتابه (مناهل العرفان) وقد رد عليها فضيلته ردا علميا بما يأتى عليها ويهدم بنيانها من القواعد .

وتُرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : أما احتجاجهم الأول - وهو الحديث الذي أوردوه واستدلوا به على زعمهم أن القرآن ناقص وساقط منه ما سقط - فإنه لا ينهض أن يكون لهم فيه حجة فيما زعموا من الشك في الأصل الذي قامت عليه كتابة القرآن وجمعه ، لأنه يخالف النقل والعقل من عدة أوجه :

أما الوجه الأول : فإن الله تعالى قد وعد بحفظ القرآن كما جاء في قوله : « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » (١) ، فلو جاز اسقاط شيء من القرآن أو نسيانه لكان ذلك خلفا - بضم الخاء وسكون اللام - من الله تعالى لوعده ، والله لا يخلف الميعاد كما جاء تقرير ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم .

يقول الألوسي في تفسير هذه الآية : « **أى حفظه من كل ما يقدر فيه كالتحريف والزيادة والنقصان ، وغير ذلك حتى أن الشيخ المهيب لو غير نقطة يرد عليه الصبيان ويقول له من كان : الصواب كذا ، ولم يحفظ سبحانه كتابا من الكتب كذلك ، بل استحفظها الله عز وجل الربانيين والأخبار فوقع فيها ما وقع ، وتولى حفظ القرآن بنفسه ، فلم يزل محفوظا أولا وآخر** » (٢) .

وقال يحيى بن أكثم : كان للمأمون - وهو أمير اذ ذلك - مجلس نظر ، فدخل في جملة الناس رجل يهودى حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة ، قال : فتكلم فأحسن الكلام والعبارة ، قال : فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له : اسرائيلى ؟ قال نعم . قال له : أسلم حتى أفعل بك

(١) الآية : ٩ من سورة الحجر .
(٢) راجع تفسير روح المعاني : ١٦/١٤ .

وأصنع ، ووعدته . فقال : ديني ودين آبائي ؛ وانصرف . قال : فلما كان بعد سنة جاءنا مسلما ، قال : فتكلم عن الفقه فأحسن الكلام ، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال له : الست صاحبنا بالأمس ؟ قال له بلى ، قال : فما سبب اسلامك ؟ قال انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان ، وأنت ترانى حسن الخط ، فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت منى ، وعمدت الى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة فاشتريت منى ، وعمدت الى القرآن فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والتقصان رموا بها فلم يشتروها ، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ ، فكان هذا سبب اسلامى .

قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر ، فقال لى : مصداق هذا فى كتاب الله عز وجل : قال قلت : فى أى موضع ؟ قال فى قول الله تبارك وتعالى فى - حق التوراة والانجيل : « بما استحفظوا من كتاب الله » (١) ، فجعل حفظه اليهم فضاع ، وقال عز وجل فى حق القرآن : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضيع (٢) .

وأما الوجه الثانى : فان ما جاء فى قوله تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى انى أخاف

(١) الآية : ٤٤ من سورة المائدة .

(٢) راجع تفسير القرطبى : ص ٣٦٧ وما بعدها .

أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم» (١) .

يبين الله تعالى أنه لا يجوز للرسول ﷺ ولا يعقل منه أن يبدل شيئاً من القرآن بزيادة أو نقص من تلقاء نفسه ، والا لكان خائناً أعظم الخيانة والخائن لا يمكن أن يكون رسولا . بل يستحق عذاب الله تعالى .

الوجه الثالث : أن هذه الآيات كانت مكتوبة في الوثائق التي استكتبها الرسول ﷺ ، ومحفوظة في صدور الصحابة رضی الله تعالى عنهم الذين تلقوها عنه ، وبلغ عددهم مبلغ التواتر ، وقد أجمعوا جميعاً على صحة جمع القرآن كما سبق بيان ذلك في عهد كل من أبي بكر وعثمان رضی الله تعالى عنهما .

وليس في الحديث ما يدل من قريب أو بعيد أن الآيات لم تكن بالمحفوظات التي كتب عليها كتاب الوحي القرآن للرسول ﷺ أو لأنفسهم ، وليس فيها ما يدل على أن الصحابة قد نسوا تلك الآيات جميعاً ، حتى يخاف عليها وعلى أمثالها من الضياع ، ويخشى عليها السقوط عند الجمع ، واستنساخ المصحف الامام كما يفترى أولئك الأفاكون . بل ان الرواية تثبت صراحة أن في الصحابة من كان يحفظها ويقرؤها الرسول ﷺ يسمعها منه .

الوجه الرابع : أن روايات الحديث لا تفيد أن هذه الآيات التي سمعها الرسول ﷺ قد محيت - بضم الميم - من ذهنه الشريف جملة ، غاية ما تفيد أنه كانت غائبة عنه ، ثم ذكرها وحضرت في ذهنه بقراءة : (عباد بن بشار) ، وغيبة الشيء عن الذهن أو غفلة الذهن عن الشيء غير محوه منه . بدليل أن الحافظ منا لاي نص من النصوص يغيب عنه هذا

النص إذا اشتغل بغيره ، وهو يوقن في ذلك الوقت بأنه مخزون في حافظته بحيث إذا دعاه إليه داع استعرضه واستحضره ثم قرأه .

أما النسيان المرادف لمحو الشيء من الحافظة ، فإن الدليل قام على استحالته على الرسول ﷺ فيما يخل بوظيفة الرسالة والتبليغ ، وإذا عرض له نسيان فإنه سبحانه صيف لا تجيء الا لتزول ، ولا ريب أن نسيان الرسول ﷺ هنا كان بعد أن أدى وظيفته وبلغ الناس وحفظوا عنه ، فهو نسيان لم يخل بالرسالة والتبليغ .

قال الاسماعيلي : النسيان من النبي ﷺ لشيء من القرآن يكون على قسمين :

أحدهما : نسيانه الذي يتذكره عن قرب ، وذلك قائم بالطباع البشرية ، وعليه يدل قوله في حديث ابن مسعود في السهو : « انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني » (١) .

والثاني : أن يرفعه الله تعالى عن قلبه على ارادة نسخ تلاوته ، وهو المشار اليه بالاستثناء في قوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله . . » . فاما القسم الأول : فعارض سريع الزوال لظاهر قوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) . وأما الثاني : فداخل في قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها » (٢) .

اذن : فالنسيان جائز على النبي ﷺ فيما ليس طريقه البلاغ والتعليم عند جمهور المحققين من العلماء . أما ما كان طريقه البلاغ والتعليم ،

(١) راجع فتح الباري : ٧٠٤/٨ .
(٢) راجع صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، كتاب الصلاة ، باب التوجه نحو القبلة : ٦٠٠/١ .

فقد اختلف فيه العلماء ، فمن أجازته أجازته بشرطين : أحدهما : أنه بعد ما يقع منه تليغته - الثاني : أنه لا يستمر على نسيانه ، بل يجعل له تذكرة اما بنفسه ، واما بغيره (١) .

ثانيا : واما اجتلاهم الثاني ، وهو الاستثناء الذى فى قوله تعالى : (سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله . .) فلا يدل على ما زعموا ، لانه استثناء صورى لا حقيقى . والهدف من ذكر هذا الاستثناء أن يعرف - بضم الياء وفتح العين وكسر المراء المشددة - الله تعالى رسوله ﷺ قدرته حتى يعلم أن عدم النسيان من فضله واحسانه عليه لا من قوته هو . او يعرف عباده أن عدم نسيانه ﷺ الذى وعد الله تعالى فى قوله : (فلا تنسى) انما هو محض فضل من الله واحسان ، ولو شاء سبحانه أن ينسيه لانساه ، وفى ذلك الاستثناء الصورى فائدتان :

احدهما : ترجع الى النبى ﷺ حيث يشعر دائما أنه مغمور بنعمة الله وعنايته ، ما دام متذكرا للقرآن لا ينساه .

والثانية : تعود على أمته حيث يعلمون أن نبيهم ﷺ فيما خصه الله به من العطايا والخصائص لم يخرج عن دائرة العبودية ، فلا يفتنون فيه كمن فتن التنصارى فى المسيح بن مريم .

والدليل على أن هذا الاستثناء صورى لا حقيقى أمران :

أحدهما : ما جاء فى سبب النزول ، وهو أن النبى ﷺ كان يتعب نفسه بكثرة قراءة القرآن حتى وقت نزول الوحي ، مخافة أن ينساه

(١) راجع فتح البارى : ٧٠٤/٨ . وراجع أيضا صحيح مسلم بشرح النووى : ٢٢٩/٣ .

ويفلت منه ، فاقترضت رحمة الله بنبيه أن يطمئنه من هذه الناحية ، أن يريجه من هذا العناء . فنزلت هذه الآية . كما نزلت آية « لا تحرك به لسانك لتجعل به ان علينا جمعه وقرآنه ٠٠ » (١) وآية « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه وقل رب زدنى علما » (٢) .

ثانيهما : أن قوله : (الا ما شاء الله) يعلق وقوع النسيان على مشيئة الله اياه . والمشيئة لم تقع لقوله تعالى : (ان علينا جمعه وقرآنه) . واذن : فالنسيان لم يقع ، للعلم بأن عدم حصول المعلق عليه يستلزم عدم حصول المعلق .

والذى عنده ذوق لاساليب اللغة ، ونظير فى وجوه الأدلة ، لم يتردد فى أن الآية وعد من الله تعالى أكيد ، بأن الرسول يقرئه الله تعالى فلا ينسى وعدا منه على وجه التأييد ، من غير استثناء حقيقى لوقت من الأوقات . والا لما كانت الآية مطمئنة له عليه الصلاة والسلام ، ولكان نزولها أشبه بالعبث ولغو الكلام .

يقول الشيخ محمد عبده فى تفسيره للاستثناء فى هذه الآية ما نصه : « ولما كان الوعد على وجه التأييد وللزوم ، ربما يوهم أن قدرة الله لا تسع غيره ، وأن ذلك خارج عن ارادته جل شأنه ، جاء بالاستثناء فى قوله : (الا ما شاء الله) ، فانه اذا أراد أن ينسبك شيئا لم يعجزه ذلك ، فالقصد هو نفي النسيان رأسا . وقالوا : ان ذلك كما يقول الرجل لصاحبه (أنت سهيمى فيما أملك الا ما شاء الله) لا يقصد استثناء شيء ،

(١) الآيات : ١٦ - ١٩ من سورة القيامة .

(٢) الآية : ١١٤ من سورة طه .

وهو من استعمال القلة فى معنى النفى . وعلى ذلك جاء الاستثناء فى قوله تعالى : « وأما الذين سعدوا فى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » (١) أى غير مقطوع . فالاستثناء فى مثل هذا التنبيه على أن ذلك التأييد والتخليد بكرم من الله وسعة جود ، لا بتحتيم عليه وإيجاب ، وأنه لو أراد أن يسلب ما وهب ، لم يمنعه من ذلك مانع .

وما ورد من أنه ﷺ نسى شيئاً كان يذكره ، فذلك ان صح ، فهو فى غير ما أنزل الله من الكتاب والأحكام التى أمر بتبليغها . وكل ما يقال غير ذلك ، فهو من مدخلات الملحددين ، التى جازت على عقول المغفلين فلوثوا بها ما طهره الله ، فلا يليق بمن يعرف قدر صاحب الشريعة ﷺ ، ويؤمن بكتاب الله أن يتلق بشيء من ذلك (٢) .

وعلى فرض أن الاستثناء حقيقى ، فانه يراد به منسوخ التلاوة دون غيره ويكون معنى الآية أن الله تعالى يقرئ نبيه فلا ينسبه الا ما شاء ، وهو ما نسخت تلاوته لحكمة من الحكم التى بينها العلماء فى مبحث النسخ .

قال النسفى فى تفسير الاستثناء ما نصه : « الا ما شاء الله أن ينسخه وهذا بشارة من الله تعالى لنبيه أن يحفظ عليه الوحي حتى لا ينفلت منه شيء الا ما شاء الله أن ينسخه ، فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته » (٣) .

(١) الآية : ١٠٨ من سورة هود .
 (٢) راجع تفسير جزء عم ص ٥٣ للشيخ محمد عبده طبعه دار الشعب .
 (٣) راجع تفسير النسفى : ٣٤٨/٤ .

وخلص الكلام فى معنى الاستثناء فى قوله : (سنقرئك فلا تنسى
إلا ماشاء الله) أنه لا يفهم منه أن الرسول ﷺ نسى حرفا واحدا
مما أمر بتلاوته وتبليغه للخلق ، وابقاء التشريع على قراءته وقرآنيته
من غير نسخ . وذلك على أن المراد من النسيان المحو التام من الذاكرة .
أما ان أريد به غيبة الذهن عنه ، فقد سبق القول فيه .

ثالثا : وأما احتجاجهم الثالث والرابع بأن الصحابة قد حذفوا من
القرآن عند جمعه ما رأوا المصلحة فى حذفه ، ومنه آية المتعة وصيغة
القنوت ، فهو احتجاج باطل قائم على اهمال النصوص الصحيحة
المتوافرة على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أحرص الناس على
الاحتياط للقرآن ، وكانوا أيقظ الخلق فى حراسته ، ولهذا لم يعتبروا
من القرآن إلا ما ثبت بالتواتر ، وردوا كل ما لم يثبت تواتره ، لأنه غير
قطعى ، ويأبى عليهم دينهم وعقلهم أن يقولوا بقرآنية ما ليس بقطعى .
وقد سبق القول فى بيان منهج أبى بكر وعثمان رضى الله تعالى عنهما فى
جمع القرآن فارجع اليه ان شئت ، حتى تعرف مدى امعان هؤلاء الأفاكون
الخراصون فى التجنى على الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

وإذا كان هؤلاء الطاعنون يريدون أن يلمزوا الصحابة ويعيبوهم
بهذه الحيلة البالغة لكتاب الله تعالى ، حتى أسقطوا ما لم يتواتر ، وما
لم يكن فى العرصة الأخيرة ، وما نسخت تلاوته وكان يقرؤه من لم يبلغه
النسخ . نقول : إذا كانوا يريدون أن يلمزوا الصحابة والقرآن بذلك ،
فالأولى لهم أن يلمزوا أنفسهم ، وأن يواروا سواتهم . لأن المسلمين كانوا
ولا يزالون أكرم على أنفسهم من أن يقولوا فى كتاب الله بغير علم ، وأن
ينسبوا الى الله تعالى ما لم تقم عليه حجة قاطعة ، وأن يسلكوا بالقرآن

مسلك التوراة المحرفة والاناجيل المبذلة . وذلك تحقيقاً لوعده الله المؤكد
فى قوله : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وكلمة الفصل فى هذا الموضوع : أن آية المتعة التى يزعمون ،
وصيغة القنوت التى يحكون ، لم تثبت قرآنيتهما حتى يكونا فى عباد
القرآن ، وان ادعوا قرآنيتهما فعليهم البيان : « قل هاتوا برهانكم
ان كنتم صادقين » (١) .

وغاية الامر أن هذه أكاذيب أشاعها الروافض من الشيعة وعمل
على ترويجها الملحدون ، فاتخذها هؤلاء الأفاكون سبيلاً للطعن فى
القرآن الكريم .

فبالنسبة لما كان يروى عن أبى بن كعب - من دعاء القنوت -
وليس موجوداً فى المصحف - وهو قوله : (اللهم انا نستعينك ونستهديك
ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ...) - لأنه ليس بقرآن ولم تقم
حجة عليه بأنه قرآن منزل ، ولو كان كذلك لنقل اليه نقل القرآن ،
وحصل العلم بصحته .

وأما ما أخرجه البيهقى من طريق سفيان الثورى « أن عمر بن
الخطاب قنت بعد الركوع فقال : بسم الله الرحمن الرحيم : اللهم انا
نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من
يفجرك » (٢) .

فان هذا الاثر لم يخرج فى أحد الكتب التى التزم أصحابها الصحة
أولاً ، ثم ان قوله : « قنت بعد الركوع » دليل على أنه دعاء القنوت ،
وهو وارد عند المالكية والأحناف يقوله المصلى فى صلاة الصبح والوتر
عند الأحناف . وأما ذكره بالبسملة فلأنها مطلوبة فى كل أمر ذى بال ،

(١) من الآية ١١١ من سورة البقرة .

(٢) راجع الاتقان : ٨٧/١ .

ولا يقتضى أن يكون قرآنا ، على أن هذه الجمل ليس فيها شيء من سحر القرآن البيانى ولا من بلاغة أسلوبه ، يعرف ذلك أصحاب الذوق . كما أن اختلاف صورته باختلاف الروايات يدل على تصرف الرواة فيه ، وأنه مروى بالمعنى ويمكن أن يكون قد اشتبه أمره على أبى بن كعب ، ثم رجس عنه لما رأى الحق مع جماعة الصحابة .

وأما ما روى عن اثباته فى مصحف أبى بن كعب ، فإنه أيضا لا يدل على أنه قرآن البتة ، لأن مصحف أبى ليس بحجة على الأمة ، حيث كتبه أبى لنفسه ، وقد تقدم أن الصحابة كانوا يكتبون لأنفسهم ، فكانوا ربما كتبوا بعض الأدعية والتفسيرات حتى لا ينسوها ، وكانت تخالف مصحف الجماعة من حيث الترتيب والزيادة والنقصان ، لأن المصحف الامام قد تجرد من كل ما ليس بقرآن ، كما تجرد من منسوخ التلاوة ، وما كتب فيه الا ما استقر فى العرصة الأخيرة باجماع الصحابة وفيهم أبى بن كعب .

ومما يدل على ذلك ما تواتر اليئامن القراءة عن أبى بن كعب من خمسة وثلاثين طريقا رواها عنه ستة من القراء السبعة (١) ، وليس فى طريق واحد منها اثبات لسورتى الخلع والحفد ، بل كلها - بحمد الله تعالى - موافقة لمصحف الجماعة من غير زيادة ولا نقصان كما أنه لا يصح القول بأن هذا كان قرآنا ، ثم نسخ وأبيح الدعاء به ، لأنه لم ينقل هكذا .

(١) أخذ القراءة عن أبى بن كعب من السبعة : نافع من أحد عشر طريقا وعاصم من طريق ، وابن كثير من أربع طرق ، وأبو عمرو من أحد عشر طريقا ، وحمزة من طريقين ، والكسائى من ست طرق ، فهذه خمسة وثلاثون طريقا متواترة فى قراءة الأمة عنه ، وسيأتى بيان ذلك قريبا بأذن الله تعالى .

قال القاضى أبو بكر : « ان كلام القنوت المرورى أن أبى بن كعب أثبتته فى مصحفه ، لم تقم الحجة بأنه قرآن منزل ، بل هو ضرب من الدعاء ، وأنه لو كان قرآنا لنقل الينا نقل القرآن ، وحصل العلم بصحته » ، ثم قال : « ويمكن أن يكون منه كلام كان قرآنا منزلا ثم نسخ وأبيح الدعاء به وخطط بما ليس بقرآن . ولم يصح ذلك عنه ، انما روى عنه أنه أثبتته فى مصحفه ، وقد أثبت فى مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء أو تأويل » (١) .

ثم أضف الى كل ما تقدم أن أبى بن كعب كان فى لجنة الجمع زمن أبى بكر الصديق ، وفى لجنة كتابة المصاحف زمن عثمان ، ولم يرد عنه أنه طلب اضافة هذه النصوص الى القرآن ، ثم ان مصحفه قد قدم - بضم القاف وكسر الدال المشددة - للحرق زمن عثمان فمن أين لنا العلم بما كتب فى مصحفه أنه قرآن ؟؟

رابعا : وأما احتجاجهم الخامس بأن كثيرا من آيات القرآن لم يكن لها من قيد سوى تحفظ الصحابة ، وقد قتل بعضهم وذهب معهم ما كانوا يتحفظونه ، فلا يسلم لهم ولا ينهض أن يكون لهم حجة ، لأن نفس ما كان يتحفظه الشهداء من القراء ، كان يتحفظه كثير غيرهم من الأحياء - أيضا - الذين لم يستشهدوا ولم يموتوا ، بدليل قول عمر - رضى الله تعالى عنه - لأبى بكر : (وأخشى أن يموت القراء من سائر المواطن) ، ومعنى هذا أن القراء لم يموتوا كلهم ، انما المسألة مسألة خشية وخوف .

(١) راجع مناهل العرفان للزرقانى : ٢٧١/١ .

ومعلوم - كما سبق بيانه - أن أبا بكر كان من الحفاظ ، وكذلك عمر ، وعثمان ، وعلى ، وزيد بن ثابت وغيرهم ، وهؤلاء جميعا عاشوا حتى جمع القرآن فى الصحف ، وعاش منهم من عاش حتى نسخ القرآن من الصحف فى المصاحف ، وأجمع على ذلك الصحابة ، مما يجعلنا نؤكد بأن ماكتبه زيد فى المصاحف ، هى كتابة لكل القرآن ، لم تفلت منه كلمة ولا حرف .

كما أن القرآن كله كان مكتوبا ومحفوظا عند الرسول ﷺ ، ومكتوبا أيضا عند كثير من الصحابة ، حتى أن الصحابة فى جمعهم القرآن كانوا يستوثقون له بأن يعتمدوا على الحفظ والكتابة معا ، دون الاكتفاء بأحدهما ، وكانوا فيما يعتمدون عليه من الكتابة يتأكدون من أنه كتب بين يدى النبى ﷺ ، ويطلبون على ذلك شاهدين كما سبق بيا ذلك فى منهج أبى بكر فى جمع القرآن .

خامسا : وأما احتجاجهم السادس بأن ما كان مكتوبا من القرآن على العظام ونحوها كان غير منظم ولا مضبوط ، وقد ضاع بعضها ... الى آخر ما زعموا فى ذلك . فلا يسلم لهم ، لأنه منقوض بما أثبتناه أنفا فى جمع القرآن ، من أن ترتيب آياته كان توقيفيا ، وأن الرسول ﷺ كان يرشد كتاب الوحي أن يضعوا آية كذا فى مكان كذا من سورة كذا ، وكان يقرئها أصحابه كذلك ، ويحفظها الجميع ، ويكتبها من شاء منهم لنفسه على هذا النحو ، حتى صار ترتيب القرآن وضبط آياته معروفا مستفيضا بين الصحابة حفظا وكتابة .

كما أن ما كتب من القرآن بين يدى النبى ﷺ وأودع فى بيته كان مرتب الآيات كذلك فى كل رقعة أو عظمة ، وإن كانت الرقاع والعظام

كثيرة وغير مرتبة . على أننا قررنا كثيرا أن التعويل كان على الحفظ والتلقى قبل كل شيء ، ولم يكن التعويل على المكتوب وحده . فكيف الحال اذا كان محفوظا في الصدور وفي السطور ، اليس في ذلك ضمان أكيد للترتيب والضبط والحصص ؟ .

وأما قولهم في هذا الزعم الكاذب (وقد ضاع بعضها) فمردود أيضا بدليل ما سبق أن قلناه ، وبما ورد عن زيد بن ثابت قوله : « فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فالحقناها في سورتها في المصحف » (١) .

فهذا الحديث يبين أن زيدا لم يجد تلك الآية مكتوبة الا عند خزيمة بن ثابت الأنصاري ، بخلاف غيرها من الآيات ، فقد كانت مكتوبة عند عدد من الصحابة ، وهي محفوظة في صدور كثير من الصحابة يقرءونها ويعرفونها ، والا فما أدري زيد أنها فقدت من الكتابة لو لم يكن يحفظها ، ولو كان يحفظها وحده ما قبلها أحد منه بدليل أنهم ردوا ماجاء به عمر بن الخطاب من آية الرجم وحده .

وأما قولهم في هذا الاحتجاج أيضا : أن ضياع ذلك البعض دعا الصحابة الى دعوى النسخ ، وهو من غريب المزاعم ، فهو قول أثيم أرادوا به الطعن على النسخ ، لانكارهم اياه ، وسوف يأتي بيان ذلك في مبحث خاص ان شاء الله تعالى .

(١) راجع صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، كتاب فضائل القرآن ، باب (جمع القرآن) : ٦٢٧/٨ .

سادسا : وأما احتجاجهم السابع بما نسبوه الى الحجاج ، فهي نسبة كاذبة لا برهان لهم بها ، ولا دليل عليها . لأن التاريخ لم يحدثنا بأن الحجاج جمع المصاحف ، فضلا عن أنه نقص منها أو زاد فيها ، ولو فعل ذلك لكان من الأمور العظام والحوادث الجسام ، ونقل اليها نقلا متواترا ، لأن مثل هذا العمل مما تتوافر الدواعي على نقله .

وكيف يفعل الحجاج ذلك والأمة كلها تقره عليه ، وأئمة الدين من كبار التابعين فضلا عن الصحابة الموجودين في عهده يسكتون ولا ينكرون ، ولا يدافعون ولا يستقبلون ؟ ثم ان الحجاج كان عاملا من العمال على بلاد المسلمين ، فكيف يتأتى له أن يجمع المصاحف ، في غير البلاد التي هو عامل عليها ؟ .

وإذا فرضنا أن الحجاج كان له من القوة والشوكة ما أسكت بها كل الأمة في زمانه على هذا الجرم الكبير والخرق الواسع في الاسلام والقرآن ، فما الذي أسكت المسلمين بعد انقضاء عهد الحجاج ؟ وإذا كان الحجاج قد استطاع التحكم في المصاحف والتلاعب فيها بالنقص والزيادة ، فكيف استطاع أن يتحكم في قلوب الآلاف من حفظة القرآن في عهده ، حتى يمحوا منها ما شاء ويثبت ما أراد ؟ .

هذه دعاوى ساقطة ، تحمل أدلة سقوطها في الفاظها ، وتدلل على جرأة القوم وأغراقهم في الجهل والضلال (ومن يضل الله فما له من هاد) .

وانى لأسأل أولئك الأفاكون الخراصون كم مرة حاول فيها الملحدون أن يحرفوا القرآن بحذف بعض الكلمات والحروف ، وقد باعت كل محاولة بالفشل تحقيقا لوعده الله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

الشبهة الثالثة والرد عليها

يقولون : انه من المستحيل أن يكون القرآن الحالى حاويا لجميع ما أنزل ، اذ من المؤكد أنه ذهب منه جانب ليس بقليل ، وأنسى منه جانب آخر ، وقد استدلوا على شبهتهم هذه بما روى عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - قال : (لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله ، وما يدريه ما كله ؟ فقد ذهب منه قرآن كثير ، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر) يقولون : فهذا يثبت أن القرآن الحالى لا يتضمن جميع ما كان مسطورا فى اللوح المحفوظ ، ولا هو طبق ما نطقت به شفتا محمد ، سيما أن فى آيات عديدة منه اختلافات مدهشة ، ولا يعلم نصها الصحيح أحد (١) .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : قولهم أنه من المستحيل أن يكون القرآن الحالى حاويا لجميع ما أنزل الخ ، كلام مجرد من السند والحجة لا يستحق الرد ، فان ما استندوا فيه الى ما ذكروه ونسبوه لابن عمر رضى الله عنهما ، فان هذه النسبة اليه خاطئة كاذبة ، وعلى فرض صحتها فهى موقوفة وليست بمرفوعة الى النبى ﷺ ، وعلى فرض رفعها فهى معارضة للأدلة القاطعة المتوافرة فى تواتر القرآن وسلامته من التغيير والزيادة والنقصان ، ومعارض القاطع ساقط مهما كانت قيمة سنده فى خبر الواحد .

ثانيا : أن نهايتهم التى ختموا بها هذه الشبهة أقبح من بدايتهم لأنهم رتبوها على تلك الأكاذيب والمهاترات ، ثم ازدادوا فيها اتهاماً

(١) انظر كتابنا السابق

(١) رجوع مناهل العرفان : ٢٨٦/١ .

جديدا مجردا من السند والحجة أيضا ، وهو أن فى آيات عديدة من القرآن اختلافات مدهشة ، ولا يعلم نصها الصحيح أحدا .

فأنت ترى أنهم خرجوا من اتهام الى اتهام آخر ، واحتجوا بكذب على كذب ، وطاوعتهم عقولهم حتى قالوا ما شاء لهم الهوى والتعصب الى هذا الحد ، وكل عاقل لديه أدنى ثقافة من الدين يعلم أن القرآن قد وصل الينا محفوظا من كل عبث كما نطق به الرسول ﷺ ، وكما أنزله الله تعالى القائل : « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (١) والقائل : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢) .

أما زعمهم أن فيه اختلافات مدهشة ، فقد سبق بيان اشتغال القرآن على سبعة أحرف تيسيرا على الأمة التى اختلفت قبائلها ، وتنوعت لهجاتها . وهذا لا يؤدي الى تضادل وتناقض حتى يكون مدهشا .

وأما نصوص القرآن الصحيحة فقد علمها وحفظها جمع كبير يؤمن تراطوهم على الكذب فى كل طبقة من طبقات الأمة من لدن رسول الله ﷺ الى اليوم . فادعاء هؤلاء الأفاكون انه لا يعلم نصوص القرآن الصحيحة أحد ادعاء باطل لا دليل عليه .

(١) الآية : ٤٢ من سورة فصلت .

(٢) الآية : ٤ من سورة الحمر .

الشبهة الرابعة والرد عليها

يقولون : قال أبو عبيد : حدثنا ابن أبي مريم عن أبي لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : « كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي - ﷺ - مائتي آية ، فلما كتب عثمان المصحف لم نقدر منها الا على ما هو الآن » . وقال : عن زر بن حبيش قال قال لى أبي بن كعب كأيّن تعد سورة الأحزاب ؟ قلت : اثنتين وسبعين آية أو ثلاثا وسبعين آية . قال : انها كانت لتعدل سورة البقرة ، وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم . قلت وما آية الرجم ؟ قال : « اذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » (١) فهذه الروايات تدل على أن القرآن سقط منه هذه الآية .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : أن الرواية الأولى التي أخرجها أبو عبيد في الفضائل عن عائشة والتي قالت فيها : كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي مائتي آية . الخ ، وهذا يفيد ضياع شيء من القرآن ، فهذا كلام مختلق ، وموضوع من وضع الزنادقة وكذبهم عليها . قال الالوسي - بعد ذكره للرواية - ومقتضى ما سمعت أنه موضوع ، والحق أن كل خبر ظاهره ضياع شيء من القرآن أما موضوع أو مؤول (٢) .

ثانيا : وأما رواية أبي بن كعب والتي فيها أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة ، وكان فيها آية الرجم ، فهذا الأثر وإن حسنه ابن

(١) راجع تعليقات على القرآن : ص ٣٨ .

(٢) روح المعاني له : ١٣٢/٢١ .

كثير لكنه قال فيه : « وهو يقتضى أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه
وحكمه » (١) .

اذن : فهذا مما نسخ فى العرصة الاخيرة التى يوافقها مصحف عثمان
المجمع عليه ، وكان بعض الصحابة قد قرأوا أشياء من القرآن نسخت
تلاوته وبقي حكمه وقد لا يبقى . ومن ذلك آية الرجم التى وردت عن
أبى بن كعب أنها كانت فى سورة الأحزاب .

ثالثا : أن آية الرجم قد وردت من عدة طرق صحيحة كلها أحادية
لا يثبت بها قرآن ، ولا يمكن أن تعارض القطعى الثابت بالتواتر ، وغاية
ما تدل عليه أنها حديث من أحاديث رسول الله سنة من سننه ، وتسميتها
آية نظرا للمعنى اللغوى لا الاصطلاحى . ويؤيد هذا قول عمر (لولا أن
يقال زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها فى المصحف) إذ لا يقال زاد لما عرف
أنه منه ، لكنه لما كانت عنده سنة مؤكدة وحكما لازما حث على حفظها
ودراستها حتى لا يغفل الناس عنها ، كما حث على حفظ القرآن .

وعمر رضى الله تعالى عنه ما كان يخشى فى الحق لومة لائم ، فلو
أنها كانت من القرآن لاثبتتها ، ولما خاف مقالة الناس ، وكونه هم أن
يكتبها أى فى الحاشية لا فى الصلب - دليل على أنها ليست قرآنا .

رابعا : كيف يعتقد أن يكون هذا الكم الهائل قد سقط من سورة
الأحزاب ، ويعلم أبى بن كعب أنه قرآن ويتركه ، وهو كان ضمن أعضاء
لجنة الجمع البكرى والعثمانى ، فقد أشركه أبو بكر فى الجمع الأول

« فكان رجال يكتبون ويملى عليهم أبى بن كعب » (١) . وكذلك جمع عثمان اثنى عشر رجلا من قريش والانصار لكتابة المصحف وفيهم أبى ابن كعب (٢) .

والخلاصة : أن أبيا قد اشترك فى جمع القرآن فى المرتين ، وهذا دليل على أنه لم يخالف المصحف العثمانى ، فهو ممن أجمعوا عليه ، وان صح أنه كان له مصحف فقد أحرق مع المصاحف .

خامسا : كيف يظن أن هذا الكم قد سقط من سورة الأحزاب وكان يعلم أبى بن كعب أنه قرآن وتركه ، وقد وصلتنا قراءته المرفوعة الى رسول الله ﷺ من ثمانية طرق من العشرة ، فقد أخذ أبى عن النبى ﷺ وعنه أخذ جم غفير الى نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو ، وعاصم ، وحمزة الزيات ، والكسائى ، وكذلك رويت قراءته فى العشرة عند أبى جعفر ، وأيضا عند خلف عن الكسائى بطريقه (٣) .

الشبهة الخامسة والرد عليها

يقولون : أخرج الحاكم فى المستدرک عن أبى بن كعب قال : قال لى رسول الله - ﷺ - ان الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن ، فقرا : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) ، ومن بقيتها : « لو أن ابن آدم سأل واديا من المال فأعطيه سأل ثانيا ، وان سأل ثانيا فأعطيه سأل ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب

(١) راجع الفتح الربانى : ٣٢/١٨ . والمصاحف لابن أبى داود ٣٠٤٩ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٦٠/٣ والمصاحف ص ٢٥ .
(٣) راجع هذه الطرق بالترتيب فى كتاب النشر فى القراءات العشر : ١١٢/١ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٩١ .
وكتاب التيسير ص ٨ ، ٩ .

الله على من تاب » و (ان ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية

ولا النصرانية ، ومن يعمل خيرا فلن يكفره) .

ثم قالوا تعقيبا على هذه الرواية وغيرها : فليخبرنا صاحب كتاب

(اظهر الحق) أين ذهبت هذه الآيات . . . فهذا يثبت ما قلناه ،

وهو أنه ضاع من القرآن شيء كثير (١) .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : أن هذا الحديث وأمثاله أحاديث لم تشتهر بين ثقلة الحديث ،

وانما يرغب فيها من يكتبها طلبا للغريب ، وما كان كذلك فليس لأحد

أن يعترض به على الكتاب الذي حفظ عن رسول الله ﷺ بالتواتر . وعلى

فرض صحة هذا الحديث فهو آحاد لا ينهض لمعارضة القطعي الثابت

بالتواتر ، ولا يثبت به أيضا قرآن .

ثانيا : أن هذا الحديث طعن فيه بعض أهل العلم بأنه باطل ،

ولعل ما يدل على بطلانه أن سورة (لم يكن) بلفظها الذي ورد في

المصحف ثبتت متواترة عن أبي بن كعب ، وأن قوله : (لو كان لابن آدم

واد من مال . . . الخ) ليس بقرآن ، وانما هو حديث نبوي - كما جاء

مصرحا به في رواية البخاري ومسلم - وكذلك ما زيد في هذه السورة

من الفاظ هو البيان والتفسير أشبه منه بالقرآن اذ ليس عليه شيء

من نور القرآن ولا له اعجازه .

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن بعض الصحابة كان يقرأ بعض

آيات القرآن على سبيل التفسير والبيان ، كما كان بعضهم - كأبي بن

كعب وابن مسعود - يكتب في مصحفه بعض التفسيرات ، والتأويلات ،

(١) راجع تعليقات على القرآن : ص ٣٩ .

والأهمية فيظن من يسمعا أو يقف عليها أنها من القرآن ، والحق
خلاف ذلك .

قال أبو بكر الأنباري بعد أن ذكر ما روى عن عكرمة قرأ عليه
عاصم (لن يكن) ثلاثين آية هذا فيها ، قال : هذا باطل عند أهل
العلم ، لأن قراءة ابن كثير ، وأبى عمرو متصلتان بأبى بن كعب لا يقرأ
فيها هذا المذكور في (لم يكن) مما هو معروف في حديث رسول الله
ﷺ على أنه من كلام الرسول عليه السلام لا يحكيه عن رب العالمين في
القرآن ، وما رواه الاثنان معهما الاجماع أثبت مما يحكيه واحد مخالف
مذهب الجماعة (٢) .

ثالثا : أن هذا الأثر قد اضطرب النقل فيه ، فمن قائل أنه آية من
سورة (لم يكن) ، ومن قائل أنه آية من سورة تشبه سورة (براءة)
والباطل دائما لجلج والحق دائما أبلج . وقد وردت هذه القصة في
للصحيحين بدون هذه الزيادات ، ولا شك أن رواية الصحيحين أوثق من
غيرها وأولى بالقبول ، وتدل على أن هذا الافتراء لا طائل من ورائه .

وعلى فرض أن ذلك كان قرآنا فهو مما نسخ ، ويكون من حمل
ذلك عن أبى انما حمله قبل أن ينسخ ، ثم لما نسخ رجع أبى عنه ،
ويقوهم على قراءته لعدم علمهم بالنسخ ، أما جمهور المسلمين العارفين
بأنه نسخ فلم يقرأوا به ولم ينقلوه .

رابعا : فان تعقيب هؤلاء الأفاكون بقولهم : فليخبرنا صاحب كتاب
(اظهر الحق) قد أبان لنا سبب افتراءهم على القرآن الكريم وحقدهم
عليه ، وهو أن رحمة الله الهندي قد بين في كتابه (اظهر الحق) عدم

وجود سند متصل لكتب العهدين القديم والجديد ، وأنهما مملوآن بالاختلاف والأغلاط ، وكشف ادعاءهم الباطل أن كتبهم الهامية ، وأثبت بالدليل القاطع تحريف هذين الكتابين ، ثم أثبت أنهما يشتملان على الناسخ والمنسوخ ، وأثبت بالأدلة والبراهين النقلية القاطعة إبطال التثليث وإبطال ألوهية المسيح (٣) .

ولو أنهم شغلوا أنفسهم بتوجيه ما أورده على كتبهم ، وأثبتوا عكس ما قال - ان كان عندهم برهان على ذلك - بدلا من افتراءهم على القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ لكان أجدى لهم وأنفع . « فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » (٤) .

الشبهة السادسة والرد عليها

يقولون : كان محمد اذا أملى آية على الكاتب يسارع الى حفظها المتديون من قومه ، ولكن ذلك لا يمنع من أن بعض الآيات لم يحفظها أحد ، أو مات الذين حفظوها . جاء في صحيح مسلم أن عائشة قالت ما معناه : (مما أنزل في القرآن عشر آيات في الرضاعة نهى عنها ونسخت بخمس آيات أخرى) ، ومما لا شك فيه أن عائشة سمعت هذه الآيات في زمانها من بعض القراء ، ولا نجد لها اليوم في القرآن .

وروي ابن ماجة : قالت عائشة ان آية الرجم والرضاعة نزلتا ... وكان القرطاس المكتوبتان فيه تحت فراشي . ومات رسول الله حينئذ . وفيما أنا مشغولة بموته دخلت بهيمة وأكلت القرطاس (١) .

(٣) راجع الجزء الأول من كتاب (اظهار الحق) لرحمة الله الهندي .

(٤) آية : ٤٦ من سورة الحج .

(١) راجع تعليقات على القرآن : ص ٧٥ .

وإنه على هذه الشبهة فنقول : *الرسالة* : ١٠٠

أولاً : أن هذا الكلام ادعاء باطل وكذب مكشوف على السيدة عائشة رضي الله عنها . فقد روى الامام مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخت بخمس معلومات ، فتوفى رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن » (٢) .

فانت ترى أنهم حرفوا قولها : « عشر رضعات معلومات » بقولهم (عشر آيات في الرضاعة) وقولها : (ثم نسخت بخمس معلومات) بقولهم : (ونسخت بخمس آيات أخر) . وهذا يدل على كذبهم وافتراءهم ومحاولتهم طمس الحقائق وادعاء الأباطيل .

ثانياً : ورواية مسلم مهما صحت فهي أحادية لا يثبت بها القرآن ، لأن القرآن لا يثبت الا بالتواتر ، ثم هي لا تعارض القطعي الثابت بالتواتر وهو القرآن الذي بين أيدينا اليوم ، وغاية ما تدل عليه هذه الرواية أنها خبر لا قرآن .

قال الحافظ ابن حجر في معرض ذكر ما يقوى مذهب الجمهور القائلين بتحريم قليل الرضاع وكثيره « وأيضاً فقول عائشة (عشر رضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخت بخمس معلومات) ، فمات النبي ﷺ وهن مما يقرأ لا ينهض للاحتجاج على الأصح من قولى الأصوليين ، لأن القرآن لا يثبت الا بالتواتر ، والراوى روى هذا على أنه قرآن لا خبر ، فلم يثبت كونه قرآناً ، ولا ذكر الراوى أنه خبر ، ليقبل قوله فيه والله أعلم .

(٢) الحديث أخرجه مسلم ، كتاب الرضاع ، باب التحريم بخمس رضعات : ١١٠١/٤ من شرح النووى

ومما يدل على أنه ليس قرآنا ، وأنه كان تشريعا ثابتا بالسنة ثم نسخ بالسنة اختلاف الرواية عنها فى القدر المحرم ، ففى رواية الموطأ عنها عشر رضعات ، وعنهما أيضا سبع رضعات ، أخرجه ابن أبى خيثمة باسناد صحيح عنها ، وعبد الرازق أيضا ، وجاء عنها أيضا خمس رضعات كما يدل عليه رواية مسلم ، فاختلف الرواية عنها يدل على أنه كان باجتهاد منها استندت فيه على ما ظهر لها من السنة ، ولو كان قرآنا لما نقل عنها كل هذا الاختلاف (٣) .

وقال الامام النووى فى شرحه على صحيح مسلم (واعترض أصحاب مالك على الشافعية - يعنى القائلين بأن لا حرمة الا بالخمس - بأن حديث عائشة هذا لا يحتج به عندكم وعند محققى الأصوليين ، لأن القرآن لا يثبت بخبر الواحد ، واذا لم يثبت قرآنا لم يثبت بخبر الواحد عن النبى ﷺ ، لأن خبر الواحد اذا توجه اليه قادم يوقف عن العمل به ، وهذا اذا لم يجيء الا بأحد مع أن العادة مجيئه متواترا توجب ريبه . والله أعلم (٤) .

وهكذا يتبين لنا أن الأئمة على أنه ليس بقرآن قط ، وأقصى درجاته أن يكون خبرا صحيحا .

ثالثا : فان قيل كيف ما ذهب اليه من تأويل ، وما ثبت فى الرواية (كان فيما أنزل من القرآن ؟ قلت : المراد كان فيما أنزل من شرح القرآن وبيانه) ولاشك أن السنة شارحة للقرآن ومبينة له . قال الله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم .. » (٥) .

(٣) راجع فتح البارى : ٥٠/٩ .

(٤) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج : ١١٠٨/٤ .

(٥) الآية : ٤٤ من سورة النحل .

وأيضاً فإن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ، ويكون الأمر من قبيل نسخ السنة بالسنة ، ويكون قولها في الحديث (فتوفى رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن) أى من حكم القرآن على أنه سنة لا قرآن ، ولا شك أنهم كانوا يعنون بحفظ السنة أيضاً ، أو يكون المراد وهن فيما يعلم من أحكام القرآن .

رابعا : يمكن تأويل الحديث تأويلا آخر ، وهو أنه يحمل على أنه كان قرآنا ، ثم نسخ لفظه وبقي حكمه ، وبعد النسخ لم يعد يسمى قرآنا ولا له حكمه . فان قيل : هذا تأويل مقبول لولا ما يعارض من قولها : (فتوفى رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن) قلت : انما غرضها الاخبار بأن هذا النسخ لم يقع الا قبيل وفاة النبي ﷺ فعلم بالنسخ الكثيرون وتركوا القراءة به ولم يعلم البعض ، فبقى هذا البعض على القراءة حتى تيقنوا فيما بعد نسخته فتركوا القراءة به .

قال الامام النووي فى شرح هذا الحديث : « ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر انزاله جدا حتى أنه ﷺ توفى وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنا متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده ، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى (٦) .

خامسا : وأما رواية أكل الداجن ، فهي مردودة ومتهافة ، وليس أدل على هذا من أن القرآن كان محفوظا فى الصدور ، فضياع صحيفة منه - فرضا - لا يؤثر فى ثبوت قرآنيته مادامت تحفظه الكثرة الكثيرة من المسلمين ، ثم ان القرآن كان مكتوبا فى العصب والرقاع ، والعظام ، وصحائف الحجارة ، ومثل هذه الأشياء مما لا يتيسر فى العادة للداجن أن تأكله ، خصوصا وأن الرواية - عن عائشة - لم تعين لنا نوع هذا الداجن أهو شاة أم حمام أم غيرها .

أذن : لعله من الواضح أنه قد تبين لنا أن هذه الشبهة واهية لا يقول بها الا مجنون ، ولا يصدق بها الا مأفون . وصدق الله العظيم القائل : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » أى من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل وذلك رغم أنف الحاقدين .

الشبهة السابعة والرد عليها

يقولون : وهذا الكتاب كما اعتراه النقص تطرقت اليه الزيادة أيضا ، وذلك أن الخلفاء الذين أمروا بجمعه أولا لم يفهم أنهم حذفوا منه كل ما رأوا المصلحة فى حذفه حتى زادوا فيه ما ليس منه ، وتصرفوا فى ما دعوه كتاب الله تصرف المالك فى ملكه . . وقد رأيت أن فيه باقرار المسلمين أنفسهم نقصا فى مواضع وزيادة فى غيرها ، وشيئا كثيرا من كلام المخلوقين . وقد استدلووا على هذه الشبهة بما يأتى :

أولا : بما ورد من أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ، وفى رواية كان يحك المعوذتين من مصحفه ، ويقول : انما أمر النبى ﷺ أن يتعوذ بهما . ويقول : انهما ليستا من كتاب الله .

ثانيا : وجاء فيه أيضا من كلام أبى بكر قوله فى سورة آل عمران « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » (١) قال ذلك أبو بكر يوم مات محمد ، وكادت تنشق لذلك عصا أمته ، لانه كان فى نفوسهم أنه لا يموت . ثم لما جمع القرآن ضم اليه هذا الكلام .

وكذلك من كلام عمر - لفظا - قوله : « واتخذوا من مقام ابراهيم

(١) الآية : ١٤٤ من سورة آل عمران .

مصلى « ومعنى أشياء كثيرة حتى أن محمداً نفسه قال : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، وأنه ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن على ماقال ، وعليه فان كان فى قوله : (واتخذوا) الخ معجزة فهى له للقرآن (٢) .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولاً : ان هذا الكلام ادعاء باطل وكذب مكشوف لا يقول به الا ملحد كذاب ، فما كان القرآن ملكا لأحد حتى يتصرف فيه من قبل نفسه ، وقد مر بك دستور جمع القرآن فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، وكتابة المصحف فى عهد عثمان ، وما كان من أمر لجنة الجمع ، ومدى تحريهم فى جمع القرآن ، وعدم قبولهم أى شىء من القرآن من أحد الا ماكان متواترا ، ووجد مكتوبا ومحفوظا فى صدور كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . كيف لا وقد عرفت - فيما سبق - أن عمر بن الخطاب قد أتى بأية الرجم فلم تقبل منه ، ولم تكتب فى المصحف لأنه كان وحده .

ثانياً : أما ما ورد عن ابن مسعود من روايات تدل على انكاره أن المعوذتين ليستا من القرآن ، فهى روايات غير صحيحة ، وأغلب الظن فيها أنها مذبوبة على ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، واليك ما قاله الأئمة :

قال الامام التوروى فى شرح المذهب : (أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها شيئاً كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح) .

وقال ابن حزم فى أول كتابه (المحلى) : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع ، وانما صح عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عنه ، وفيها المعوذتين والفاتحة .

وقال القاضى أبو بكر بن الطيب فى كتاب (التقريب) : لم ينكر عبد الله بن مسعود كون المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وانما أنكر اثباتهما فى المصحف واثبات الحمد ، لأنه كانت السنة عنده ألا يثبت إلا ما أمره النبى ﷺ بآياته وكتبه ، ولم يجده كتب ذلك ولا سمع أمره به ، قال : هذا تاويل منه وليس جمدا للقرآن (٣) .

وقال الرازى فى أول تفسيره : الأغلب على الظن أن هذا النقل عن ابن مسعود كذب باطل (٤) .

قلت : وقد أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن عقبه بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ - : « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ؟ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس » (٥) .
وزاد فيه ابن حبان من وجه آخر عن عقبه بن عامر « فان استطعت أن لا تفوتك قراءتهما فى صلاة فافعل » (٦) .

وذهب الحافظ ابن حجر الى صحة ما روى عن ابن مسعود ، وقال : قول من قال أنه كذب عليه مردود ، والطعن فى الروايات الصحيحة

(٣) راجع هذه الأقوال فى كتاب (البرهان فى علوم القرآن) ١٢٨/٢ .

(٤) راجع تفسير (مفاتيح الغيب) ١١٢/١ .

(٥) راجع صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ، باب فضل قراءة المعوذتين : ٢٦٧/٣ ، والترمذى فى فضائل القرآن ، باب ماجاء فى المعوذتين : ١٧٠/٥ ، والنسائى فى الصلاة (فى المجتبى) .

١٥٨/٢ .

(٦) راجع فتح البارى لابن حجر : ٦١٥/٨ .

بغير مستند لا يقبل ، بل الروايات صحيحة ، والتأويل محتمل ،
وقد أوله القاضى وغيره على انكار الكتابة كما سبق (٧) .

وعلى فرض صحة الرواية - كما قال ابن حجر - عن ابن مسعود
يمكن أن يجاب عنها بما يأتى :

١ - عدم كتابتهما وحكهما لا يستلزم انكار كونهما من القرآن لجواز
أنه كان لا يكتبهما اعتمادا على حفظ الناس لهما لا انكار لقرآنيتهما
فالفاتحة يقرؤها كل مسلم فى الصلاة ، والمعوذتان يعوذ بهما
المسلمون أولادهم وأهليهم ، ويحمل قوله : (كتاب الله) على
المصحف .

قال ابن قتيبة فى (مشكل القرآن) وأما إسقاط الفاتحة من
مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن - معاذ الله - ولكنه ذهب
الى أن القرآن انما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان
والزيادة والنقصان (٨) . ومعنى ذلك أنه يرى أن الشك والنسيان
والزيادة والنقصان مأمونة فى سورة الحمد لقصرها ووجوب
تعلمها على كل أحد لأجل الصلاة .

٢ - أنها رواية أحادية فهى لا تعارض القطعى الثابت بالتواتر ،
والعبرة فى التواتر أن يزوى عن جمع يحيل العقل توأطأهم
على الكذب ، لا أن يخالف فيه مخالف ، فظن ابن مسعود أنهما
ليستا من القرآن لا يطعن فى قرآنيتهما .

قال ابن قتيبة (فى مشكل القرآن) ظن ابن مسعود أن المعوذتين
ليستا من القرآن ، لأنه رأى النبى ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين

(٧) المصدر السابق .

(٨) راجع مناهل العرفان فى علوم القرآن : ٢٧٦/١ .

فأقام على ظنه أنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار (٩) .
٣ - وقيل : يحتمل أن ابن مسعود لم يسمع المعوذتين من النبي ﷺ ،
ولم يتواترا عنده ، فتوقف في أمرهما . وإنما لم ينكر ذلك عليه ،
لأنه كان يصدد البحث والنظر ، والواجب عليه التثبت في هذا
الامر .

قلت : وهذا الجواب هو الذي تستريح اليه النفس ، لأن قراءة
عاصم وحزمة والكسائي عن ابن مسعود ثبتت فيهما المعوذتان والفتحة
وهي صحيحة ، وقلها عن ابن مسعود صحيح ، وكذلك انكار ابن مسعود
للمعوذتين جاء من طريق صححه ابن حجر ، إذا فليحمل هذا الانكار
على أولى حالات ابن مسعود جمعا بين الروايتين .

قال ابن كثير - بعد أن ذكر ما ورد في ذلك من روايات - وهذا
مشهور عند كثير من القراء والفقهاء : أن ابن مسعود كان لا يكتب
المعوذتين في مصحفه ، فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ ، ولم يتواترا
عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك الى قول الجماعة ، فإن الصحابة
- رضی الله عنهم - كتبوها في المصاحف الأئمة ونفذوها الى سائر الأفاق
كذلك ، والله الحمد والمنة (١٠) .

ثالثا : أما ما زعموه من أن آية « وما محمد إلا رسول قد
خلت من قبله الرسل ... » الخ من كلام أبي بكر ، فهو زعم باطل
لا يستند الى دليل ولا شبه دليل . وإنما هو الاغراق في الجهل
والاسراف في الوهم . والآية قد نزلت بعد واقعة (أحد) لمعتاب
أصحاب النبي ﷺ على ما صدر منهم ، وإنما ليست من كلام أبي بكر .

(٩) راجع مناهل العرفان : ١٧٧/١ .
(١٠) راجع تفسير القرآن العظيم : ٥٥٠/٨ ، ط : دار الشعب .

وذلك أنه لما أصيب المسلمون في غزوة (أحد) بما أصيبوا به ، وكسرت رباعية (١١) النبي - ﷺ - ، وشج (١٢) وجهه الشريف ، وجحشت (١٣) ركبته ، وشاع بين المقاتلة أن رسول الله - ﷺ - قد قتل . عند ذلك اختل نظام الجيش وفر الكثيرون ، وقال بعض المسلمين : ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان . وبعضهم جلسوا وألقوا بأيديهم . وقال أناس من المنافقين : ان كان محمد قد قتل ، فالحقوا بدينكم الأول . فقال أنس بن النضر عم أنس ابن مالك : ان كان محمد قتل ، فان رب محمد لم يقتل ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ ؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه ، وموتوا على ما مات عليه . ثم قال : اللهم انى أعتذر اليك مما قال هؤلاء (يعنى المسلمين) وأبرأ اليك مما قال هؤلاء (يعنى المنافقين) ، ثم ألقى بنفسه في ميدان القتال حتى قتل ولقى ربه شهيدا .

فأنزل الله تعالى هذه الآية ليبين للمسلمين خطاهم فيما فعلوا وقالوا حينما علموا أن الرسول - ﷺ - قد قتل ، وأن النبوة لا تقتضى الخلود ، وأنه كغيره من الأنبياء يجوز عليه ما جاز عليهم .

والظاهر أن هؤلاء الطاعنين بزيادة هذه الآية ، وأنها من كلام أبى بكر ، يعتمدون فى طعنهم على ما كان من عمر بن الخطاب يوم وفاة رسول الله ﷺ ، ومن رد أبى بكر عليه بهذه الآية ، فزعموا أنها من كلام أبى بكر ، وماهى من كلام أبى بكر انما هى من كلام رب العزة جل شأنه ، أنزلها قبل وفاة الرسول ﷺ ببضع سنين ، والمسلمون جميعا - ومنهم أبو بكر وعمر - يحفظونها ويعرفونها . غير أن منهم من ذهب

(١١) الرباعية هى التى بين الناب والثنية .

(١٢) شج الوجه : جرحه .

(١٣) جحش الركبة : خدشها .

عنها كعمر ، لهول الحادث وشدة الصدمة ، وتصدع قلبه بموت رسول الله ﷺ فقال ما قال يومئذ .

قال ابن اسحاق : قال الزهري ، وحدثني سعيد بن المسيب ، عن ابي هريرة قال : لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب ، فقال : ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله ﷺ قد توفي ، وإن رسول الله ﷺ ما مات ، ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات ، ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى : فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا ان رسول الله ﷺ مات .

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت الى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت ، عليه بردة حبرة (١٤) فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا . قال : ثم رد البرد عن رسول الله ﷺ ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال على رسلك يا عمر ، أنصت ، فأبى الا أن يتكلم ، فلما راه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، انه من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية :

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » .

قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، قال : وأخذها الناس عن أبي بكر ، فانما هي في أفواههم ، وقال : فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت (١٥) حتى وقعت الى الأرض ما تحملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات (١٦) .

وهذه الآية - كما ترى - لا يشم منها رائحة أنها من كلام أبى بكر بل هي تحمل فى طيها أدلة كونها من كلام الله تعالى ، والصحابه يعلمون أنها من كلام الله تعالى نزلت قبل أن ينزل بهم هذا الخطب الفادح بضع سنين . ولكن ما لحيلة فيمن أعماههم الهوى والتعصب ؟ « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

رابعا : وأما ما زعموه من أن آية « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » من كلام عمر ، فهو مردود أيضا بمثل ما رددنا به زعمهم السابق فى آية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » بل زعمهم هذا أظهر فى البطلان ، لأن الثابت عن عمر - رضى الله تعالى عنه - أنه قال للنبي ﷺ « لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى » فنزلت « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » (١٧) .

-
- (١٥) عقرت : دهشت فلم أستطع التقدم أو التأخر .
(١٦) راجع السيرة النبوية لابن هشام : ٢٣٧/٤ ، ٢٣٨ ط . دار الفكر .
(١٧) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب التفسير : ١٨/٨ وراجع تفسير الحافظ ابن كثير : ٢٤٤/١ وما بعدها .
والآية : ١٢٥ من سورة البقرة .

وهناك فرق بين كلمة عمر في تمنيه الذي هو سبب النزول ، وبين كلمة القرآن النازلة بذلك السبب ، فأنت ترى أن الآية جاءت فيها الفعل بصيغة الأمر ولم يقرن بلفظ (لو) . أما تمنى عمر فجاء الفعل فيه بصيغة الماضي وقرن بلفظ (لو) .

وتحقيق القرآن الكريم أمنية أو أمنيات لعمر لا يدل على أن ما نزل تحقيقاً لهذه التمنيات يعتبر من كلام عمر . بل البعد بينهما شاسع والبون بعيد .

الشبهة الثامنة والرد عليها

يزعم غلاة الشيعة - وهم الرافضة - أن القرآن الذي بين أيدينا الآن ليس كما أنزله الله تعالى ، وإنما القرآن الصحيح - في زعمهم - هو الذي جمعه على بن أبى طالب بإملاء النبي ﷺ ، وتوارثه الأئمة من ولده إلى أن استقر عند القائم محمد بن الحسين العسكري الامتنام الثانى عشر والأخير - عندهم - الغائب فى السرداب ، الذى يخرج آخر الزمان ويظهره للناس ، وهذا القرآن هو الذى لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل ، أما ما عداه فمحرّف ومبديل حذف منه : كل ما ورد صريحاً فى فضائل آل البيت ومدحهم ، وكل ما ورد صريحاً فى فضائح ومثالب أعدائهم ومخالفهم من الصحابة وأتباعهم - بزعمهم .

فقد جاء فى كتاب الكافى لأبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى ، الملقب عندهم (بثقة الاسلام) وكتابه عند الشيعة الاثنى عشرية كصحيح البخارى عند أهل السنة ، جاء فيه عن هشام بن سالم الجواليقى عن أبى عبد الله جعفر الصادق قال : (ان القرآن الذى نزل به جبريل على محمد سبع عشرة ألف آية ، والتي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية ، والبواقى مخزونة عند أهل البيت فيما جمعه على عليه السلام) .

وروى الكليني أيضا عن أبي جعفر محمد الباقر (ع) قال : مادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل الا كذاب ، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله الا على بن أبي طالب والأئمة من بعده (١) .

وروى الصدوق - أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي ، ويلقبونه بالصدوق لشدة وثاقته عندهم - بسنده أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) جمع القرآن فلما جاء به - يعنى الى الصحابة - فقال : (هذا كتاب ربكم كما أنزله الله على نبيكم لم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف ، فقالوا : لاحاجة لنا فيه ، عندنا مثل الذى عندك ، فانصرف وهو يقول : فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) (٢) .

وقد ألف أحد طواغيت الشيعة كتابا فى أخبار التحريف سماه (فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب) (٣) وقد ملأه بالافتراءات والاباطيل على كتاب الله تعالى ، والتي منها : أن الصديق وعمر وعثمان أسقطوا من القرآن سورة الولاية (٤) ، وسورة

(١) راجع : جواهر البيان فى علوم القرآن : ص ٥٠ ، ٥١ ، نقلنا عن أصول الكافي ج ١ ص ١١٠ ط . طهران .

(٢) جواهر البيان ص ٥١ نقلنا عن كتاب النورى (فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب) .

(٣) الكتاب تاليف : حسين بن تقى الدين النورى . وقد ألفه سنة ١٢٩٨ هـ وهو يحتوى على ٣٧٤ صحيفة من القطع الكبير ، وهو مودع بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٩١٢ ب) .

(٤) سورة الولاية نقلها الشيخ الخطيب عن مصحف ايرانى مخطوط ، وقد نقلها المستشرقون وشنعوا بها على المسلمين ، ونصها : (بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي وبالولى الذين

النورين (٥) ، وأسقطوا من القرآن لفظ (بولاية على) بعد كل لفظ (كفروا) وأسقطوا لفظ (فى ولاية على) بعد كل لفظ (أشركوا) . أو (يشركون) أو (نافقوا) ، أو (ينافقون) كذلك أسقطوا لفظ (آل محمد) ، بعد أى لفظ (ظلّموا) فى القرآن ، وغيروا لفظ (أئمة) بلفظ (أمة) حيثما وقع ذلك .

كذلك أسقطوا اسم سبعين رجلا من قريش ، كانوا فى سورة البينة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وإن أكثر سورة الأحزاب أسقطوه ، فقد كانت مثل سورة الأنعام ، فأسقطوا منها فضائل آل البيت ، الى غير ذلك كثير تطالعه فى الكتاب المذكور ، وغيره من كتب الشيعة (٦) .

وملخص ما فى هذه الكتب : أن القرآن الذى بايدى المسلمين اليوم شرقا وغربا أشد تحريفا عند هؤلاء الشيعة من التوراة والانجيل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون !!

بعثناهما يهديانكما الى صراط مستقيم . نبى وولى بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير . ان الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم . والذين اذا تليت عليهم آياتنا كانوا باياتنا مكذبين . ان لهم فى جهنم مقاما عظيما اذا تودى لهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين . ما خلفهم المرسلين الا بالحق وما كان الله ليظهرهم الى أجل قريب . وسبح بحمد ربك وعلى من الشاهدين . أ.هـ . مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٣١ . راجع هذه الرطانة التى لا يخفى بطلانها على مخلوق عاقل ، فى كتاب جواهر البيان فى علوم القرآن ص ٥٢ للدكتور / محمد العيسال .

(٥) سورة النورين أوردها تقى الدين النورى فى كتابه فصل الخطاب المذكور ص ١٥٦ ، وهى طويلة مطلعها (يا أيها الذين آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتنا وحذرانكم عذاب عظيم الخ المصدر السابق .

(٦) هذه التفاسير موجودة بدار الكتب المصرية تحت هذه الأرقام : (تفسير القمى تحت رقم ٥٣١) ، (الكاشانى ٢٨٠٨٤ ب) ، (البرهان ١٩٢٧٠ ب) ، (الكازرانى ٢٩٢٩٩ ب) ، (الخراسانى ٧٨٧) ، (الأصفهانى ١٩٣١٩ ب) .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

هذه الاتهامات مجردة عن السند والدليل ، وهي لا تستحق الذكر لولا أن ردها بعض الملاحدة ، وربما يخدع بها بعض المفتونين ، ويكفى في بطلانها أنهم لن يستطيعوا أن يقدموا عليها برهانا ولا شبه برهان .

والدعوى ما لم يقيموا عليها بينات ابنائهم ادعياء ولكن هكذا شاعت حماقتهم وسفاهتهم (ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) لذلك نقول :

أولا : ان تحلاة الشيعة من أكذب الناس بالنقليات وأجهلهم بالعقليات يعتمدون في أباطيلهم على تواريخ منقطعة الاسناد وكثير من وضع المعروفين بالكذب من أمثال أبى مخنف لوط بن يحيى ، وهشام الكلبي .
الأول : قال عنه الذهبي : اخبارى تالف لا يوثق به . تركه أبو حنيفة وغيره . وقال الدارقطنى : ضعيف . وقال ابن عدي : شيعى مخترف صاحب أخبارهم . وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال مرة ليس بشيء) مات قبل سنة ١٧٠ هـ (٧) .

وعن الثانى : قال الامام احمد : (كان صاحب سمر ونسب ما ظننت أن أحدا يحدث عنه . وقال عنه ابن عساكر : رافضى ليس بثقة . وقال الدارقطنى وغيره متروك) مات سنة ٢٠٤ هـ (٨) .

(٧) راجع ميزان الاعتدال فى نقد الرجال : ٣٦٠/٢ للجافظ الذهبى ،
(٨) راجع ميزان الاعتدال فى نقد الرجال : ٣٥٦/٣ .

وقد اعترف أحد مفسرى الشيعة بهذه الحقيقة - أعنى اعتماد غلاة الشيعة فى ادعائهم تحريف القرآن على أخبار الكذابين - وهو المفسر : محمد جواد البلاغى فى مقدمة تفسيره (آلاء الرحمن) أثناء رده على صاحب كتاب (فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب) حيث قال ما نصه :

(ان المحدث المعاصر - يقصد حسين بن تقي النورى - جهد فى كتاب (فصل الخطاب) فى جمع الروايات التى استدل بها على النقيصة ، وكثر أعداد مسانيدىها بأعداد المراسيل عن الأئمة (ع) فى الكتب ، كمراسيل العياشى وفرات وغيرهما ، مع أن المنتبع المحقق يجزم بأن هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد ، وفى جملة ما أورده من الروايات ما لا يتيسر احتمال صدقها ، ومنها ما هو مختلف اختلافنا يؤول الى التناقى والتعارض هذا مع أن القسم الوافر من الروايات ترجع أسانيدىه الى بضعة أنفار ، وقد وصف علماء الرجال كلا منهم ، أما بأنه ضعيف الحديث ، فاسد المذهب ، مجفوا الرواية ، وأما بأنه مضطرب الحديث والمذهب ، يعرف حديثه وينكر ، ويروى عن الضعفاء ، وأشد الناس عداوة للرضا (ع) وأما بأنه كان غالبا كذابا ، وأما بأنه ضعيف لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ومن الكذابين ، وأما بأنه فاسد الرواية يرمى بالغلو ، ومن الواضح أن أمثال هؤلاء لا تجدى كثرتهم شيئا) (٨) .

وقال عنهم محمد بن سعيد الأصفهانى - أحد الذين يروى عنهم البخارى - سمعت شريكا يقول : « أحمل العلم عن كل من لقيته الا الرافضة ، فانهم يضعون الحديث ويتخذونه ديننا » (٩) .

(٨) تفسير آلاء الرحمن : ٢٦ / ١ للبلاغى ط . النجف .

(٩) المنتقى من منهاج الاعتدال : ص ٢١ ، ٢٢ للحافظ الذهبى .

ثانياً : أن دعوى جمع الامام على القرآن وأنه بأيدي الامام لا أساس لها من الصحة ، وانما هي دعوى مغرضة لا تصدر عن مسلم ، فقد روى البخارى عن ابن سيرين عن عبيدة عن على رضى الله عنه قال : « اقصوا كما كنتم تقضون فانى اكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابى » فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى على على الكذب (١٠) .

وما كان لعلى أن يخالف الصحابة وهو من بيت النبوة مهبط الوحي ، بل لقد أثنى على عمل الصحابة فى المصحف ، روى عبد خير قال : « سمعت عليا يقول أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر هو أول من جمع بين اللوحين » (١١) .

وروى ابن أبى داود أيضا عن سويد بن غفلة الجعفى قال : « والله لا أحدثكم الا شيئا سمعته من على بن أبى طالب رضى الله عنه - سمعته يقول : يا أيها الناس لا تغلوا فى عثمان ولا تقولوا له الا خيرا ، أو قولوا له خيرا فى المصاحف واحرقوا المصاحف فوالله ما فعل الذى فعل الا عن ملا منا » (١٢) .

ثالثا : على فرض أن ادعاء غلاة الشيعة صحيحا ، وهو أن الامام عليا جاء بالقرآن الصحيح الى أبى بكر فردده ، ثم الى عمر

(١٠) صحيح البخارى : ٢٤/٥ ط . دار الشعب .

(١١) أنظر : المصاحف ص ٥ وقد صححه ابن حجر فى فتح البارى ، وابن كثير فى فضائل القرآن ، وحسنه السيوطى فى الانتقان .

(١٢) المصاحف : ص ٢٢ ، ٢٣ وصحح اسناده ابن حجر فى فتح البارى . ٦٣٧/٨

فردده ، ثم الى عثمان فرده ، ولم يقبله أحد منهم . أو أنه أخفاه من باب التقية كما يعتقدون ، فكيف ساغ له أن يخفيه حين آلت اليه الخلافة ، وأصبح هو الأمر الناهى فى الدولة الاسلامية ؟ لقد كان من أوجب الحقوق عليه حينئذ أن يصوب ما أخطأ فيه غيره فى القرآن ، وأن يظهر الصواب ، ويحرق ما عداه كما فعل عثمان ابن عفان ، ما عذر الامام على فى هذا ، ثم ما عذر ابنه الحسين - رضى الله عنه - وقد آلت اليه الخلافة أيضا ؟؟

لذلك نقول : أن ادعاء غلاة الشيعة أن الصحابة - رضى الله عنهم - ردوا بعض القرآن ، وحرفوا البعض الآخر ، ادعاء باطل ، وكذب مكشوف ، وكفر صريح فى دعوى تحريف القرآن من غير دليل ولا برهان . قال ابو زرعة الرازى : « اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب الرسول ﷺ ، فاعلم أنه زنديق ، لأن الرسول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وانما أدى الينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ وانما يريدون - أى غلاة الشيعة - أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة » (١٣) .

رابعا : لقد أخذ الامام على - رضى الله عنه - القراءة عن رسول الله ﷺ ، وعنه رضى الله عنه أخذ أربعة من القراء السبعة هم : عاصم بن أبى النجود ، أخذ قراءته عن على بطريقين ، وحمزة بن حبيب الزيات أخذها عن على بتسع طرق ، وأبو عمرو بن العلاء أخذها عن على بست طرق ، وأبو الحسن على بن حمزة الكسائى أخذها عن

(١٣) انظر مقدمة المنتقى للذهبي ص ١٠ . والاصابة لابن حجر ج ١ ص ١٠ ، ط . بيروت .

على بخمسة طرق ، فتلك اثنتان وعشرون طريقا عن علي بن ابي طالب متواترة فى قراءة الامة ، وكلها على مرسوم المصحف الامام ليس فيها حرف واحد يخالف المصحف ، فضلا عن ثلاث طرق منها سلسلة بالائمة من آل البيت الذين تعتقد الشيعة عصمتهم . فثبت بذلك نهائيا بطلان ما تدعيه الشيعة من اختصاص على بقرآن غير هذا القرآن .

ولما تفتن بعض علماء الشيعة الى ذلك ، وتبين لهم خطورة القول بالتحريف فى القرآن أسرعوا باعلان بطلان القول بالتحريف ورد الأخبار الواردة فى ذلك عندهم ، ومن هؤلاء العلماء : أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى حيث قال فى مقدمة تفسيره (مجمع البيان) « فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه . وأما النقصان منه ، فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة (١٤) أن فى القرآن تغييرا ونقصانا ، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه ، وهو الذى نصره المرتضى - قدس الله روحه - واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء فى جواب المسائل الطربلسيات ، وذكر فى مواضع أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام ، والكتب المشهورة ، وأشعار العرب المسطورة ، فإن العناية اشتدت ، والدواعى توفرت على نقله وحراسته ، وبلغت الى حد لم يبلغه فيما ذكرناه » الى أن قال : « وذكر من خالف فى ذلك من الامامية - يعنى الشيعة الامامية الاثنى عشرية - والحشوية لا يعتد بخلافهم ، فان الخلاف فى ذلك مضاف الى قوم من أصحاب الحديث ، نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته » (١٥) .

(١٤) يقصد بذلك أهل السنة ، وهو تعريض بهم .
 (١٥) راجع تفسير مجمع البيان : ٣٠/١ ط بيروت .

وفى الختام نقول : ان القرآن الذى نقرأه اليوم ، هو القرآن المعجز الذى أنزله الله على رسوله ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ولا تبديل ، وان طعن الملحدين فيه ساقط لا يرتكز على أساس سليم ، وليس يعتبر فى صحة نقل القرآن ألا يخالف فيه مخالف ، وانما المعتبر فى ذلك مجيئه عن قوم يثبت بهم التواتر وتقوم الحجة . وصدق الله العظيم القائل : « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

وقال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقال : « إنا علينا جمعه وقرآنه » .

وقد أجمعت الأمة على أن المراد بذلك حفظه على المكلفين للعمل به وحراسته من وجوه الغلط والتخليط ، وذلك يوجب القطع على صحة مصحف الجماعة وسلامته (١٦) .

وغير معقول أن نبطل ما أجمع عليه المسلمون بروايات معظمها موضوع ، وما صح منها فله محامل صحيحة تحمل عليه ، وليس نصا على ما زعم الزاعمون ، وان من يزعم أن القرآن نقص منه شيء أو زيد فيه شيء فهو كمن يزعم أن الصلوات المفروضة كانت عشرين فأنقصها المسلمون الى خمس ، أو أنها كانت ثلاثا فزادها المسلمون الى خمس سواء بسواء - فاذا صح فى العقول شيء من هذا صح ما تقولوه على انقرآن الكريم . وصدق الله العظيم اذ يقول : « فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .



الفصل الثاني

آيات القرآن الكريم وسورة

١- آيات القرآن :

الآيات : جمع آية ، وهى من المشترك اللفظى الذى يطلق فى اللغة على عدة معانٍ والتي منها :

١ - المعجزة : ومنه قوله تعالى : « سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة » (١) أى معجزة واضحة .

٢ - العلامة : ومنه قوله تعالى : « ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم .. » (٢) أى علامة ملكه .

٣ - العبرة : ومنه قوله تعالى : « ان فى ذلك لآية .. » (٣) أى لعبرة لمن يعتبر .

٤ - الامر العجيب : ومنه قوله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وامه آية » (٤) أى كل واحد منهما صار أمرا عجيبا بالآخر .

(١) الآية : ٢١١ من سورة البقرة .

(٢) الآية : ٢٤٨ من سورة البقرة .

(٣) الآيات : ١١، ١٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩ من سورة النحل .

(٤) الآية : ٥٠ من سورة المؤمنون .

٥ - الدليل : ومنه قوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم .. » (٥) أى ومن دلائل قدرته .

٦ - الجماعة : ومنه قولهم : خرج القوم بآياتهم . أى بجماعتهم . والآية فى الاصطلاح : قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج فى سورة . وقيل : طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وعما بعدها . وهذا التعريف غير مانع لدخول السورة فيه الا اذا راعينا فى التعريف اندراجها فى السورة .

وليس معنى هذا أن الآية لا تعلق لها بمعنى سابقها ولا حقتها ، بل المراد أنها مستقلة فى العد ولا تكون جزءا مما قبلها أو بعدها .

والمناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى ظاهرة ، فهى من القرآن المعجز ، وهى علامة على صدق من جاء بها ﷺ ، وفيها عبرة وذكرى لمن أراد أن يعتبر أو يتذكر ، وهى من الأمور العجيبة لسمو أسئوبها ومعناها ، وفيها معنى الدليل ، لأنها برهان على ما تضمنته من هداية وعلم ، وفيها معنى الجماعة ، لأنها مؤلفة من الحروف والكلمات .

واشتقاق الآية : اما من أى ، فانها هى التى تبين أيا من أى . أو من التأبى الذى هو التثبيت والاقامة على الشئ ، أو من قولهم أوى إليه (٦) .

وآيات القرآن تختلف طولا وقصرا ، وأكثر الآيات الطوال فى السور الطوال ، وأكثر الآيات القصار فى السور القصار ، وأطول آية

(٥) الآية : ٢٢ من سورة الروم .

(٦) المفردات فى غريب القرآن : ص ٣٣ للراغب الأصفهاني .

- فى القرآن كله - هى آية الدين ، وأقصر آية (طه ، ويس) عند من عدهما ، وقد تكون الآية مكونة من كلمة واحدة كقوله تعالى : « مدهمتان » (٧) ، وقد تكون من كلمتين منه قوله : « والضحي » ، وقد تكون أكثر من ذلك ، وهو غالب آيات القرآن .

قال أبو عمرو الذانى : لا نعلم كلمة هى وحدها آية الا قوله تعالى : « مدهمتان » (٨) ومراده مما اتفق على كونه آية بخلاف ما سواها مما هو كلمة واحدة ، أو أقصر منها فى التلطف ، فإنه ليس بمنفق عليه مثل (طه ، ويس ، والنجم ، والحاقة ، والضحي ، والقارعة ، والعصر) .

وقد يطلق اسم الآية ويراد بعضها مجازا وذلك مثل قول ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - أرجى آية فى القرآن « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » (٩) ، فإنه جزء آية باتفاق ، ووقع إطلاق اسم الآية على أكثر من آية وذلك مثل قول الرسول ﷺ لمن سأله عن الحمرة : « ما أنزل الله فيها شيئا الا هذه الآية الفاذة الجامعة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (١٠) . وهاتان آيتان باتفاق ، ومثل ذلك يرد كثيرا فى كلام السلف والخلف ، وفى باب المجاز ما يصحح كل ذلك .

(٧) الآية : ٦٤ من سورة الرحمن .

(٨) راجع الاتقان فى علوم القرآن : ٨٨/١ .

(٩) من الآية : ٦ من سورة الرعد .

(١٠) الحديث : أخرجه البخارى ، كتاب التفسير ، باب (تفسير سورة اذا زلزلت الأرض زلزالها) : ٢١٧/٦ ومسلم فى كتلب الزكاة ، باب (اثم مانع الزكاة) : ٧١/٣ - ٧٣ . والحمرة : جمع حمار ، وهو النهاق من ذوات الأربع .

طريقة معرفة الاي

لا سبيل الى معرفة آيات القرآن الا بالنقل عن الصحابة الذين سمعوا القرآن من الرسول ﷺ ، لأنه ليس للمقياس والرأى مجال فيها ، انما هو محض تعليم وارشاد يدلل أن العلماء عدوا (المص) آية ، ولم يعدوا نظيرها وهو (المر) آية ، وعدوا (يس) آية ، ولم يعدوا نظيرها وهو (طس) آية ، وعدوا (حمعسق) آيتين ، ولم يعدوا نظيرها وهو (كهيعص) آيتين ، بل آية واحدة ، فلو كان الأمر مبني على القياس لكان حكم المثليين واحدا فيما ذكر ، ولم يجيء هكذا مختلفا . وهذا على مذهب الكوفيين ، أما غير الكوفيين لا يعتبرون شيئا من الفواتح آية على الاطلاق .

ومن الأدلة النقلية على أن معرفة الايات توقيفية ما يأتي :

١ - ما أخرجه البخارى عن أبى سعيد بن المعلى قال : كنت أصلى فى المسجد ، فدعانى رسول الله ﷺ فلم أجبه ، ثم أتيته فقلت : يا رسول الله انى كنت أصلى . فقال : « ألم يقل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم) . ثم قال : لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ، ثم أخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن . قال : (الحمد لله رب العالمين) هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته » (١١) . فهذا الحديث يدل على أن الفاتحة سبع آيات

(١١) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب التفسير ، باب ما جاء فى فاتحة الكتاب ٦/٨ - ٧ .

وعلى أنها المرادة بالسبع المثاني فى قوله تعالى : « ولقد أتيناك
سبعاً من المثانى والقرآن العظيم » (١٢) .

٢ - وأخرج مسلم عن أبى بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا
المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت : « الله لا إله
إلا هو الحى القيوم ، فضرب فى صدرى وقال ليهنك العلم أبا
المنذر » (١٣) .

٣ - وأخرج البخارى ومسلم عن غيرهما عن أبى مسعود البدرى أنه قال :
قال النبى ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة
كفتاه » (١٤) .

٤ - وأخرج الامام أحمد بسنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال :
« ان سورة فى القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غفر له
تبارك الذى بيده الملك » (١٥) .

(١٢) الآية : ٨٧ من سورة الحجر .

(١٣) راجع صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ، باب فضل سورة
الكهف وآية الكرسي : ٢٦١/٣ - ٢٦٢ ، ورواه أبو داود فى الصلاة
باب ما جاء فى آية الكرسي : ٧٢/٢ .

(١٤) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن ،
باب فضل سورة البقرة : ٦٧٢/٨ . وصحيح مسلم بشرح النووى
كتاب الصلاة ، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة :
٢٥٨/٢ ، ٢٥٩ ، وأبو داود فى الصلاة ، باب تحزيب القرآن ،
٥٦/٣ ، ٥٧ ، ورواه الترمذى فى فضائل القرآن ، باب ما جاء فى
آخر سورة البقرة : ١٥٩/٥ ، وابن ماجه فى الصلاة : ٤٣٥/١ -
٤٣٦ الحديث ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ .

(١٥) راجع مسند الامام أحمد : ٣٢١/٢ .

عدد آيات القرآن

قال صاحب التبيان ما نصه : « وأما عدد آي القرآن فقد اتفق العادون على أنه ستة آلاف ومائتا آية وكسر ، إلا أن هذا الكسر يختلف باختلاف أعدادهم : ففي عدد المدنى الأول سبع عشرة ، وبه قال نافع . وفي عدد المدنى الأخير أربع عشرة عند شيبه ، وعشر عند أبى جعفر . وفي عدد المكى عشرون . وفي عدد الكوفى ست وثلاثون ، وهو مروى عن حمزة للزيات . وفي عدد البصرى خمس ، وهو مروى عن عاصم الجهدرى ، وفى رواية عنده أربع ، وبه قال أيوب بن المتوكل البصرى ، وفى رواية عند البصريين أنهم قالوا : تسع عشرة ، وروى ذلك عن قتادة . وفى عدد الشامى ست وعشرون ، وهو مروى عن يحيى بن الحارث الذمارى » (١٦) .

وسبب هذا الاختلاف أن النبى ﷺ كان يقف على رعوس الآي تعليماً لأصحابه أنها رعوس آي حتى إذا علموا ذلك وصل - ﷺ - الآية بما بعدها طلباً لتمام المعنى ، فيظن بعض الناس أن ما وقف عليه النبى ﷺ ليس فاصلة ، فيصلها بما بعدها معتبراً أن الجميع آية واحدة ، والبعض يعتبرها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها . وهذا الخلاف لا محذور فيه ، لأنه لا يؤدى الى زيادة ولا نقصان فى القرآن ، وإنما غايته تعيين محل الفصل أو الوصل .

وممن عنى بأحصاء آي القرآن من الصحابة : ابن عمر ، وابن عباس ، وأنس ، وعائشة رضى الله عنهم . ونقله عنهم التابعون . فمن

أهل المدينة عروة بن الزبير ، وعمر بن العزيز . ومن أهل مكة عطاء
ابن أبي رباح ، وطاوس . ومن أهل الكوفة أبو عبد الرحمن السلمي ،
وزر بن حبيش ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، والنخعي . ومن أهل
البصرة الحسن البصري ، وابن سيرين . ومن أهل الشام كعب الأحمار
وغيرهم (١٧) .

فوائد معرفة الآيات

ولمعرفة الآيات وعددها وفواصلها فوائد منها :

١ - معرفة الوقف ، والوقوف على رموس الآي سفة كما يدل على ذلك
ظاهو الحديث الذي رواه أبو داود عن أم سلمة رضى الله عنها
أن النبي ﷺ كان اذا قرأ قطع قراءته آية آية ، يقول (بسم الله
الرحمن الرحيم) ثم يقف . (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف .
(الرحمن الرحيم) ثم يقف (١٨) . وفى مسند الامام أحمد ،
وسنن أبى داود ، وصحيح ابن خزيمة ، ومستدرک الحاكم ، عن
أم سلمة ، قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته : بسم الله
الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك
يوم الدين . وقال الدارقطنى : صحيح الاسناد (١٩) .

(١٧) فصل الخطاب فى سلامة القرآن الكريم : ص ١٣ .

(١٨) الحديث : أخرجه الحاكم فى المستدرک ، كتاب التفسير : ٢٣٢/٢

وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(١٩) الحديث : أخرجه الحاكم أيضا : ٢٣١/٢ .

٢ - أنه يعين على صحة الصلاة ، فان الاجماع قد انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية ، وقال جمع من العلماء تجزىء بآية ، وآخرون بثلاث آيات ، وآخرون لابد من سبع ، وكذلك اعتبارها فيمن جهل الفاتحة ، فانه يجب بدلها سبع آيات عند من أوجبها . ومنها اعتبارها في الخطبة ، فانه تجب قراءة آية كاملة فيها ، ولا يكفى شرطها ان لم تكن طويلة ، وكذلك الطويلة على ما عليه الجمهور .

٣ - ان الاعجاز لا يقع بأقل من ثلاث آيات قصار أو آية طويلة تعدل بطولها تلك الثلاث القصار . ووجه ذلك أن الله تعالى أعلن التحدى بالسورة الواحدة فقال سبحانه : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله » (٢٠) ، والسورة تصدق بأقصر سورة كما تصدق بأطول سورة ، وأقصر سورة فى القرآن هى سورة الكوثر ، وهى ثلاث آيات قصار . فثبت أن كلا ثلاث آيات قصار معجزة ، وفى قوتها الآية الواحدة الطويلة التى تكافئها . فاذا لم نعرف الآية لا يمكننا أن نعرف القدر المعجز من القرآن .

ترتيب آيات القرآن

أجمعت الأمة على أن ترتيب الآيات فى سورها - على ما نراه فى المصاحف اليوم - واقع بتوقيف من النبى ﷺ عن الله تعالى ، وأنه لامجال للرأى والاجتهاد فيه . بل كان جبريل ينزل بالآيات على الرسول ﷺ ويرشده الى موضع كل آية من سورتها . ثم يقرؤها النبى ﷺ على أصحابه ، ويأمر كتاب الوحي بكتابتها معينا لهم السورة التى تكون فيها الآية ، وموضع الآية من هذه السورة .

أما الاجماع فقد نقله غير واحد من العلماء . منهم الزركشى فى البرهان قال : « فاما الآيات فى كل سورة ووضع البسمة أوائلها فترتيبها توقيفى بلا شك ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوز تعكسها » (٢١) .

وقال القاضى أبو بكر : « ان الأمة ضبطت عن النبى ﷺ ترتيب أى كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة » (٢٢) .

وقال أبو جعفر بن الزبير فى مناسباته : « ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه - ﷺ - وأمره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين » .

وقال ابن الحصار : « ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها انما كان بالوحى : كان رسول الله ﷺ يقول ضعوا آية كذا فى موضع كذا . وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ ، ومما أجمع عليه الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف » (٢٣) .

ومن الأحاديث الدالة على أن ترتيب الآيات فى سورها كان توقيفيا ما يأتى :

١ - ما أخرجه البخارى بسنده عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان « والذين يتوفون منكم ويدرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ٠٠ » (٢٤) قد نسختها الآية الأخرى (٢٥)

(٢١) راجع البرهان فى علوم القرآن : ٢٥٦/١ .

(٢٢) الاتقان فى علوم القرآن : ٨٢/١ .

(٢٣) المصدر السابق .

(٢٤) الآية : ٢٤٠ من سورة البقرة .

(٢٥) الآية : ٢٣٤ من سورة البقرة .

فلم تكتبها أو تدعها - أي لم تكتبها وهي منسوخة ، أو لم تدعها
مكتوبة وقد نسخت - فأولئك من الراوى أى اللفظين قال - قال
يا ابن أخى لا أخير شيئا من مكانه « (٢٦) » .

فهذا الحديث أبلج من الصبح فى بيان أن اثبات هذه الآية فى
مكانها - مع كونها منسوخة - توقيفى لا يستطيع عثمان باعترافه أن
يتصرف فيه ، لأنه لا مجال للرأى فى مثله .

٢ - ومنها ما رواه مسلم بسنده عن عمر قال : ما سألت النبى ﷺ عن
شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بأصبعه فى صدرى
وقال : « أما يكفيك آية الصيف التى فى آخر النساء » (٢٧) .

فأنت ترى أنه ﷺ دله على موضع تلك الآية من سورة النساء ،
وهى قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلاله . . . » (٢٨) . الخ
الآية .

٣ - ومنها ما رواه الامام أحمد باسناد حسن عن عثمان بن أبى العاص
قال : كنت جالسا عند رسول الله ﷺ اذ شخص ببصره ثم صوبه ،

(٢٦) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب التفسير ، باب
(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا . .) الخ : ٤١/٨ الحديث
٤٥٣٣ .

(٢٧) مسلم ، كتاب الفرائض : ٦١/٥ . ومسند الامام أحمد : ٢٦/١ ،
٣٨ . وسميت آية الصيف ، لأنها نزلت فى الصيف ، وقال الواحدى :
أنزل الله فى الكلاله آيتين : احدهما فى الشتاء ، وهى التى فى
أول النساء ، والأخرى فى الصيف ، وهى التى فى آخرها .

(٢٨) الآية : ١٧٦ من سورة النساء .

ثم قال : أتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية فى هذا الموضع من هذه السورة « إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » (٢٩) . الآية فهذا يدل على أن جبريل عليه السلام أعلم النبى ﷺ هذه الآية من سورتها .

٤ - ومنها ما رواه الترمذى والحاكم وغيرهما من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا « (٣٠) » .

وهذا الحديث من أوضح الأدلة على أن هذا الترتيب الذى رتبته الله عليه ، ولأجله كان ﷺ يدلهم على موضع السورة من القرآن ، والآية من السورة ليكتب ويحفظ على نظمه وترتيبه .

٥ - وروى أبو يعلى فى مسنده عن المسور بن مخرمة قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف يا خال أخبرنى عن قصتكم يوم أحد قال : اقرأ بعد العشرين ومائة من (آل عمران) تجد قصتنا « وإذ غدوت من أهلك تبسوء المؤمنین مفسدات للقتال والله سميع عليم » (٣١) . وهذا الدليل من أقوى الأدلة على أن الترتيب

(٢٩) مسند الامام أحمد : ٢١٨/٤ . والفتح الربانى : ١٩١/١٨ - ١٩٢ .
(٣٠) الحديث : ذكره ابن حجر فى فتح البارى : ٦٣٩/٨ وقال : رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عباس عن عثمان بن عفان . والآية : ٩٠ من سورة النحل .

(٣١) راجع البرهان فى علوم القرآن : ٢٤١/١ .

(٩ م - البيان)

الموجود فى المصحف اليوم هو الذى كان فى عهدى النبى ﷺ
والصحابه ، لان هذه الآيه رقمها المائة وواحد وعشرين من المصحف .

٦ - ومن النصوص الاجمالية الدالة على ذلك - ايضا - ما ثبت من
قراءته ﷺ لسور عديدة من القرآن الكريم منها ما رواه البخارى
والنسائى وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « ان
أم الفضل سمعته وهو يقرأ (والمرسلات عرفا) فقالت يا بنى والله
لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة أنها لآخر ما سمعت من رسول الله
ﷺ يقرأ بها فى المغرب » (٣٢) .

وعندهما عن عدى قال : سمعت البراء قال أن النبى ﷺ كان فى سفر
فقرأ فى العشاء فى احدى الركعتين بالتين والزيتون (٣٣) . وروى
الشيخان واللفظ للبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كان النبى
ﷺ يقرأ فى الجمعة فى صلاة الفجر ألم تنزيل السجدة ، وهل أتى
على الإنسان » (٣٤) . وروى مسلم عن أبى واقد الليثى أن النبى ﷺ
كان يقرأ فى الأضحى والفطر بـ « ق والقرآن المجيد ، واقتربت الساعة
وانشق القمر » (*) وعن النعمان بن بشير قال : كان رسول الله ﷺ
يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بـ (سبح اسم ربك الأعلى ، وهل أتاك
حديث الغاشية) ، قال : واذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ
بهما أيضا فى الصلاتين » (٣٥) الى غير ذلك من النصوص الكثيرة
الدالة على أن الرسول ﷺ كان يقرأ سورا كاملة فى الصلاة وغيرها .

• (٣٢ ، ٣٣) صحيح البخارى : ١٩٤/١ .

• (٣٤) صحيح البخارى : ٥/٢ .

• (*) صحيح مسلم بشرح النووى : ٤١٢/٣ الحديث ٢٠٢٥ .

• (٣٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ، باب ما يقرأ فى

صلاة الجمعة : ٣/٣٦٦ .

ومن المجمع عليه أن ترتيب الآيات ليس بحسب نزولها ، وإنما يرجع الى المناسبات والروابط البلاغية ، فقد تنزل الآية بعد الآية بسنين وتكون فى ترتيب التلاوة والكتابة قبلها . وليس أدل على هذا من تقدم بعض الآيات الناسخة على الآيات المنسوخة مع أن الناسخ متأخر عن المنسوخ فى النزول قطعاً ، وذلك مثل آية : «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشر» فإنها ناسخة لآية : «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج» فالآية الأولى متقدمة فى الترتيب متأخرة فى النزول .

وفى الأثر عن محمد بن سيرين قال : قلت لعكرمة الفوه - أى القرآن - - كما أنزل الأول فالأول ؟ قال : لو اجتمعت الانس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا . وصدق عكرمة ، فإن ترتيبه حسب النزول غير مستطاع من البشر ، لأن الله لم يرد أن يكون تأليف كتابه المعجز على حسب النزول ، وإنما اقتضت حكمته تعالى أن يكون على حسب المناسبات البلاغية ، وأسرار الاعجاز .

يقول الدكتور / محمد عبد الله دراز : « لقد كان للنجوم القرآنية فى تنزيلها وترتيبها ظاهرتان مختلفتان ، وسبيلان قلما يلتقيان ، ولقد خلاص لنا من بين اختلافهما أكبر العبر فى أمر هذا النظم القرآنى : فلو أنك نظرت الى هذه النجوم عند تنزيلها ونظرت ما مهد لها من أسبابها لرأيت قولاً مرتجلاً عند باعته - ولو أنك نظرت فى الوقت نفسه ، وقد أعد لكل نجم مكانه الخاص لرأيت أن هناك خطة شاملة تفصيلية قد رسمت فيها مواقع النجوم قبل نزولها ، بل من قبل أن

تخلق أسبابها ، وأن هذه الخطة قد أبرمت بأكبر العزم والتصميم ،
فما من نجم وضع فى مكان ما من السورة ثم وجد عنه أبرد الدهر
مصرفا ولا متحولا ، ولن تجد هذه الأوضاع الا مقصودة بعينها ،
كما ظهر القصد فى كل طائفة أن تنتظم منها وحدة محدودة ذات
ترتيب ومقدار بعينه « (٣٦) . وصدق الله العظيم اذ يقول : « كتاب
أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

ثانيا : سور القرآن

السورة فى اللغة : المنزلة ومن القرآن معروفة ، لأنها منزلة بعد
منزلة مقطوعة عن الأخرى ، والشرف ، وما طال من البناء وحسن ،
والعلامة ، وعرق من عروق الحائط (٣٧) .

قال القتيبي : السورة تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من
(أسارت) أى أفضلت من السور ، وهو ما بقى من الشراب فى الاناء ،
كانها قطعة من القرآن . ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم
وسهل همزتها .

ومنهم من شبهها بسور البناء ، أى القطعة منه ، أى منزلة بعد
منزلة . وقيل : من سور المدينة لاحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع
البيوت بالسور ، ومنه السوار لاحاطته بالساعد ، وعلى هذا فالواو
أصلية . ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة ، لأن الآيات مرتبة
فى كل سورة ترتيبا مناسبا ، وفى ذلك حجة لمن تبع الآيات

(٣٦) راجع كتاب الذب العظيم ص ١٥٠ بتصريف .
(٣٧) راجع لسان العرب لابن منظور : ص ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ط . دار
المعارف وراجع القاموس المحيط للفيروز آبادي :

بالمناسبات (١٣٨) . وجمع سورة سور - بضم السين وفتح الواو -
وسورات .

والسورة فى الاصطلاح : طائفة مستقلة من القرآن ذات مطلع
ومقطع . وقال الجعبرى : قرآن يشتمل على أى ذوات فاتحة وخاتمة ،
وأقلها ثلاث آيات (٣٩) .

والمناسبة بين المعنى الاصطلاحى والمعنى اللغوى واضحة ، فهى ان
كانت بمعنى المنزلة - أى المرتبة - فسور القرآن منازل ومراتب يترقى
فيها القارىء من منزلة الى أخرى . وان كانت مأخوذة من سورة المدينة
فذلك لاحاطتها بآياتها احاطة السور بالبنيان ، أو السوار بالمعصم .
أو لأنها ضمت آياتها بعضها الى بعض ، كما أن السور توضع لبناته
بعضها فوق بعض حتى يصل الى الارتفاع الذى يراد .

وقيل : لأنها حصن حصين وحماية للرسول ﷺ ولكل قارىء
لها ، وذلك لما تضمنته من مبادئ الحق ، وأحكام الاسلام ،
وباعتبار أنها معجزة وقع بها التحدى يقمع الله تعالى بها كل مكابر ،
ويحق بها الحق ويبطل الباطل . فهى أشبه بسور المدينة يحصنها
ويحميها من غارة الأعداء ووسطوة الأشقياء .

وان كانت مأخوذة من السور ، وهو البقية من الشراب فى الاناء ،
فذلك لأن كل سورة من السور قطعة من القرآن وبقية منه .

معرفة السور توقيفى :

ومعرفة سور القرآن كلها توقيفى كمعرفة آياته . وسور القرآن
تختلف طولاً وقصراً ، فأطول سورة فى القرآن هى سورة (البقرة)
وعدد آياتها ست وثمانون ومائتان آية ، وقيل : خمس وثمانون

(٣٨) البرهان فى علوم القرآن : ٢٦٣/١ ، ٢٦٤ .

(٣٩) المصدر السابق .

ومائتان • وأقصر سورة هي سورة (الكهثر) وعدد آياتها ثلاث آيات
قصار • وبين سورة البقرة وسورة الكهثر سور كثيرة تختلف طولا
وتوسطا وقصرا ، ومرجع ذلك الى الله تعالى وحده لحكم سامية •

الحكمة فى تسوير القرآن

لتجزئة القرآن حكم وفوائد وذلك فيما يأتى :

١ - حسن الترتيب والتنسيق والتنبيه ، فالجنس اذا انطوت تحته
انهاء واصناف كان احسن وافخم من أن يكون بابا واحدا ونوعا
واحدا ، ولا يزال المؤلفون من قدم الزمان الى يومنا هذا
يجعلون كتبه انا ففصلا حتى اضحى حسن الترتيب والتنبيه
من اعظم المشقات الى قراءة الكتاب ، بل أصبح تبويب الكتب
وتنسيقها فنا مستقلا برأسه •

٢ - تسير حفظ القرآن على الناس ، وتشويقهم الى مدارسته وفهمه ،
لانه لو كان سبكة واحدة لا حلقات بها لصعب عليهم حفظه
وفهمه ، واعانهم أن يخوضوا عباب هذا البحر الخضم الذى
لا يشاهدون فيه عن كثب مرافىء ولا شواطىء ، وقد قال تعالى :
« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » (٤٠) •

٣ - أن القارئ اذا أتم سورة من القرآن ، ثم أخذ فى أخرى كان
أنشط له ، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب
بطوله ، ومثل ذلك المسافر اذا قطع رحلة ، ثم شرع فى غيرها
ازداد قوة ونشاطا ، ولا يزال يتجدد نشاطه كلما قطع مرحلة
حتى يصل الى غايته • ومن ثم جزء القرآن الى أجزاء ،
وأحزاب وأرباع •

٤ - أن الحافظ اذا حفظ سورة وحذقها اعتقد أنه أخذ من كتاب الله تعالى طائفة مستقلة بنفسها ، فيعظم عنده ما حفظه ، ويعظم هو في نفوس الناس . يشير الى هذا المعنى حديث أنس - رضى الله تعالى عنه - : « كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا يعنى عظيم » (٤١) ، ومن ثم كانت القراءة فى الصلاة بسورة أفضل .

٥ - أن فى التيسير والتفصيل تلاحق الأشكال والنظائر ، وملائمة بعضها لبعض ، ولذلك نجد أغلب سور القرآن يدور الحديث فيها حول موضوع بارز ولها نمط خاص تستقل به عن غيرها ، فسورة يوسف تتحدث عن قصته ، وسورة ابراهيم تتحدث عنه ، وسورة نوح تتحدث عنه ، وسورة الجن تتحدث عن أحوالهم وهكذا .

وأما الحكمة فى كون سوره طويلا وقصارا :

١ - التنبيه على أن الطول ليس شرطا للاعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات قصار ، وهى معجزة اعجاز سورة البقرة ، وفى هذا اثبات اعجاز القرآن على أبلغ وجه .

٢ - التدرج فى تعليم القرآن - خصوصا الأطفال - من السور القصار الى ما فوقها ، وفى ذلك تيسير من الله تعالى على عباده لحفظ كتابه العزيز ، الى غير ذلك من حكم .

عدد سور القرآن

وعدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة ، أولها سورة الفاتحة

(٤١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور : ١٩/١ وقال : أخرجه أحمد ومسلم وأبو نعيم فى الدلائل .

وأخرها سورة الناس ، وذلك ما اتفق عليه جمهور الصحابة فى تدوينهم للقرآن ، وأثبتوه فى المصاحف العثمانية ، وهو الذى بأيدى المسلمين وفى صدورهم منذ ذلك التاريخ الى يومنا هذا وحتى تقوم الساعة .

ولا التفات لما ورد عن مجاهد من أن عدد سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة ، معتبرا الأنفال والتوبة سورة واحدة ، لعدم وجود البسمة فى أول براءة ، لأن ذلك مردود بما ثبت من أن رسول الله ﷺ سُمى كلا منهما بذاتها ، وباتفاق الصحابة على العدد الأول ، واثباته فى مصحف عثمان رضى الله عنه .

أو بما ورد من أن عدد السور فى مصحف ابن مسعود مائة واثنى عشرة سورة ، لأنه كما قيل : لم يكتب المعوذتين فى مصحفه . أو بما ورد من أن مصحف أبى بن كعب به مائة وست عشرة سورة ، لأنه كان يكتب فيه سورتى الخلع والحفد ، لأن كلا منهما رجع الى اجماع الصحابة ، ووردت قراءة كل منهما لنا من عدة طرق على ما جاء فى مصحف عثمان رضى الله عنه .

أسماء سور القرآن

قد يكون للسورة اسم واحد ، وهو كثير ، وذلك مثل سورة النساء ، والأعراف ، والأنعام ، ومريم ، وطه ، والشورى ، والمدثر ، وغير ذلك .

وقد يكون لها اسمان ، وذلك مثل سورة البقرة ، فإنه يقال لها (قسطاط: القرآن) لعظمتها وبهائها ، و (آل عمران) يقال : اسمها فى التوراة (طيبة) . و (النحل) تسمى سورة النعم ، لما عيّد الله فيها من النعم على عباده . و (الجاثية) تسمى الشريعة ، وسورة

(محمد ،) ﷺ وتسمى القتال . وقد يكون لها ثلاثة أسماء ، وذلك مثل سورة (المائدة) وتسمى العقود والمنفذة . وسور (غافر) وتسمى الطول والمؤمن .

وقد يكون للسورة أكثر من ذلك ، كسورة (براءة) تسمى أيضا التوبة ، والفاضة ، والبحوث - بفتح الباء - ، وقد أنهى السيوطي أسماؤها الى عشرة أسماء . وسورة (الفاتحة) تسمى أيضا فاتحة الكتاب ، وأم الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني ، والشافية ، والكافية ، والأساس ، وقد أنهى السيوطي أسماءها الى خمس وعشرين اسما الى غير ذلك من السور التي تسمى بأكثر من اسم واحد .

وكما سميت السورة الواحدة بعدة أسماء سميت سور عديدة باسم واحد ، وذلك كالسور المسماة بـ (ألم) ، و (حم) وذلك على القول بأن فواتح السور أسماء لها ، وتكون هذه الأسماء من قبيل المشترك اللفظي ، والتمييز بين السور يكون بقريضة ضميمة اليها ، فيقال : (ألم البقرة) و (ألم آل عمران) و (ألم السجدة) ويقال : (حم غافر) و (حم السجدة) وهكذا .

هل تسمية السور توقيفية أم اجتهادية ؟

قيل : انها توقيفية ، وعليه فنقف عند الحد الوارد منها .
وقيل انها اجتهادية ، وعلى هذا فلا يعدم الناظر أن يستنتج للسورة الواحدة أسماء أخرى غير الواردة فيها . والظاهر الاول .

قال السيوطي : وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشيعة الاطالة لبيحت ذلك .

ومما يدل لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال :
« كان المشركون يقولون : سورة البقرة وسورة العنكبوت يستهزئون
بها ، فنزل قول الله تعالى : « إنا كفيناك المستهزئين » (٤٢) .

قلت : وعلى هذا يكون التوقيف أعم من أن يكون عن النبي
ﷺ ، أو عن أصحابه الذين شهدوا الوحي والتنزيل .

وقد ذكره بعضهم أن يقال سورة كذا لما رواه الطبراني والبيهقي
عن أنس مرفوعا « لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة
النساء ، وكذا القرآن كله ، ولكن قولوا السورة التي تذكر فيها البقرة
والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذا القرآن كله » . قال السيوطي :
وأسناد الحديث ضعيف ، بل ادعى ابن الجوزي أنه موضوع (٤٣) .
وقال البيهقي : إنما يعرف موقوفا على ابن عمر ، ثم أخرجه عنه
بسند صحيح ، وقد صح إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه ﷺ (٤٤) .
وفى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : هذا مقام الذي أنزلت عليه
سورة البقرة . ومن ثم لم يكرهه الجمهور (٤٥) .

وللزركشي فى هذا المقام كلام طويل حيث قال فى البرهان مانصه :
« ينبغى البحث عن تعداد الأسماء ، هل هو توقيفى أو بما يظهر
من المناسبات ؟ فان كان الثانى فلم يعد الفطن أن يستخرج من
كل سورة معانى كثيرة تقتضى اشتقاق أسماء لها وهو بعيد . قال :

(٤٢) راجع الاتقان : ٦٩/١ والآية : ٩٥ من سورة الحجر .
(٤٣) راجع فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ، كتاب فضائل
القرآن : ٧٠٦/٨ .

(٤٤) راجع صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن ، باب من لم ير
بأنما أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا .
(٤٥) الاتقان فى علوم القرآن : ٦٩/١ ، ٧٠٤ .

وينبغي النظر فى اختصاص كل سورة بما سميت به ، ولاشك أن العرب تراعى فى كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون فى الشيء من خلق أو صفة تخصه ، أو تكون معه أحكم ، أو أكثر أو أسبق لادراك الرأى للمسمى . ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها .

وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقربنة قصة البقرة المذكورة فيها ، وعجيب الحكمة فيها . وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها شيء كثير من أحكام النساء . وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها . وإن كان ورد لفظ الأنعام فى غيرها إلا أن التفصيل الوارد فى قوله تعالى : « ومن الأنعام حمولة وفرشا » الى قوله : « أم كنتم شهداء .. » الآية (٤٦) لم يرد فى غيرها ، كما ورد ذكر النساء فى سور ، إلا أن ما تكرر ، وبسط من أحكامهن لم يرد فى غير سورة النساء . وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة فى غيرها فسميت بما يخصها .

قال : فان قيل قد ورد فى سورة هود ذكر نوح ، وصالح ، وابراهيم ولوط ، وشعيب ، وموسى ، فلم خصت باسم هود وحده ؟ مع أن قصة نوح فيها أوعب وأطول ؟ (٤٦) قيل : تكررت هذه القصص فى سورة الأعراف ، وسورة هود ، والشعراء بأوعب مما وردت فى غيرها ، ولم يتكرر فى واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود كتكرره فى سورته ، فإنه تكرر فيها فى أربعة مواضع ، والتكرار من أقوى الأسباب التى ذكرنا .

(٤٦) أى من الآية : ٢٥ الى الآية ٤٨ وأما قصة هود من الآية : ٥٠ الى ٦٠ .

قال: فان قيل: فقد تكرر اسم نوح فيها في ستة مواضع؟
قيل: لما أفردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها، فلم
يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه من سورة تضمنت
قصته وقصة غيره (٤٧) .

قال السيوطي تعقيباً على هذا الكلام ما نصه: «ولك أن تسأل
فتقول: قد سميت سور جرت فيها قصص أنبياء بأسمائهم كسورة
نوح، وسورة هود، وسورة إبراهيم، وسورة يوسف، وسورة
محمد ﷺ، وسورة مريم، وسورة لقمان، وسورة المؤمن، وقصة
أقوام كذلك كسورة بنى إسرائيل، وسورة أصحاب الكهف، وسورة
الضجر، وسورة سبأ، وسورة الملائكة، وسورة الجن، وسورة
المنافقين، وسورة المطففين، ومع هذا كله لم يفرد لموسى سورة تسمى
به مع كثرة ذكره في القرآن حتى قال بعضهم: كاد القرآن أن يكون
كله لموسى، وكان أولى سورته أن تسمى به سورة (طه)، أو
سورة (القصص)، أو سورة (الأعراف)، ليسطر قصته في الثلاث
ما لم يبسط في غيرها» (٤٩) .

وكذلك قصة أهم ذكرت في عدة سور ولم تسم به سورة كأنه

(٤٧) راجع البرهان في علوم القرآن: ١/٢٧٠، ٢٧١ .

(٤٨) هي سورة النمل، ولم تبسط قصة سليمان عليه السلام في سورة
مثل ما بسطت في هذه السورة حيث وردت من الآية: ١٦ - ٤٤
وعلى ما ذكر في قصته هنا من العجائب كقصة الهدد، وقصة
نقل عرش ملكة سبأ، وقصة الصرح الذي بناه لها .

(٤٩) ذكرت قصته في سورة طه من الآية: ٩ - ٩٩، وفي سورة
القصص من الآية: ٣ - ٤٦ معظمها آيات طوال، وفي سورة
الأعراف من الآية: ١٠٣ - ١٥٥ .

اكتفاء بسورة الانسان ، وكذلك قصة الذبيح من بدائع القصص ، ولم
تسم به سورة الصافات ، وقصة داود ذكرت فى سورة (ص) ولم
تسم به ، فانظر فى حكمة ذلك .

ثم قال السيوطى : على أنى رأيت فى (جمال القراء) للسخاوى
أن سورة طه تسمى سورة (الكليم) وسماها الهذلى فى كامله
(سورة موسى) ، وأن سورة (ص) تسمى سورة (داود) ورأيت
فى كلام الجعبرى أن سورة (الصافات) تسمى سورة (الذبيح)
وذلك يحتاج الى مستند من الأثر (٥٠) .

قلت : مع أن كلام الزركشى كلام طيب ، ولكن رأى السيوطى
أسلم لأنه يتفق مع السنة وما فيها من نصوص كثيرة تدلل على أن
تسمية السور توقيفية لحكم علمها من علمها وجهلها من جهلها .

أقسام سور القرآن

قسم العلماء سور القرآن من حيث الطول والقصر الى أربعة
أقسام هى :

القسم الأول : (الطول) ، وهى سبع : البقرة ، وآل عمران ،
والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ثم الأنفال مع براءة
لعدم الفصل بينهما بالبسمة ، وقيل : براءة بمفردها ، وقيل : السابعة
هى يونس ، ولكن لا وجه لهذا القول ، لأن براءة أطول منها بكثير .

القسم الثانى : (المئون) : جمع مائة ، وهى السور التى تزيد
آياتها على مائة أو تقاربها .

القسم الثالث : (المثنى) ، وهى السور التى تلى المئين فى عدد الآيات بأن تكون أقل من مائة آية ، وسميت مثنى ، لأنها تثنى وتكرر أكثر من غيرها .

القسم الرابع : (المفصل) ، وهو ما ولى المثنى من قصار السور ، وسمى بذلك لكثرة الفواصل التى بين السور بالبسمة ، وقيل : لقلبة المنسوخ فيه ، وقد اختلف فى أوله على أقوال أوصلها السيوطى الى اثنى عشر قولاً ، فقيل : أوله (ق .) ، وقيل : (الحجرات) وهو الذى صححه النووى . والمفصل ثلاثة أقسام هى :

- ١ - طوالة ، وهو من سورة (الحجرات) الى سورة (البروج) .
- ٢ - أوساطه ، من سورة (الطارق) الى سورة (لم يكن) .
- ٣ - قصاره : من سورة (الزلزلة) الى آخر القرآن .

ترتيب سور القرآن

اختلف العلماء حول ترتيب سور القرآن فى المصحف على ما هو عليه الآن الى ثلاثة أقوال ، فمنهم من قال : ان ترتيب سور القرآن كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم . ومنهم من قال : ان البعض كان توقيفى ، والبعض الآخر كان اجتهادى ، ومنهم من قال : ان ترتيب سور القرآن كله كان بتوقيف من النبى ﷺ . والتمس كل فريق من الأدلة ما يؤيد ما ذهب اليه ، واليك بيانها بالتفصيل :

١ - القائلون بالاجتهاد

قالوا : ان ترتيب السور على ما هو عليه الآن لم يكن بتوقيف من النبى ﷺ ، بل كان باجتهاد موفق من الصحابة رضى الله عنهم فى كتابتهم للمصاحف زمن عثمان بن عفان . قال ابن فارس : جمع القرآن

على ضربين ، أحدهما تاليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين ، فهذا تولته الصحابة رضى الله عنهم ، وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات فى السور وتعقيب القصة بالقصة ، وذلك شىء تولاه النبى ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل .

وقال القاضى أبو بكر الباقلانى - بعد أن أورد سؤالا مؤداه أن السلف اختلفوا فى ترتيب السور اختلافا شديدا - فالجواب أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ماهى عليه اليوم على وجه الاجتهاد من الصحابة رضى الله عنهم (٥١) .

وقد استدل أصحاب هذا القول على رأيهم بأمرين :

الأول : اختلاف مصاحف الصحابة فى ترتيب السور ، وذلك قبل أن يجمع القرآن زمن عثمان فى المصاحف ، فلو كان هذا الترتيب توقيفا منقولا عن النبى ﷺ ما ساغ لهم أن يهملوه ويتجاوزوه ويختلفوا فيه ذلك الاختلاف البين الذى تصوره لنا الروايات . فقد ورد أن مصحف أبى بن كعب كان مبدوعا بالفاتحة ، ثم البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران ، ثم الأنعام . وورد أن مصحف ابن مسعود كان مبدوعا بالبقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران . . . الخ على اختلاف شديد . وروى أن مصحف على كان مرتبا على النزول ، فأوله (اقرأ) ، ثم (المدثر) ، ثم (ق) ، ثم (المزمّل) ، ثم (تبت) ، ثم (التكوير) ، هكذا الى آخر المكى ثم المدنى .

الثانى : ما رواه مسلم وأحمد والنسائى عن حذيفة قال : « صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ،

ثم مضى ، فقلت ي صلى بها ركعة فمضى ، فقلت يرجع بها ، ثم
افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها مترسلا ، اذا مر
بآية فيها تمسيح سبح ، واذا مر بسؤال سال ، واذا مر بتعود
تعوذ الحديث (٥٢) .

قال الامام النووى فى شرحه : قال القاضى عياض فيه دليل لمن
يقول ان ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف ،
وانه لم يكن ذلك من ترتيب النبى ﷺ ، بل وكله الى أمته بعده . ثم
قال : وهذا قول مالك وجمهور العلماء واختاره القاضى أبو بكر
المبلاذنى (٥٣) .

القائلون بالتفصيل

قالوا ، ان ترتيب بعض السور كان يتوقف من النبى ﷺ - وهو
ما ورد بخصوصه دليل يدل عليه - والبعض الآخر كان ترتيبها باجتهاد
من الصحابة رضي الله تعالى عنهم - وهو ما لم يرد فيه نص .

وممن قال بهذا الرأى من العلماء ابن عطية حيث قال : « وظاهر

(٥٢) الحديث أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة ، باب استحباب تطويل
القراءة فى صلاة الليل : ١٩٩/٣ من شرح النووى ، ورواه
الترمذى فى الصلاة ، باب ما جاء فى التسبيح فى الركوع
والسجود : ٤٨/٢ ، ٤٩ ، ورواه النسائى فى الصلاة (فى
المتنبى) ١٧٦/٢ باب تعوذ القارئ اذا مر بآية عذاب .
ورواه ابن ماجه فى الصلاة ، باب ما جاء فى القراءة فى صلاة
الليل : ٤٢٩/١ ، ٤٣٠ الحديث ١٣٥١ .

(٥٣) راجع شرح النووى على صحيح مسلم : ٢٠١/٣ .

الأثار أن السبع الطوال والحواميم والمفصل كان مرتبا في زمن النبي ﷺ ، وكان في السور ما لم يرتب ، وهذا هو الذي رتب وقت الكتب « (٥٤) .

وقال أبو جعفر بن الزبير : الأثار تشهد بآثر مما نص عليه ابن عطية وبقي منها القليل الذي يمكن أن يجرى فيه الخلاف ، كقوله ﷺ : « اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران ، فانهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان » (٥٥) . ولحديث سعيد بن خالد الذي رواه بن أبي شيبه في مصنفه « قرأ رسول الله ﷺ بالسبع الطوال في ركعة ، وأنه ﷺ كان يجمع المفصل في ركعة » (٥٦) .

وما رواه البخارى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأولى وهن من تلادى » (٥٧) ، فذكرت نسقا كما استقر ترتيبها . وفي صحيح البخارى أيضا عن عائشة رضى الله عنها : « أن النبي ﷺ كان إذا أوى الى فراشه فى كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده . . . » (٥٨) الحديث .

(٥٤) البرهان فى علوم القرآن : ٢٥٧/١ ، ومقدمتان فى علوم القرآن : ص ٢٧٦ .

(٥٥) راجع صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ، باب : فضل قراءة القرآن وسورة البقرة : ٢٥٥/٣ .

(٥٦) راجع البرهان فى علوم القرآن : ٢٥٨/١ .

(٥٧) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى : تفسير سورة الاسراء : ٢٣٩/٨ ، الحديث ٤٧٠٨ .

(٥٨) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن : ٦٧٩/٨ .

(م ١٠ - البيان)

وقال البيهقي فى المدخل : كان القرآن على عهد النبى ﷺ مرتباً
سوره وآياته على هذا الترتيب ، الا الأنفال وبراءة ، لخديث أحمد
وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وغيرهم
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قلت لعثمان بن عفان ما حملكم
على أن عمدتم الى الأنفال وهى من المثانى والى براءة وهى من
المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطرًا (بسم الله الرحمن الرحيم)
ووضعتموها فى السبع الطوال ؟ ما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان :
ان رسول الله ﷺ كان مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور
ذوات العدد ، وكان اذا نزل عليه شىء دعا بعض من يكتب عنده فيقول :
ضعوا هذه الايات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت
الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من أواخر القرآن
نزولا ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين
لنا أنها منها ، وظننت أنها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب
بينهما سطرًا بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعها فى السبع
الطوال » (٥٩) .

وعلق ابن حجر على هذا الحديث بقوله : « فهذا يدل على أن
ترتيب الايات فى كل سورة كان توقيفيا ، ولما لم يفصح النبى ﷺ

(٥٩) راجع الفتح الربانى : ١٥٤/١٨ ، ١٥٥ ، وراجع تحفة الأحوذى ،
تفسير سورة التوبة : ٤٧٧/٨ - ٤٨٠ ، الحديث ٤٠٨١ ، وقال
الترمذى : هذا حديث حسن لا نعرفه الا من حديث عوف عن يزيد
الفارسى عن ابن عباس ، وسنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب
من جهر بها : ٢٠٨/١ ، ٢٠٩ الحديث ٧٨٦ ومسنند الامام أحمد :
٥٧/١ ، ومستدرک الحاكم ، تفسير سورة التوبة : ٢٣٠/٢ ، وقال
الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

بأمر براءة أضافها عثمان الى الأنفال اجتهادا منه رضى الله تعالى عنه « (٦٠) .

وقال السيوطى : ينبغى القول بأن محل الخلاف انما هو فى ترتيب سور الأقسام الأربعة ، وأما نفس الأقسام من الطوال ، ثم المثني ، ثم المثاني ثم الفصل ، فلا خلاف فى ترتيبها اجمالا . وهذا يقتضى القطع بأنه توقيفى ، وأن يدعى فيه الاجماع . وتوصل الى هذا القول مما تقدم من الأحاديث ، ومن حديث ابن عباس فى اقتران براءة بالأنفال ، ومن أن المصاحف التى وقع فيها الاختلاف فى الترتيب انفقت على هذا الترتيب ، واختلافها انما كان فى ترتيب سور كل قسم - ثم قال : « فاذا تحرر ذلك ونظرنا الى محل الخلاف ، فالمختار عندى فى ذلك ما قاله البيهقى ، وهو أن كل السور توقيفية سوى الأنفال وبراءة » (٦١) .

وقال الزرقانى : « ولعل هذا القول أمثل الآراء ، لأنه وردت أحاديث تفيد ترتيب البعض . . . وخلا البعض مما يفيد التوقيف ، بل وردت آثار تصرح بأن الترتيب فى البعض كان عن اجتهاد كالحديث الأنف المروى عن ابن عباس » (٦٢) .

٣ - القائلون بالتوقيف

قال جمهور العلماء ان ترتيب السور على ما هى عليه فى المصحف اليوم بتوقيف من الرسول ﷺ بتعليم من جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه وتعالى . وهو بهذا الترتيب فى اللوح المحفوظ ، وكانت

-
- (٦٠) راجع فتح البارى : ٦٥٩/٨ .
(٦١) راجع الاعجاز البيانى فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره : ص ٢٦٢ عن مخطوط تناسق الدرر للسيوطى : ص ٤٨ .
(٦٢) مناهل العرفان : ٣٥٦/١ .

الآيات تنزل وفق الحاجات وما يتطلبه أمر التشريع ، الى أن استقر في العرضة الأخيرة على هذا الترتيب . وما روى من اختلاط المصاحف فقد كان أولا ، ثم رتب لهم رسول الله ﷺ السور بعد ذلك .

١ - ومن العلماء الذين قالوا بهذا القول أبو بكر الأنباري حيث قال في كتاب (الرد) ما نصه : « أنزل الله القرآن كله الى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، فكله عن محمد خاتم النبيين عليه السلام من رب العالمين ، فمن أخرج سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة ، فهو كمن أفسد نظم الآيات ، وغير حروف الكلمات ، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام ، والأنعام نزلت قبل البقرة ، لأن رسول الله ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب » (٦٣) .

٢ - وقال أبو جعفر النحاس : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ لحديث واثلة بن الأسقع أنه عليه الصلاة والسلام قال : « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الزبور المثني ، وأعطيت مكان الانجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل » (٦٤) ، قال : وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ ، وأنه مؤلف من ذلك الوقت ،

(٦٣) راجع « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي ص ٥٢ .
(٦٤) الحديث ذكره ابن كثير في تفسيره : ٥٥/١ وقال : حديث غريب ، وسعيد بن بشير - أي أحد رواة الحديث - فيه لين .

وانما جمع فى المصحف على شىء واحد» (٦٥) .

٣ - وقال الامام البغوى فى شرح السنة : « ثبت أن سعى الصحابة كان فى جمعه فى مكان واحد لا فى ترتيبه ، فان القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، أنزله الله جملة الى السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة » (٦٦) .

٤ - وقال تاج القراء الكرمانى : « أول القرآن سورة الفاتحة ، ثم البقرة ، ثم آل عمران على هذا الترتيب الى سورة الناس ، وهكذا هو عند الله فى اللوح المحفوظ ، وهو على هذا الترتيب كان يعرضه عليه الصلاة والسلام على جبريل عليه السلام كل سنة - أى ما كان يجتمع عنده منه - وعرضه عليه الصلاة والسلام فى السنة التى توفى فيها مرتين ... الى أن قال : ولو حلف انسان أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يلزمه الا على هذا الترتيب ، ولو نزل جملة واحدة ما اقترحوا عليه بقولهم : (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) لنزل على هذا الترتيب ، وانما تفرقت سورته وآياته نزولا لحاجة الناس حالة بعد حالة ، ولأن فيه الناسخ والمنسوخ ، ولم يكونا ليجمعا نزولا » (٦٧) .

٥ - وقال ابن الحصار : ترتيب السور ووضع الآيات موضعها انما

كان بالوحى (٦٨) .

٦ - وأخرج ابن اشته فى كتاب المصاحف من طريق ابن وهب عن

(٦٥) البرهان فى علوم القرآن : ٢٥٨/١ .

(٦٦) راجع الاتقان فى علوم القرآن : ٨٢/١ .

(٦٧) راجع « البرهان فى متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان » تحقيق : عبد القادر أحمد عطا بعنوان : أسرار التكرار فى القرآن

ص ٢٢ - ٢٤ .

(٦٨) الاتقان فى علوم القرآن : ٨٣/١ .

سليمان بن بلال قال : سمعت ربيعة يسأل - بضم الياء - :
لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة
بمكة ، وانما نزلتا بالمدينة ؟ فقال ربيعة : قد قدمت ألف
القرآن على علم ممن ألفه ، وقد اجتمعوا على العلم بذلك ، فهذا
مما ننتهي اليه ولا نسال عنه (٦٩) .

كانت تلك أقوال بعض الأئمة في أن ترتيب السور توقفي ولولا
الخوف من الاطالة لأتينا بالمزبد ، ولكن يكفيننا في الجملة قول القرطبي:
« وقال قوم من أهل العلم أن تأليف سور القرآن على ما هو عليه
في مصحفنا كان عن توقيف من النبي ﷺ » (٧٠) .

ومن هذا تعلم مدى مجانية القاضي عياض للصواب حينما قال :
« في الحديث دليل لمن يقول أن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين
حين كتبوا المصحف ، وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي ﷺ به وكله
الى أمته بعده ، قال : وهذا قول مالك وجمهور العلماء ، واختاره
القاضي أبو بكر الباقلاني ... » (٧١) .

أقول : بل الجمهور على الأول ، وهو الذي تؤيده الأدلة ،
وما استدل به المخالف لا ينهض للاحتجاج به . ولهذا قال الألويسي
- رحمه الله تعالى - : وأما ترتيب السور ففي كونه اجتهاديا أو توقفيا
خلاف ، والجمهور على الثاني ... الى أن قال : ولهذا ذهب

(٦٩) راجع الاتقان : ١/٨٤ .

(٧٠) تفسير القرطبي ص ٥٢ .

(٧١) شرح النووي على صحيح مسلم : ٣/٢٠١ . ونقل هذا الكلام
الزركشي في البرهاني : ١/٢٥٧ ، والسيوطي في الاتقان : ١/٨٢ .

البيهقي الى أن جميع السور ترتيبها توقيفى الا براءة والانفال ، وله
انشرح صدر الامام السيوطى لما ضاق ذرعا عن الجواب ، والذي ينشر
له صدر هذا الفقير هو ما انشرت له صدور الجم الغفير من أن ما بين
اللوحين الآن موافق لما فى اللوح - أى المحفوظ - من القرآن وحاشا
أن يهمل ﷺ أمر القرآن ، وهو نور نبوته ، وبرهان شريعته ، فلا بد
اما من التصريح بمواضع الآى والسور ، واما من الرمز اليهم بذلك ،
واجتماع الصحابة فى المال على هذا الترتيب ، وعدو لهم عما كان أولا
من بعضهم على غيره من الأساليب - وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ،
ولا يصددهم عن اتباع الحق لوم لائم ولا قول قائل أقوى دليل
على أنهم وجدوا ما أفادهم علما ، ولم يدع عندهم خيالا ولا وهما (٧٢) .

وقد استدل جمهور العلماء على أن ترتيب السور كان توقيفيا
بإدلة نقلية وعقلية منها ما يأتى :

١ - ما رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم
عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله - ﷺ - : « اقرأ القرآن
فى شهر ، قلت انى أجد قوة ، حتى قال : فاقرأه فى سبع
ولا تزد على ذلك » (٧٣) .

والسؤال الآن كيف لعبد الله بن عمرو أو غيره أن يختم القرآن

(٧٢) انظر (تفسير روح المعانى) له : ٢٦/١ ، ٢٧ .
(٧٣) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن ،
باب فى كم يقرأ القرآن : ٧١٣/٨ الحديث ٥٠٥٤ ، وصحيح
مسلم بشرح النووى ، كتاب الصيام ، باب النهى عن صوم
الدهر لمن تضرر به : ٣٧٣/٤ ، ٣٧٤ الحديث ٢٦٨٧ ، وسنن أبى
داود ، كتاب الصلاة ، باب (فى كم يقرأ القرآن) : ٥٤/٢ .
الحديث ١٣٨٨ .

فى هذه المدة وهو غير مرتب ؟ اذن لابد أن يكونوا قد عرفوا ترتيبه من ملازمتهم للنبي ﷺ ، وقراءتهم عليه ، وأخذهم عنه .

٢ - ما رواه الامام أحمد وأبو داود عن حذيفة الثقفى قال : « كنت فى الوفد الذين أسلموا من ثقف ٠٠٠ الى أن قال : فقال لنا رسول الله ﷺ : « طأ على حذى من القرآن فأردت إلا أخرج حتى قضيتة » ، فقال : فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟ ، قالوا : نحزبه ثلاث سور ، وخمس سور وسبع سور ، وتسع سور ، وأحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب الفصل من (ق) حتى نختم » (٧٤) .

فهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن ترتيب السور على ما هو عليه فى المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ ، ولاسيما حزب الفصل بالذات .

٣ - ومنها أن لترتيب السور فى المصحف أسباب نستأنس بها على أنه توقيفى :

أحدها : بحسب الحروف ، كما فى الحواميم .

وثانيها : لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر (الحمد) فى المعنى وأول البقرة .

وثالثها : للوزن فى اللفظ كآخر (تبت) وأول (الاخلاص) .

(٧٤) راجع الفتح الربانى : ٢٨/١٨ ، ٢٩ . وذكره المنذرى فى مختصره على سنن أبى داود : ١١٣/٢ ، ١١٤ . وقال : ابن معين اسناد هذا الحديث صالح . وذكره ابن كثير فى كتاب فضائل القرآن ص ٢٦ وحسن اسناده .

ورابعها : مشابهة السورة لجملة الأخرى مثل سورة (الضحى)

و « الم تشرح » (٧٥) .

٤ - ومنها مما يستأنس به أيضا كون الحواميم رتبت ولاء ، وكذا الطواسين ، ولم ترتب المسبحات تباعا ، بل فصل بينها بسور (المجادلة ، والممتحنة ، والمنافقون) ، وأقردت سورة (الاسراء) فى النصف الأول . وفصل بين سورة الشعراء والقصص - وهما يبدآن بـ (طسم ،) - بسورة (طس النمل) مع أنها أقصر منهما ، ولو كان الترتيب بين السور اجتهاديا ، لذكرت سور المسبحات ولاء ، وأخرت سورة (النمل) عن سورة (القصص) اما وأنه قد حصل الفصل بين المتماثلات والمتقاربات من السور مع عدم التناسب فى الطول والقصر ، فهذا يدل على أن الترتيب بين السور توقيفى (٧٦) .

توجيه أدلة المخالفين

بعد أن عرفت قول جمهور العلماء فى أن ترتيب السور كان توقيفيا ، ووقفت على أدلتهم النقلية والعقلية ، اليك توجيه أدلة المخالفين لهم حتى يطفى ظلام الشك عن وجه اليقين ، وذلك فيما يأتى :

أولا : استدلل المخالفون باختلاف مصاحف الصحابة ، فان اختلافها يدل على أنه لم ينقل عن النبى ﷺ شئ فيه ، والا ما ساغ لهم تجاوزة . ولو كانت بتوقيف لتمسك أصحابها بها ، ولما دفعوها للتحريق . ومن

(٧٥) راجع البرهان فى علوم القرآن : ١ / ٢٦٠ .

(٧٦) راجع الاتقان فى علوم القرآن : ١ / ٨٤ .

جهة أخرى فان مصحف عثمان رضى الله عنه لو كان اجتهاديا لما وافقوه على ذلك ، لانه ليس للمجتهد أن يقلد مجتهدا آخر كما هو مقرر عند الأصوليين .

ولقد بين النيسابورى السبب الذى من أجله لم تكن الصحابة رضى الله عنهم - توالى بين سور القرآن فى حياة النبى ﷺ حيث قال ما نصه : « واعلم أن القرآن كان مجموعا على عهد ﷺ ، فانه ما نزلت آية الا وقد أمر رسول الله ﷺ من كان يكتب له أن يضعها فى موضع كذا من سورة كذا ، ولا نزلت سورة الا وقد أمر رسول الله ﷺ الكاتب أن يضعها بجانب سورة كذا .

روى ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ اذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال : ضعوا هذه السورة فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا ٠٠٠ الحديث (٧٧) .

ثم قال : غير أنهم لم يكونوا قد جمعواها فيما بين الدفتين ، ولم يلزموا القراء توالى سورها ، وذلك أن الواحد منهم اذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله ﷺ ، أو كتبها ، ثم خرج فى سرية ، فنزلت فى وقت مغيبه سورة ، فانه اذا رجع يأخذ فى حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابه ، ويتتبع ما فاتته على حسب ما يتسهل له ، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا وجه ، وقد كان منهم من يعتمد على حفظه ، فلا يكتب على ما كان من عادة العرب فى حفظ أنسابها ، وأشعار شعرائها من غير كتابة ، ومنهم من كان كتبها فى مواضع مختلفة من قرطاس ، وكتف ، وعسب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين

فى حفظ القرآن ، فلا يرون باكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه» (٧٨)
وايضا فان المسلمين لم يكونوا متفرغين لطلب العلم ، اذ كانوا
بجانب هذا يسعون لطلب العيش او غيره ، قال تعالى : « علم ان
سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل
الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ... » (٧٩) . وروى البخارى
بسنده عن عمر قال : « كنت انا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية
ابن زيد - وهى من عوالى المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول
الله ﷺ ، ينزل يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم ،
من الوحي وغيره ، واذا نزل فعل مثل ذلك ... » (٨٠) الحديث .

وقد علق الدكتور القاسم على هذا الحديث بقوله : ونفهم منه
أن بعض الصحابة كان يتغيب عن مجالس العلم جريا وراء متطلبات
الحياة أو للغزو أو للمرض أو غير ذلك ، فاذا نزل القرآن فى هذه
الحالة - ولا يجد من يبلغه - فلا يدرى مقدمه ومؤخره ، وان علم
ذلك ، وقد كتبه على ما كان ترك تغييره على حسب ما استقر عليه
آخرا اعتمادا على حفظه ، فلما انتقل الرسول ﷺ الى الرفيق الاعلى ،
واحتيج الى جمع القرآن بين دفتين على ما انتهى اليه الامر بعد

(٧٨) راجع تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٢٤/١ ، ٢٥ على
هامش تفسير جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ،
ط١ دار الفكر - بيروت .

(٧٩) من الآية : ٢٠ من سورة المزمل .
(٨٠) انظر صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب العلم ، باب
التناوب فى العلم : ٢٢٣/١ الحديث ٨٩ .

العرضة الثانية ، جمعه الصحابة على هذا ، وأجمعوا على هذا الترتيب (٨١) .

ثانيا : وأما حديث حذيفة فيقال فيه : ان سورة النساء كانت في ذلك الوقت مقدمة على آل عمران ، ثم حصل الترتيب بعد ذلك بالتوقيف ، أو أن الترتيب في الصلاة ليس بواجب ، وفعله النبي ﷺ كذلك لبيان الجواز .

قال الامام النووي تعليقا على هذا الحديث : قال القاضي عياض : « والذي بقوله أن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ولا في الصلاة ولا في الدرس ، ولا في التلقين والتعليم ، وأنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك نص ، ولا حد تحرم مخالفته ، ولذلك اختلف ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان قال : واستجاز النبي ﷺ الأمة بعده في جميع الاعصار ترك ترتيب السور في الصلاة والدرس والتلقين » (٨٢) .

ثالثا : وأما حديث ابن عباس الخاص باقتران سورة براءة والأنفال ، والذي استدل به أصحاب القول الثاني بأن ترتيب سور القرآن ثابت بالتوقيف إلا الأنفال وبراءة ، كما ذهب الى ذلك ابن كثير في فضائل القرآن ، والبيهقي في المدخل ، والسيوطي في الاتقان ، والقرطبي في تفسيره حيث قال ما نصه : « ان سور القرآن انتظمت ببيان منه ﷺ ، وبراءة ضمنت الى الأنفال من غير عهد منه لما عاجله

(٨١) راجع الاعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن ص ٢٧٣ ، وكتاب

فضل الخطاب في سلامة القرآن الكريم ص ٣٢ .

(٨٢) راجع شرح النووي على صحيح مسلم : ٢٠٢/٣ .

من الحمام - بكسر الخاء - قبل تبينه ذلك ، وكائناً تدعيان القرينتين ،
فوجب أن تجمع وتضم احدهما الى الأخرى للوصف المفى لزمهما من
الافتران ورسول الله ﷺ حتى « (٨٣) » .

وهذا غير مسلم ، اذ كيف نثبت في المصحف أمراً قائماً على
الظن ، ومن عثمان وحده ؟ . قال الخطيب في الكفاية : « لا يقبل
خبر الواحد في منافاة حكم العقل ، وحكم القرآن الثابت ، والسنة
المعلومة ، والفعل الجارى مجرى السنة ، وكل دليل مقطوع به » (٨٤) .

وقول عثمان في الحديث : « فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا
أنها منها » بعيد كل البعد ، لأن الأنفال نزلت في السنة الثانية عقب
غزوة (بدر) ، وسورة التوبة نزلت في أواخر السنة التاسعة بعد
غزوة (تبوك) ، وبعد خروج أبى بكر للحج على رأس المسلمين .
فكيف يعقل أن يظل الرسول - ﷺ - زهاء خمسة عشر شهراً ، ولا
يبين للناس أنها منها أو غيرها ؟ انه بذلك يكون قد تأخر عن البيان
- المأمور به - في وقت الحاجة اليه ، بل مات قبل البيان ، وحاشاه
ﷺ أن يفعل ذلك . « ثم ان اطلاق الاسم على كل منهما واختلافه فيهما
دليل على أن هذه السورة غير تلك ، وأنه ﷺ قد سمى كلا منهما » (٨٥) .

وأما قوله رضى الله عنه : « فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما
سطراً بسم الله الرحمن الرحيم » فبعيد أيضاً كل البعد لأن البسمة

(٨٣) تفسير القرطبي ص ٢٩٠٢ .
(٨٤) راجع الفتح الربانى : ١٨ / ١٥٥ .
(٨٥) راجع الاتقان فى علوم القرآن : ١ / ٨٦ ، وروح المعانى للآلوسى :
١٠ / ٤٠ ، ٤١ .

لا تخضع لهوى الكاتب اثباتا أو حذفاً . فقد أخرج أبو داود ، والحاكم ، وابن حبان وصحاه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « كان النبى ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم » ، وفى رواية : « فاذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا أن السورة قد انقضت » قال الحافظ أبو شامة هذا حديث حسن (٨٦) .

ولقد قام الاجماع على أن سورة (الأنفال) سورة مستقلة غير سورة (التوبة) ، ومن هنا كان قول الزركشى : « ان سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة باجماع أهل الحل والعقد ، كما هى فى المصحف العثمانى ، أولها الفاتحة وآخرها الناس » (٨٧) .

وقال السيوطى : « أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة باجماع من يعتد به » (٨٨) .

ثم ان السؤال كان عن اقترانهما وترك البسمة ، وجعل السورتين فى محل سورة واحدة ، وكان الجواب مطابقا للسؤال ، لم يتعرض لترتيب السورتين . ولو جوزنا فى بعض السور ألا يكون ترتيبها من الله لجوزنا ذلك فى سائر السور ، وتجويزه يؤدى الى قول الامامية ومن لف لفهم من المستشرقين من أن القرآن محرف ، وذلك يخرج عن كونه حجة .

فالصحيح اذن : أن وضع هذه السورة بعد تلك بوحي من الله تعالى : وأن حذف البسمة كذلك بوحي منه جل شأنه .

-
- (٨٦) راجع فتح البارى لابن حجر : كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن : ٦٥٩/٨ .
(٨٧) راجع البرهان فى علوم القرآن : ٢٥١/١ .
(٨٨) راجع الاتقان فى علوم القرآن : ٨٦/١ .

وبعد : فقد كان هذا الرد موجها على فرض صحة الرواية مجارة لبعض المحدثين كابن كثير الذى قال : اسناده جيد قوى (٨٩) ، والحاكم الذى قال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه (٩٠) .

فهل الامر على ما قالوا ؟ أعتقد أن الحديث لا يرتقى لهذا الحكم عليه ، لأن الامام الترمذى روى الحديث ، وقال : حديث حسن لا نعرفه الا من حديث عوف عن يزيد الفارسى عن ابن عباس (٩١) .

فأما عوف الاعرابى فقد قال عنه الذهبى : قيل كان يتشيع ، وقد وثقه جماعة ، وجرحه جماعة ، وكان داود بن أبى هند يضربه ويقول : ويلك يا قدرى . وقال بन्दار : والله لقد كان عوف قدريا رافضيا شيطانا (٩٢) . وقال الامام مسلم فى مقدمة صحيحه : اذا وزنت بينه وبين الاقران رأيت البيون بينهم بعيدا فى كمال الفضل وصحة النقل (٩٣)

وأما يزيد فقد اختلف فيه : هل هو ابن هرمز أو غيره ؟ وقد ذكره البخارى فى كتاب (الضعفاء) باسم يزيد الفارسى لاشتباهه فيه - وحيث أنه قد انفرد بهذا الحديث فلا يحتج به فى شأن القرآن الذى يطلب فيه التواتر (٩٤) وقال الذهبى : قال فيه التسائى وغيره :

-
- (٨٩) انظر : فضائل القرآن ص ٢٤ .
 (٩٠) انظر : المستدرک على الصحيحين ، تفسير سورة التوبة : ٣٣٠/٢ .
 (٩١) انظر : تحفة الأحوذى ، تفسير سورة التوبة : ٤٨٠/٨ ، الحديث . ٤٠٨١ .
 (٩٢) راجع ميزان الاعتدال : ٣٠٨/٢ ، ٣٠٩ .
 (٩٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ، مقدمة مسلم : ١٩٧/١ - ٢٠٠ .
 (٩٤) راجع الفتح الربانى : ١٥٤/١٨ - ١٥٦ .

متروك الحديث . وقال الدارقطني وغيره : ضعيف . وقال أحمد :
كان منكر الحديث (١٥٥) .

وإذا كان متن الحديث وسنده بهذه المكانة من الضعف ، ولم
يقبله إلا القليل الذين قوموه ولم يخرجوه عن أقل درجات القبول ،
فكيف يقبله في أمر القرآن الذي هو في أعلى درجات الصحة نقلاً
ونظماً وترتيباً ؟ .

وفي الختام نقول : إن القرآن كله آية آية وسورة سورة مرتب
من الله تعالى ، وقد بلغه عنه رسوله الأمين ﷺ .

وهذا ما ينبغي للمتزامه ، بل يجب العمل به عند كتابة المصاحف
خاصة ، لأنه أجماع الأمة ، والاجماع حجة شرعية ، وخلافه يجر
إلى الفتنة ، ودرء الفتنة وسد فرائع الخلاف والفساد بين الأمة واجب
الاتباع .

وصدق الله العظيم القائل : (لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد) (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
الحافظون) .

ثالثا : تنكيس القرآن

بعد أن عرفت أن ترتيب آيات القرآن وسوره كان توقيفيا واجب الاتباع فى كتابة المصاحف منذ زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم الى يومنا هذا ينبغى لك أن تعرف حكم هذا الترتيب أثناء التلاوة ، أو بمعنى آخر أن تعرف حكم تنكيس القرآن .

قال ابن منظور فى اللسان : النكس قلب الشئ على رأسه . وقراءة القرآن منكوسا أن يبدأ بالمعوذتين ثم يرتفع الى البقرة ، أو من آخر السورة فيقرأها الى أولها . وهو خلاف الأصل - أى الذى عليه المصحف وجاءت به السنة - إذ الأصل أن يقرأ من الفاتحة مرتبا الى آخر الناس (١) .

والعلماء فيه تبع لمذاهبهم فى ترتيب الآى والسور ، أما الآى : فقد أجمعوا على أن ترتيبها بتوقيف - كما سبق بيان ذلك - ولذا فقد اتفقوا على أن قراءة السورة من آخرها الى أولها ممنوع ، ولم يختلفوا فى حرمة ، لأنه يذهب بعض ضروب الاعجاز ، ويزيل حكمة الترتيب . وأيضا فان السورة وحدة مستقلة ، وتنكيسها اخلال بأجزاء وحدتها وتماسكها ، ويترتب عليه اخلال بالمعنى « وكان جماعة يصنعون ذلك فى القصيدة من الشعر مبالغة فى حفظها وتذليلها للسانه فى سردها ، فمنع السلف ذلك فى القرآن ، فهو حرام فيه » (٢) .

أخرج الطبرانى بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه سئل « رأيت رجلا يقرأ القرآن منكوسا ؟ فقال ذلك

(١) راجع لسان العرب لابن منظور ص ٤٥٤١ والقاموس المحيط للفيروز آبادى : ٢٥٦/٢ .

(٢) راجع فتح البارى لابن حجر : ٦٥٦/٨ .

منكوس القلب . فأتى بمصحف قد زين وذهب ، فقال عبد الله
أن أحسن ما زين به المصحف تلاوته في الحق» (٣) .

وروى النسائي عن البراء - رضى الله تعالى عنه - قال :
« كنا نصلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الآية
بعد الآيات من سورة لقمان والذاريات » . وعنده أيضا وعند ابن
خزيمة نحوه من حديث أنس لكن قال : « بسبح اسم ربك
الأعلى ، وهل أتاك حديث الغاشية » (٤) .

وأما تنكيس السور : فقد جوزه قوم منهم الامام الشافعى ،
وكرهه قوم منهم الامام أحمد وأبو حنيفة ومالك والحسن .

القائلون بالجواز

أما المجوزون فقد قالوا : ان تقديم سورة متأخرة على
أخرى تسبقها فى التلاوة داخل أو خارج الصلاة ليس بحرام ،
لان كل سورة وحدة مستقلة وموضوعها مستقل ، فلا يضر تقديمها
على غيرها .

واليك أقوال بعض العلماء فى ذلك :

١ - قال ابن بطال : لا نعلم أحدا قال بوجوب ترتيب
السور فى القراءة لا داخل الصلاة ولا خارجها ، بل يجوز أن
يقرأ الكهف قبل البقرة ، والحج قبل الكهف مثلا ، وأما ما جاء
عن السلف من النهى عن قراءة القرآن منكوسا فالمراد به أن
يقرأ من آخر السورة الى أولها (٥) .

(٣) راجع الاتقان فى علوم القرآن : ١٤٤/١ . وأخرجه الهيئى فى
مجمع الزوائد : ١٦٨/٧ وقال : رجاله ثقات . وذكره النووى
فى التبيين وقال اسناده صحيح ص ٤٩ .
(٤) راجع السنن له ، باب قراءة النهار : ١٥٣/١ .
(٥) راجع فتح البارى لابن حجر : ٦٥٦/٨ . وتفسير القرطبى ص ٥٣ .

٢ - وقال القاضى عياض : وترتيب السور ليس بواجب فى التلاوة ولا فى الصلاة ولا فى الدرس ولا فى التعليم . وأنه لم يكن من النبى ﷺ فى ذلك نص ولا حد تحرم مخالفته . ثم قال : واستجاز النبى ﷺ والأمة بعده فى جميع الأعصار ترك ترتيب السور فى الصلاة والدرس والتلقين . ثم قال بعد ذلك : إنسه لا خلاف فى جواز قراءة المصلى سورة فى الركعة الثانية قبل التى قرأها فى الأولى ، وإنما يكره ذلك فى ركعة ولمن يتلو فى غير صلاة (٦) . وكلامه هذا فيه نظر . فان الخلاف بين أهل العلم قائم . وان كان يمكن تقريب وجهة نظرهم .

٣ - وقال الامام النووى : ولو خالف الموالاة فقراً سورة لا تلى الأولى ، أو خالف الترتيب فقراً سورة ، ثم قرأ سورة قبلها جاز فقد جاء بذلك آثار كثيرة . وقد قرأ ابن الخطاب رضى الله عنه فى الركعة الأولى من الصبح بالكهف ، وفى الثانية بيوسف (٧) .

ومما استدل به أصحاب هذا القول ما يأتى :

١ - ما أخرجه البخارى بسنده عن يوسف بن ماهك قال : قال : انى عند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها اذ جاءها عراقى فقال : يا أم المؤمنين أرىنى مصحفك ؟ قالت ولم ؟ قال لعلى أولف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف ، قالت : وما يضرك ايه قرأت قبل ، انما نزل اول ما نزل منه سورة من الفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل

(٦) راجع شرح النووى على صحيح مسلم : ٢٠٢/٣ .

(٧) راجع التبيين فى آداب حملة القرآن له : ص ٤٨ .

الحلال والحرام ٠٠٠» الحديث ٠ وفيه : « فأخرجت له المصحف ،
فأملت عليه آى السور » (٨) ٠

٢ - ويستدلون أيضا بما رواه مسلم والنسائى وأحمد عن
حذيفة قال : « صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
فأفتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت يصلى
بها فى ركعة فمضى ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ،
ثم افتتح آل عمران فقرأها مترسلا ، اذا مر بآية فيها تسبيح
سبح ، واذا مر بسؤال سأل ، واذا مر بتعوذ تعوذ ٠٠٠ »
الحديث (٩) ٠

٣ - وبما ذكره البخارى تحت باب الجمع بين السورتين
فى ركعة ، والقراءة بالخواتيم فى ركعة ، وبسورة قبل سورة ،
وبأول سورة ٠ حيث قال : وقرأ الأحنف بالكيف فى الأولى وفى
الثانية بيوسف أو يونس ٠ وذكر أنه صلى مع عمر رضى الله عنه
الصبح بهما (١٠) ٠

القائلون بعدم الجواز

أما الذين قالوا ان ترتيب السور بتوقيف من الله تعالى ، فقد
قالوا : ان الأصل أن تكون القراءة على ترتيب المصحف ، وقد
فسر بعضهم قوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا » (١١) بمعنى

(٨) راجع صحيح البخارى بشرح فتح البارى ، كتاب فضائل القرآن ،
باب تاليف القرآن ٦٥٥/٨ ٠

(٩) راجع تخريج الحديث ص ١٤٤ ٠

(١٠) راجع صحيح البخارى ، كتاب الأذان : ٢٩٨/٢ من شرح فتح
البارى ٠

(١١) الآية : ٤ من سورة المزمل ٠

أقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم ولا تأخير (١٢) .

قال ابن حجر : وقد نقل البيهقي عن أحمد والحنفية كراهية

قراءة سورة قبل سورة تخالف ترتيب المصحف (١٣) .

وروى ابن أبي داود عن الحسن : أنه كان يكره أن يقرأ

القرآن الا على تأليفه في المصحف . وروى أيضا عن ابراهيم النخعي

الامام التابعي الجليل ، والامام مالك بن أنس ، أنهما كرها

ذلك ، وأن مالكا كان يعيبه ، ويقول هذا عظيم (١٤) .

وقد استدل هؤلاء العلماء وغيرهم على مذهبهم بما يأتي :

١ - بما رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو داود

عن النعمان بن بشير - رضى الله تعالى عنه - « أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة - (سبح

اسم ربك الأعلى ، وهل أتاك حديث الغاشية) قال : وربما

اجتمعا في يوم واحد فقرأ بهما « (١٥) .

٢ - وما رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن ابن

(١٢) راجع البرهان في متشابه القرآن للكرمانى . أنظر ص ٢٣ من كتاب

أسرار التكرار في القرآن .

(١٣) راجع فتح البارى لابن حجر : ٢/٢٩٩ .

(١٤) راجع التبيان للنووى ص ٤٩ .

(١٥) الحديث : أخرجه مسلم ، كتاب الجمعة ، باب (ما يقرأ في

صلاة الجمعة) ، ١٥/٣ ، ١٦ . وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ،

باب (ما يقرأ في الجمعة) ، ٢٩٣/١ . وتحفة الأحوذى ، أبواب

العيدين الحديث : ٥٣١ : ٣/٧٦ . والنسائي ، كتاب الجمعة ،

باب (ذكر الاختلاف على النعمان ابن بشير في القراءة في صلاة

الجمعة) : ٣/١١٢ ، ٣/١٩٤ .

(١٦) راجع التبيان للنووى ص ٤٩ .

أبى رافع قال : استخلف مروان أباه هريرة على المدينة ، وخرج الى مكة ، فصلى لنا أبو هريرة الجمعة فقرا بعد سورة الجمعة فى الركعة الأخيرة « إذا جاعك المنافقون » قال : فأدرکت أباه هريرة حين انصرف ، فقلت له انك قرأت بسورتين كان على ابن أبى طالب يقرأهما بالكوفة ، فقال أبو هريرة : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة (١٦) . وفى رواية عنه أيضا : « فقرا بسورة الجمعة فى السجدة الأولى ، وفى الآخرة (إذا جاعك المنافقون) (١٧) » .

وبالنظر فى أقوال الفريقين وأدلتهم نرى أن الجميع قد اتفقوا على أن تنكيس القرآن خلاف الأصل الذى عليه المصحف وجاءت به السنة ، وأن قراءة السورة بعد السورة صواب عند الجميع ، وأن عكس فقد جانب الصواب وخالف الأولى عند البعض ، وارتكب المكروه عند البعض الآخر .

يقول الامام النووى « قال بعض أصحابنا : ويستحب اذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التى تليها ، ودليل هذا أن ترتيب المصحف انما جعل هكذا لحكمة ، فينبغى أن يحافظ عليها ، الا فيما ورد الشرع باستثنائه ، كصلاة الصبح يوم الجمعة ، يقرأ فى الأولى سورة (السجدة) ، وفى الثانية (هل أتى على الانسان) . وصلاة العيد فى الأولى (ق) وفى الثانية (اقتربت الساعة) . وركعتى سنة الفجر

(١٦) الحديث أخرجه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقرأ فى صلاة الجمعة : ٣/٣٦٥ من شرح النووى وأخرجه أبو داود فى الصلاة باب من أدرك من الجمعة ركعة : ١/٢٩٢ ورواه الترمذى فى الصلاة باب (ما جاء فى القراءة فى صلاة الجمعة) ٢/٣٩٦ وأخرجه ابن ماجه فى الصلاة : ١/٣٥٥ ، الحديث : ١١١٨ .

(١٧) راجع صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ، باب (ما يقرأ فى صلاة الجمعة) ٣/٣٦٥ .

فى الأولى (قل يا أيها الكافرون) ، وفى الثانية (قل هو الله أحد
وركعات الوتر فى الأولى (سبح اسم ربك الأعلى) ، وفى الثانية
(قل يا أيها الكافرون) ، وفى الثالثة (قل هو الله أحد والمعوذتين)
ولو خالف المواولة فقرأ بسورة لا تلى الأولى ، أو خالف الترتيب فقرأ
سورة ثم قرأ سورة قبلها جاز ، فقد جاء بذلك آثار كثيرة . . . وقد
كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف « (١٨) .

وقال الزين بن المنير ذهب مالك الى أن يقرأ المصلى فى ركعة
بسورة ، كما قال ابن عمر لكل سورة حظها من الركوع والسجود ،
قال : ولا تقسم السورة فى ركعتين ، ولا يقتصر على بعضها ، ويترك
الباقى ، ولا يقرأ بسورة قبل سورة يخالف ترتيب المصحف . قال :
فان فعل ذلك كله لم تفسد صلاته ، بل هو خلاف الأولى (١٩) .

وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف الى أوله فحسن ، وليس
هذا من هذا الباب ، فان ذلك قراءة متفاضلة فى أيام متعددة ، مع
ما فيه من تسهيل الحفظ عليهم . والله تعالى أعلم .



(١٨) راجع التبيان فى آداب حملة القرآن ص ٤٨ ، ٤٩ .

(١٩) راجع فتح البارى لابن حجر : ٣٠٠/٢ وما بعدها .

رابعاً : الشبه الواردة حول ترتيب القرآن

اعتاد الملاحدة والمبشرون وأعداء الاسلام أن يتلمسوا المطاعن فى القرآن ، وغرضهم بذلك التشكيك فى القرآن الكريم وقداسته كى يتوصلوا الى هدم الاسلام ، واضعاف المسلمين بصرف أنظارهم وقلوبهم عن القرآن الذى هو أصل الدين ، ومنبع الصراط المستقيم ، كانوا يصدرون فى هذه الطعون عن هوى متبع وعصبية دينية ممقوتة وقد جافاهم الحق والصواب .

وهذه الطعون - فضلا عن كونها كفرا دينيا - هى كفر بقواعد البحث العلمى الصحيح التى طالما تمسحوا بها وأكثروا من ترديدها فى كتاباتهم ومحاضراتهم وسنقصر ردنا - هنا - على ما يتعلق بترتيب القرآن الكريم .

الشبهة الأولى والرد عليها

يقولون : لا تتعجب اذا لم يتيسر لهم ترتيبه حسب أصله - يقصدون حسب نزوله - فقد كان ترتيبه اجتهاديا بحسب أهوائهم .

ومما يؤيد ذلك ما أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ، من طريق محمد بن اسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : « أتانى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة ، فقال : أشهد أنى سمعتهما من رسول الله ووعيتهما . فقال عمر : وأنا أشهد لقد سمعتهما . ثم لو كانت ثلاث آيات لجهتها سورة على حدة ، فانظروا آخر سورة من القرآن فالحقوها فى آخرها » (١) قال ابن حجر : « ظاهر هذا أنهم كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم » (٢) .

(١) انظر المصاحف لابن أبى داود ص ١١ ، ٣١ تحقيق : آرثر جفرى .
ومسند الامام أحمد ١/١٩٩ .

(٢) ص ٣٤ ، ٣٥ من كتاب تعليقات على القرآن .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : أن هذا الكلام ساقط من أساسه ، ولا يستحق الرد أصلا ، لأن الصحابة رضی الله عنهم لم يرتبوا القرآن حسب أهوائهم ، كما زعم هؤلاء الملاحدة ، وإنما بتوقيف من النبي ﷺ ، وقد بينا - والله الحمد - بما فيه الكفاية أن ترتيب الآيات توقيفى بالنص والاجماع وأما ترتيب السور ، فإن الأصح أنه توقيفى ، وعلمنا من النصوص ما يؤيد هذا ، وأتينا على أدلة المخالفين بما يكشف ظلام الشك عن وجه اليقين .

ثانيا : إذا كان هؤلاء الأفاكون يستندون فى ادعائهم الى قول بعض العلماء بأن ترتيب السور كان اجتهاديا - ومنهم ابن حجر - فنقول : لا مستند لهم فى ذلك ، لأن الخلاف بين من قالوا بالاجتهاد ومن قالوا بالتوقيف هو خلاف لفظى كما قال الزركشى ، حيث قال فى البرهان ما نصه : « والخلاف بين الفريقين لفظى ، لأن القائل بالثانى - أى بالاجتهاد - يقول أنه رمز اليهم ذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ، ولهذا قال مالك : إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم (٣)

ثالثا : أنه وردت رواية عند ابن أبى داود من طرق عديدة تعارض تلك الرواية التى استدلوا بها على مدعاهم ، فقد روى ابن أبى داود بسنده عن أبى بن كعب أنهم جمعوا القرآن من مصحف أبى ، فكان رجال يكتبون ويملئ عليهم أبى بن كعب ، فلما انتهوا الى الآية التى فى سورة براءة (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) فظنوا أن هذه آخر ما أنزل ، فقال أبى ابن

(٣) راجع البرهان فى علوم القرآن : ٢٥٧/١ ، والاتقان فى علوم القرآن : ٨٢/١ .

كعب : ان رسول الله ﷺ أقرانى بعد هذا آيتين (لقد جاءكم رسول)
الى آخر السورة « (٤) » .

ومن طريق أبى العالية عن أبى بن كعب أنهم لما جمعوا
القرآن فى مصحف فى خلافة أبى بكر ، فكان رجال يكتبون ويملى
عليهم أبى بن كعب ، فلما انتهوا الى هذه الآية من سورة براءة
(ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) فظنوا أن هذا
آخر ما أنزل من القرآن ، فقال أبى بن كعب : ان رسول الله
ﷺ قد أقرانى بعدهن آيتين (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز
عليه ما عنتم .. » الى آخر السورة ، قال فهذا آخر ما أنزل من
القرآن « (٥) » .

اذن فخير ابن أبى داود الأول الذى استشهد به هؤلاء الأفاكون
معارض ساقط عن درجة الاعتبار ، وما يدل على خلافه كثير ، واجماع
الصحابة على كتابة الآيات فى المصحف لا يمكن أن يكون عن واحد ،
فلو لم تتوافر الدواعى على أن آخر (براءة) هو هذا لما أجمعوا
على كتابتها ، ولابد أن يكون النبى ﷺ قد بلغها لجماعة حصل بهم
التواتر ، ثم انها لو لم تكن معروفة عندهم لم يفتقدوها ، وكيف يفتقدون
ما لا يعرفون .

رابعا : أن هذه الزيادة التى وردت فى رواية ابن أبى داود لم
تعرف فى الروايات الصحيحة ، ومثلها فى هذا الباب يرد ولا يعتمد
عليه ، فالصحيح ما رواه البخارى وأحمد والترمذى عن زيد بن
ثابت رضى الله عنه ، وما رواه ابن أبى داود عن أبى بن كعب ، وهى
عند الامام أحمد ، وفى زوائد ابنه عبد الله من أكثر من طريق -
هذا من جهة المتن .

(٤ ، ٥) راجع المصاحف ص ٩ ، ٣٠ وزوائد عبد الله على المسند ، الفتح
الريانى : ٣٢ / ١٨ ، ٣٣ .

خامسا : أن سند رواية ابن أبي داود ، فقد أورده الهيثمي وقال :

رواه أحمد وفيه ابن اسحاق ثقة لكنه مدلس ، إذا عنعن لا يحتج بحديثه ، وهو في هذا الحديث عنعن . ثم ان عباد بن عبد الله بن الزبير لم يدرك قصة جمع القرآن ، فهو منقطع ، ولأنه لم يرو هذه القصة عن الحارث بن خزيمة ، بل أرسل القصة ارسالاً (٦) .

ومما يذكر أن السند في المسند هكذا : « حدثنا علي بن بحر حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير قال : « (٧) ٠٠٠ الخ .

سادسا : أما ما أورده عن ابن حجر ، فهو افتراء مختلق وكذب مكشوف ، لأن ابن حجر أورد الرواية ، ثم علق عليها بقوله : « فظاهره أنهم كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم ، وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك الا بتوقيف » (٨) .

الشبهة الثانية والرد عليها

يقولون : الأقرب الى الحق والعقل أن ترتيب القرآن كان اجتهادياً أي باجتهاد الصحابة ، ومما يدل على ذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور ، فمنهم من رتبها على النزول ، وهو مصحف علي ، كان أوله (اقرأ) ثم (المدثر) ، ثم (ن) ، ثم (المزمل) ، ثم (تبتا) ثم (الكوثر) وهكذا الى آخر المكي والمدني . وكان أول مصحف ابن مسعود (البقرة) ، ثم (النساء) ، ثم (آل عمران) على اختلاف

(٦) راجع بلوغ الاماني من أسرار الفتح الرباني : ٣٣/١٨ - ٣٥ ، ١٧٣

٠ ١٧٤ -

(٧) المسند : ١٩٩/١ .

(٨) راجع فتح الباري : ٦٣٢/٨ .

شديد . وكذا مصحف أبي بن كعب وغيره (١) .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولاً: أن استدلال هؤلاء الأفاكون باختلاف مصاحف الصحابة ، لامستند لهم فيه أصلاً ، لأن اختلافهم كان قبل علمهم بالتوقيف ، ولما جمع عثمان - رضى الله تعالى عنه - القرآن على هذا الترتيب علموا ما لم يكونوا يعلمونه ، ولذلك تركوا ترتيب مصاحفهم ، وأخذوا بترتيب عثمان .

ثانياً : أن مصاحف الصحابة كانت مصاحف فردية ، لم يكتبوها للناس ، وإنما كتبوها لأنفسهم ، ومن البدهى أن الواحد منهم لم يثبت فيها إلا ما وصل إليه بمجهوده الفردى ، وقد يفوته ما لم يفته سواه من تحقيق أدق أو علم أوسع .

ولهذا كان يوجد بتلك المصاحف الفردية بعض آيات قد تكون نسخت ولم يبلغ صاحب ذلك المصحف نسخها . وقد يترك اثبات بعض سور القرآن لشهرتها وغناها بهذه الشهرة عن الاثبات فى المصحف ، كما ورد أن مصحف ابن مسعود لم تكن به سورة (الفاتحة والمعوذتين) وقد يكتب صاحب المصحف ما يرى أنه بحاجة إليه من غير القرآن فى نفس المصحف من أدعية وتفسير وغير ذلك ، كما ورد من أن مصحف أبى بن كعب كان به دعاء القنوت وسماء سورة الخلع والحفد .

الشبهة الثالثة والرد عليها

يقولون : مما يدل بأقوى دليل وبرهان على أنه لم يتيسر لعثمان ولا لغيره ترتيب القرآن حسب نزوله ، وهو أن محمداً كان تارة يدعى نزول آيات فى السفر ، وأخرى فى الحضر ، وتارة فى النهار ،

وأخرى فى الليل ، وتارة فى الصيف وأخرى فى الشتاء ، ومرة فى
الفرش ، وأخرى فى النوم ، ومرة فى الأرض وأخرى فى السماء ،
حتى قسموه الى سفرى وحضرى ونهارى وليلى وصيفى وشتائى
وقراشى ونومى وأرضى وسمائى ، فمن ذا الذى كان معه فى جميع هذه
الأزمنة والأمكنة حتى كان يعرف أوقات نزوله بالتقريب ؟ وزد على هذا
أن بعضه نزل مفرقا ، وبعضه نزل جمعا . وغير ذلك ، فلا عجب اذا
سقط منه وزيد عليه شيء كثير (١) .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : هذه الشبهة لا تستحق الرد أصلا ، لأنه لم يكن فى استطاعة
عثمان ولا غيره أن يجمع القرآن على ترتيب النزول ، ويترك الترتيب
الحالى بعد أن أوقفهم عليه رسول الله ﷺ .

قال محمد بن سيرين : قلت لعكرمة الفوه كما أنزل الأول فالأول .
قال : لو اجتمعت الانس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما
استطاعوا (٢) .

فكلام عكرمة - هذا - معناه أنهم ما استطاعوا أن يؤلفوه على
حسب نزوله ، ويتركون ترتيب رسول الله ﷺ الذى رتبّه عليه ،
واستقر عليه حفظ الصحابة للقرآن . والا فانه قد ثبت أن للامام على
مصحف على ترتيب النزول .

ثانيا : أما استدلال هؤلاء الأفاكون على مدعاهم بأن الرسول ﷺ
كان ينزل عليه آيات فى السفر وأخرى فى الحضر ، وتارة فى النهار
وأخرى فى الليل . . . الى أن قالوا : فمن ذا الذى كان معه فى جميع
هذه الأزمنة والأمكنة حتى كان يعرف أوقات نزوله بالتقريب ؟

(١) راجع المصدر السابق .
(٢) الاتقان فى علوم القرآن : ٧٧/١ .

فهذا استدلال باطل وإدعاء مغرض ، لأن الرسول ﷺ لم يكن فى حاجة الى من يكون معه وقت نزول الوحي حتى يعرف وقت نزول القرآن ، أو مكان نزوله ، وإنما الرسول ﷺ ينزل عليه الوحي فى أى زمان أو مكان شاء فيحفظ عنه الرسول ﷺ ما نزل ، ثم يبلغه أصحابه بعد ذلك ، ولا خوف على الرسول ﷺ نسيان ما أوحى اليه ، لأن الله تعالى حفظه فى صدره ، وضمن له عدم نسيانه . قال تعالى : سنقرئك فلا تنسى» (٣) . وقال تعالى : «لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه» (٤) .

ففى هذه الآيات ضمان من الله تعالى لرسوله ﷺ أن يجمع له القرآن فى صدره ، وأن يقرأه على الناس كاملا لا ينقص منه كلمة ولا حرفا ، وأن يبين له معناه فلا تخفى عليه خافية منه ، وقد صرح الرسول ﷺ بذلك كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فاعنى ما يقول » (٥) .

وقد أخرج ابن حبان فى صحيحه وابن المنذر وابن مردويه وابن أبى الدنيا فى كتاب التفكير عن عائشة رضى الله تعالى عنها : « أن بلالا أتى النبى ﷺ يؤذنه لصلاة الصبح فوجده يبكى ، فقال : يا رسول الله ما يبكيك ؟ قال : وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل على هذه الليلة

(٣) الآية : ٦ من سورة الأعلى .

(٤) الآيات : ١٦ - ١٩ من سورة القيامة .

(٥) الحديث : أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحي : ٢٥/١ ، ٢٦

من كتاب فتح البارى .

« إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى
الالباب » ثم قال : « ويل لمن قرأها ولم يتفكر » (٦) •

فهذا الأثر يبين أن الرسول ﷺ قد نزل عليه القرآن أثناء
الليل ، فلما جاءه بلال ليؤذنه لصلاة الصبح بلغه ما أنزل عليه .
وهكذا شأن كل القرآن الذي نزل على رسول الله ﷺ •

ثالثا : أن نهايتهم التي ختموا بها هذه الشبهة أقبح من بدايتهم ،
لأنهم رتبوها على تلك الأكاذيب والافتراءات الباطلة ، ثم ازدادوا فيها
اتهاما جديدا مجردا من السند والحجة أيضا ، وهو أن القرآن سقط
منه وزيد عليه أشياء كثيرة •

فأنت ترى أنهم خرجوا من اتهام الى اتهام آخر ، واحتجوا
بكذب على كذب ، وطاوعتهم عقولهم حتى قالوا ما شاء لهم الهوى
والتعصب الى هذا الحد . وقد بسطنا الرد على مثل هذا الاتهام
الباطل في الكلام على جمع القرآن فارجع اليه ان شئت حتى تعلم أن
القرآن قد وصل الينا محفوظا من كل عبث كما نطق به الرسول
ﷺ ، وكما أنزله الله تعالى القائل : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون » •



الفصل الثالث

كتابة القرآن ورسمه

لعلك تذكر أن كتابة القرآن وفيها بحثها فى فصل (جمع القرآن) ، وذكرنا هناك كيف كتب القرآن ، وفيما كتب على عهد النبى ﷺ ، ثم على عهد أبى بكر وعثمان رضى الله تعالى عنهما ، وذكرنا لك كتاب الوحى فى كل من مكة والمدينة ، ودللنا على أن القرآن كتب بين يدى النبى ﷺ ، وذكرنا الباعث على الكتابة فى كل عهد بما يغنى عن اعادته ، وتكراره فارجع اليه ان شئت (١) .

أولا - رسم المصحف

الرسم فى اللغة : الأثر ، والعلامة ، ورسم على كذا وكذا أى كتب وبابه نصر .

والمراد من الرسم : تصوير الكلمات بحروف الهجاء بتقدير الابتداء بها والوقف عليها (٢) .

ورسم المصحف : هو الرسم المخصوص الذى كتب به حروف القرآن الكريم وكلماته ، اثناء كتابة القرآن فى جميع مراحلته الكتابية التى كان آخرها كتابته فى عهد عثمان رضى الله تعالى عنه .

وإذا كان هذا الرسم يسمى (الرسم العثمانى) نسبة الى سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه ، فليست لابتكار عثمان اياه ، أو لمخالفته به رسما كان قد تم بين يدى النبى ﷺ ، وانما كانت هذه التسمية ، لأن الفضل يرجع الى سيدنا عثمان فى تعميم هذا الرسم - الذى نسخه

(١) راجع الكتاب من ص ١٧ - ٦٥ .

(٢) راجع مختار الصحاح ص ٢٦٤ والقاموس المحيط : ١٢٠ / ٤ .

من صحف أبي بكر رضي الله تعالى عنه - واذا عته في الأفاق والأمصار
بعد وصول المصاحف إليها ، وكذلك الى الطريقة التي رسمت بها
المصاحف في عهده رضي الله تعالى عنه .

ثانيا - قواعد رسم المصحف

الأصل في المكتوب أن يكون موافقا للمنطوق من غير زيادة ولا
نقص ولا تغيير ولا تبديل مع مراعاة الابتداء به والوقوف عليه ،
والفصل والوصل ، وقد مهد له العلماء أصولا وقواعد ، وقد
خالفها في بعض الحروف خط المصحف الامام ، وينحصر أمر الرسم
في ستة قواعد هي : الحذف ، والزيادة ، والهمز ، والبدل ، والوصل
والفصل ، وما فيه قراءتان متواترتان وكتب على احدهما ، ولنذكر
لذلك أمثلة بقدر الايضاح من غير استقراء وحصر لجميع ما ورد .

القاعدة الأولى : في الحذف :

خلاصتها : أن الألف تحذف من (يا) النداء نحو : (يا أيها
الناس) ، ومن (هاء) التنبيه مثل (هأنتم هؤلاء) ، ومن كلمة
(نا) اذا وليها ضمير نحو (أنجيئكم) ، ومن لفظ الجلالة (الله)
ومن كلمة (إله) ، ومن لفظ (الرحمن) و (سبحن) الاقل (سبحان
ربى) ومن كل مثنى نحو (رجلان) ، ومن كل جمع تصحيح لمذكر
أو لمؤنث نحو : (سماعون - المؤمنات) ، ومن كل جمع على وزن
مفاعل ونحوه مثل : (المساجد - والنصارى) ، ومن كل عدد نحو
(ثلاث) ، ومن البسمة ، ومن أول الأمر من سأل ، (الا ما استثنى
من هذا كله) .

وتحذف الياء : من كل منقوص منون رفعا وجرا نحو (غير
باغ ولا عاد) ، ومن هذه الكلمات : (أطيعون ، اتقون ، خافون ،
فارسلون ، واعبدون) الا ما استثنى .

وتحذف الواو : اذا وقعت مع واو أخرى فى نحو : (لا يستوون ، فأووا إلى الكهف) •

وتحذف اللام : اذا كانت مدغمة فى مثلها نحو : (الليل ، والذى) الا ما استثنى •

وهناك حذف لا يدخل تحت قاعدة كحذف الألف من كلمة : (مالك) ، وكحذف الياء من كلمة (ابراهيم) ، وكحذف الواو من هذه الأفعال الأربعة : (ويدعو الانسان ، ويمحو الله الباطل ، يوم يدعو الداع ، سندع الزبانية) ، لأن القاعدة عدم حذفها الا فى حالة الجزم •

القاعدة الثانية : فى الزيادة :

وخلصتها : أن الألف تزداد بعد الواو فى آخر كل اسم مجموع أو فى حكم المجموع نحو : (ملاقوا ربهم ، بنوا اسرائيل ، أولوا الأبواب) ، وبعد الهمزة المرسومة واوا ، نحو : (تالله تفتأ) ، فانها ترسم هكذا : (تالله تفتؤا) ، وفى كلمات : (مائة ، ومائتين) ، (والظنون ، والرسول ، والسبيل) فى قوله تعالى : (وتظنون بالله الظنونا) (وأطعنا الرسولا) (فأضلونا السبيلا) • وتزداد الياء : فى هذه الكلمات : (نبأ ، من تلقاء ، بأيكم المفتون ، بأيد) من قوله تعالى : (والسماء بنيناها بأيد) • وتزداد الواو : فى نحو (أولو ، أولئك ، أولاء ، أولات) •

القاعدة الثالثة : فى الهمزة :

وخلصتها : أن الهمزة اذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها ، نحو : (ائذن ، أوئمن ، البأساء) الا ما استثنى •

أما الهمزة المتحركة : فان كانت أول الكلمة واتصل بها حرف زائد ، كتبت بالالف مطلقا ، سواء أكانت مفتوحة أم مكسورة ، نحو : (أيوب ، أولو ، اذا ، سأصرف ، سأنزل ، فبأى) ، الا ما استثنى .

وان كانت الهمزة وسطا ، فانها تكتب بحرف من جنس حركتها ، نحو : (سأل ، سئل ، تقرأه) الا ما استثنى .

القاعدة الرابعة : فى البدل :

خلاصتها : أن الألف تكتب واوا للتفخيم أو التهويل والتقطيع فى مثل : (الصلاة ، والزكاة ، والحياة ، والربا) حيث لم تضاف ، وفى (بالغدوة) فى الأنعام والكهف ، وفى (كمشكوة) فى النور ، وفى (النجوة) فى غافر ، وفى (ومنوة) فى النجم . الا ما استثنى من القاعدة .

وترسم ياء اذا كانت منقلبة عن ياء ، نحو : (يتوفاكم ، يا حسرتا ، يا أسفا) .

وكذلك ترسم الألف ياء فى هذه الكلمات : (الى ، على ، أنى - بمعنى كيف - متى ، بلى ، حتى ، لدى) ماعدا (لدا الباب) ، فى سورة يوسف فانها ترسم ألفا .

وكذلك ترسم النون ألفا : فى نون التوكيد الخفيفة ، وفى كلمة (اذن) .

وترسم هاء التأنيث تاء مفتوحة فى كلمة (رحمت) بالبقرة ، والأعراف ، وهود ، ومريم ، والروم ، والزخرف . وفى كلمة (نعمت) فى البقرة ، وآل عمران ، والمائدة ، وإبراهيم ، والنحل ، ولقمان ، وفاطر ، والطور . وفى كلمة (سنت) فى الأنفال وفاطر . وفى كلمة (لعنت الله) وفى كلمة (معصيت) بسورة (قد سمع) ، وفى هذه الكلمات : (ان شجرت الزقوم ،

قرت عين ، جنت نعيم ، بقيت الله خير) وفى كلمة
(امرأة) أضيفت الى زوجها نحو : (امرأت عمران ، امرأت
نوح ، وامرات لوط ، وامرات فرعون) وفى غير ذلك .

القاعدة الخامسة : فى الوصل والفصل :

وخلاصتها : أن كلمة (أن) بفتح الهمزة توصل بكلمة
(لا) اذا وقعت بعدها ، ويستثنى من ذلك عشرة مواضع ، منها :
(أن لا تقولوا) فى الأعراف ، (أن لا تعبدوا) فى هود ويس ،
(وأن لا تعلقوا على الله) فى الدخان .

وكلمة (من) توصل بكلمة (ما) اذا وقعت بعدها ،
ويستثنى من ذلك (من ما ملكت أيمانكم) فى النساء والروم ، (ومن
ما رزقناكم) فى سورة المنافقين .

وكلمة (من) توصل بكلمة (من) مطلقا .

وكلمة (عن) توصل بكلمة (ما) التى بعدها ، الا قوله
تعالى : (عن ما نهو عنه) .

وكلمة (إن) بالكسر توصل بكلمة (ما) التى بعدها ، الا قوله
تعالى : (وإن ما نريدك) فى الرعد .

وكلمة (أن) بالفتح توصل بكلمة (ما) مطلقا من غير
استثناء .

وكلمة (كل) توصل بكلمة (ما) التى بعدها ، الا قوله
تعالى : (كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها) .

وتوصل كلمات : (نعم ، وربما ، وكأنما ، وكان) ونحوها .

القاعدة السادسة : ما فيه قراءتان :

وخلاصتها : أن الكلمة اذا قرئت على وجهين تكتب برسم
أحدهما ، كما رسمت الكلمات الآتية بلا ألف فى المصحف ، وهى :
(ملك يوم الدين ، ويخدعون ، ووعدنا موسى ، تفدوهم ، تظهرون ،
ونحوها وكلها مقروءة بأبواب الألف وحذفها .

وكذلك رسمت الكلمات الآتية بالتاء المفتوحة ، وهى : (غيابت
الجب) فى يوسف ، (ثمرت من أكمامها) فى فصلت ، (وهم فى
الغرفت آمنون) فى سبأ ، وذلك لأنها جميعا مقروءة بالجمع
والافراد .

وغير ذلك كثير وحسبنا ما ذكرناه ، ومن أراد المزيد فليرجع
الى كتاب « البرهان » للزركشى (٣) ، وكتاب « الاتقان » (٤)،
للسيوطى ، ففيهما المزيد لمن أراد .

ثالثا - حكم الالتزام بالرسم العثمانى

قلنا فيما سبق أن رسم المصحف وان نسب الى عثمان
رضى الله تعالى عنه ، الا أنه نفس الرسم الذى كتبت به الصحف
القرآنية فى عهد أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، ونفس الرسم
الذى كتبت به الآيات والسور فى (الرقاع والأكتاف والعسب
واللخاف وغير ذلك) فى حياة النبى ﷺ ، باملأئه واشرافه ، وهو
نفس الخط الذى كان معروفا ومتداولاً بين الناس زمن النبوة
وقبلها . والسؤال الآن :

هل اكتسب هذا الرسم - بعد كتابة المصحف به - صفة
التوقيف بحيث لا يجوز كتابة المصحف برسم غيره ؟ أم أنه
اصطلاحى لا توقيفى بحيث تجوز مخالفته ؟ للعلماء فى هذا الشأن
اقوال ثلاثة :

١ - القائلون بالتوقيف

ذهب جمهور العلماء الى أن رسم المصحف العثمانى توقيفى

(٣) راجع النوع الخامس والعشرين من ص ٣٧٦ - ٤٣١ .

(٤) راجع النوع السادس والسبعين من ص ٢١٢ - ٢٢١ .

- بمعنى أنه لا مجال للعقل فيه ، وليس للصحابة أو غيرهم دخل فيه - لا تجوز مخالفته بحال من الأحوال .

فيقول العلامة ابن المبارك نقلا عن شيخه عبد العزيز الديرغاغ : (ما للصحابة ولا لغيرهم فى رسم القرآن العزيز ولا شعرة واحدة ، وإنما هو توقيفى من النبى ﷺ ، وهو الذى أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها ، لأسرار لا تهتدى إليها العقول ، وما كانت العرب فى جاهليتها ، ولا أهل الايمان من سائر الأمم فى أديانهم يعرفون ذلك ، ولا يهتدون بعقولهم الى شىء منه ، وهو سر من أسراره خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية ، فلا يوجد شبه ذلك الرسم لا فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى غيرهما من الكتب السماوية .

وكما أن نظم القرآن معجز ، فرسمه - أيضا - معجز ، وكيف تهتدى العقول الى سر زيادة الألف فى (سعوا ،) فى قوله تعالى : « والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم » (١) . وكذلك كيف نفهم سر عدم زيادتها فى (سعو) - أيضا - فى قوله تعالى : « والذين سعو فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز اليم » (٢) .

وأخذ يسوق الأمثلة على ذلك الى أن قال :

(وللقرآن أسرار لا تستفاد الا بهذا الرسم ، فمن كتبه بالرسم التوقيفى ، فقد آداه بجميع أسراره ، ومن كتبه بغير ذلك ، فقد آداه ناقصا ، ويكون ما كتبه إنما هو من عند نفسه لا من عند الله تعالى) (٣) .

(١) الآية : ٥١ من سورة الحج .

(٢) الآية : ٥ من سورة سبأ .

(٣) راجع مناهل العرفان : ١ / ٣٨٢ ، ٣٨٣ . ورسم المصحف ص ٢٢ ، ٢٣ .

ولما كان أمر الرسم العثماني كذلك فقد اتفق أغلب الفقهاء والعلماء على وجوب التزام الرسم العثماني ، بل اتباعه ، واليك بعض أقوالهم :

١ - قال أشهب : سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا الا على الكتابة الأولى . قال الداني : ولا مخالف له من علماء الأمة . وسئل مالك - أيضا - عن الحروف في القرآن من الواو والألف أتري أن يغير من المصحف اذا وجد فيه كذلك ؟ قال : لا . قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف المزيديتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو : الواو في (أولوا الألباب) و (أولات) و (الربوا) ونحوه .

٢ - قال السخاوى : والذي ذهب اليه مالك هو الحق ، اذ فيه بقاء الحالة الأولى ، الى أن تعلمها الطبقة الأخرى بعد الأخرى ، ولاشك أن هذا هو الأخرى ، اذ فى خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما فى الطبقة الأولى .

٣ - وقال الامام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة خط المصحف العثماني فى واو ، أو ألف ، أو ياء ، أو غير ذلك .

٤ - وجاء فى المحيط البرهاني - فى فقه الحنفية - مانصه : أنه ينبغي أن لا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني (٤) .

٥ - ويقول الامام النيسابورى : قال جماعة من الأئمة : ان الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتابة أن يتبعوا هذا الرسم فى خط المصحف ، فانه رسم زيد بن ثابت ، وكان أمين رسول الله ﷺ وكاتب وحيه وعلم من هذا العلم - بدعوة النبى ﷺ -

(٤) راجع هذه الأقوال فى (البرهان) ١/٣٧٩ ، ومناهل العرفان : ٣٧٩/١ ورسم المصحف ص ٣٤ ، ٣٥ ، والالتقان : ٢/٢١٣ .

مالم يعلم غيره ، فما كتب شيئا من ذلك الا لعلة لطيفة وحكمة
بليغة ، وان قصر عنها رأينا ، (٥) .

٦ - وقال البيهقي - فى شعب الايمان - من يكتب مصحفا
ينبغى عليه أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ،
ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوا شيئا ، فانهم كانوا اكثر
علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغى
أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم (٦) .

هذه هى بعض اقوال العلماء فى التزام الرسم العثمانى
فى كتابة القرآن الكريم ، وذلك لأن الرسم عندهم توقيفى لا تجوز
مخالفته ، وقد استدلوا على رأيهم بما يأتى :

الأول : الاستدلال بالقرآن الكريم :

أى : بقول الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

لحافظون » (٧) .

يقولون : فخير الله تعالى يجب أن يكون صادقا ، ويستحيل
عليه الكذب ، ولا سيما أنه تعالى قد أكد خبر حفظه الذكر
الحكيم بالجملة الاسمية ، وان ، واللام ، ففيه تأكيدات ثلاث .

وهو سبحانه وتعالى يعلم الأشياء الواجبة والجائزة والمستحيلة
فى المستقبل كالماضى والحال على ماهى عليه . فهو تعالى يعلم
أن حفاظ القرآن سيتلون : (رحمت ، ونعمت ، وسنت) ونحو
ذلك من المواضع الخاصة بالتناء عند الوقف لا بالهاء ، ويعلم

(٥) راجع غرائب القرآن ورجائب الفرقان : ٣٥/١ على هامش تفسير

جامع البيان للطبرى .

(٦) راجع الاتقان : ٢/٢١٣ ومناهل العرفان : ١/٣٨٠ .

(٧) الآية : ٩ من سورة الحجر .

سبحانه وتعالى أن قراءة الأمة الاسلامية وفيهم كتاب الوحي ،
وقراء الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - سيقفون افهما ،
وتعلّما ، وامتحانا على (يؤت) من قوله تعالى : « وسوف
يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً » (٨) بحذف الياء بغير جازم
ويسكون التاء تبعاً لرسم الصحابة . ويعلم أيضاً : أن هؤلاء
سيقفون - لما ذكر - على (سندع) من قوله تعالى : « سندع
الزبانية » (٩) ، و (يمح) من قوله تعالى : « ويمح الله الباطل » (١٠)
و (يدع) من قوله تعالى : « ويدع الانسان بالشر دعاءه
بالخير » (١١) يعلم تعالى أنهم سيقفون على هذا كله بحذف
الواو بغير جازم فى الأفعال . فلو لم يكن الرسم توقيفياً علمه الروح
الأمين بأمر الله تعالى النبى ﷺ لكان خبره تعالى كاذباً ، وهو
محال ، اذ أن حفظ الله تعالى للذكر الحكيم أعم من حفظ
السورة ، والآية ، والجملة ، والكلمة ، والحرف .

فلو كان الرسم العثمانى غير توقيفى ، بأن كتبه الصحابة
على ما تيسر لهم ، كما يزعم أناس ، لزم أن يكون الله تعالى
قد أنزل على نبيه الكلمات السابقة (يؤت ، يدع ، سندع ،
يمح ، الخ) بالياء والواو ، وأن يكون تعالى قد أنزل على
نبيه (رحمت ، ونعمت ، وسنت . الخ) فى المواضع المخصوصة
بالياء (رحمة ، نعمة ، سنة) ثم كتبها الصحابة - لجهلهم
بالخط يومئذ !! - بحذف الياء والواو ، وبالتالي ثم تبعهم فى
ذلك الأمة الاسلامية خطأ نحو أربعة عشر قرناً من الزمان ،

-
- (٨) من الآية : ١٤٦ من سورة النساء .
(٩) الآية : ٨ من سورة العلق .
(١٠) من الآية : ٢٤ من سورة الشورى .
(١١) من الآية : ١١ من سورة الامراء .

فتكون الأمة الاسلامية من عهد النبي ﷺ الى اليوم مجمعة على حذف حروف عديدة من كلامه تعالى ، وعلى استبدال حروف باخرى (تاءات محل هاءات) ليست منزلة من عند الله تعالى .

فلو كان ذلك كذلك ، لكان خبره تعالى كاذبا ، وكذب خبره تعالى باطل ، فيبطل ما أدى اليه ، وهو كون الرسم لهذه الكلمات ونظائرها من عند الصحابة بلا توقف نبوى ، واذا بطل هذا ثبت نقيضه ، وهو كون الرسم العثمانى ليس من عند الصحابة ، بل بتوقيف ، وهو المطلوب .

وهذا الدليل المنطقى واضح جلى واجب التسليم لا يكابر فيه الا جاهل بالقرآن ، وبمقدمات الاستدلال .

الثانى : الاستدلال بالسنة :

يقولون : ان القرآن الكريم كتب بحضرة النبي ﷺ ، وبين يديه ، وكان ﷺ يرشد كتاب الوحى الى رسم الحروف ، ويطلبهم أن تكون الكلمات واضحة ، وينهاهم عن اعوارها واخفائها ، فقد ورد أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لمعاوية - أحد كتاب الوحى - (الق الدواة ، وحرف القلم ، وانصب الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن ، وجود الرحيم) (١٢) .

وكذلك كان كثير من الصحابة يكتبون فى الصحائف كل آية حفظوها ، ويعرضونها على النبي ﷺ ، وغالبا ماكان النبي ﷺ يملى عليهم مباشرة ، فيكتبون ما نزل بحضرة ، ويعرضون عليه مرة بعد أخرى حتى يقرهم ، وبهذه الكيفية كتب القرآن من أوله الى آخره فى حياة الرسول ﷺ على صحائف ، وقراطيس متفرقة - وكانت هذه الصحائف والقراطيس أعلى عندهم من أنفسهم ، وأنفس

من كل نفيس ، وأحب اليهم من كل حبيب وجليس - وكان الواحد منهم يكتب ما يمليه عليه النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تبديل ولا تغيير لما أملاه عليه النبي ﷺ ، وأرشده الى كتابته ، بوحي من جبريل عليه السلام على الهيئة المعروفة .

الثالث : الاستدلال بالاجماع

فبعد أن توفى رسول الله ﷺ جمع القرآن فى صحف أبى بكر ، وكتبت بنفس الرسم الذى كتب به بين يدى النبي ﷺ ، وأقر أصحابه عليه .

ولم يفعل عثمان رضى الله تعالى عنه - فى جمعه - شيئا سوى نسخ عدة مصاحف من صحف أبى بكر ، ورسم تلك المصاحف هو بعينه رسم مصحف أبى بكر الذى هو رسم النبي ﷺ دون تغيير أو تبديل .

ولما نسخ عثمان - رضى الله تعالى عنه - المصاحف أمر الناس بالاعتصام على ما وافقها لفظا ومتابعتها خطا ، ولذا أمر بما سواها أن يحرق ، اذ لولا قصده جعل هذه المصاحف أئمة للقارئ والكاتبين ما أمر بتحريق ما سواها .

وما أحرق عثمان المصاحف - التى أحرقها باجماع الصحابة - الا لمخالفة رسمها رسم صحف أبى بكر ، وكان احراقها منه - رضى الله تعالى عنه - اعلاما تاريخيا بأن كل ما يخالف هذا الرسم فهو باطل مردود .

كل هذا بمحضر الصحابة واجماعهم دون أن يخالف فى ذلك أحد مع ما كان يتسم به ذلك العصر من التمتع بالحرية فى القول ، والجرأة فى الحق .

وبعدهم جاء عصر التابعين ، فنقلوه من الصحابة بالرضى ، والافتناع بتوقيفه . واستمر المصحف مكتوبا بهذا الرسم - كما هو فى عهد الصحابة - فى عهد التابعين ، وتابعى التابعين ، والأئمة المجتهدين فى عصورهم المختلفة . ولم يثبت أن أحدا من هؤلاء جميعا حدثته نفسه بتغيير هجاء المصاحف ، ورسمها الذى كتبت به - أولا - وكتابتها برسم آخر يساير الرسم المحدث الذى حدث فى عهد ازدهار التأليف فى البصرة والكوفة . بل ورد أنهم شذوذوا قراءة من خالف رسم المصحف ، ومنعوه من القراءة به (١٣) .

وبذلك توفر لرسم المصحف اجماع الصحابة - رضوان الله عليهم - وكانوا أكثر من اثنى عشر ألف صحابى ، ثم اجماع الأمة عليه بعد ذلك فى عهد التابعين والأئمة المجتهدين .

وقد حكى اجماع الأمة - على ما كتب عثمان - (الدانى) اذ يروى باسناده الى مصعب بن سعد قال : « أدركت الناس حين شقق عثمان - رضى الله عنه - المصاحف ، فأعجبهم ذلك ولم يعبه أحد » (١٤) .

وكذلك يروى (شارح العقيلة) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن عثمان أرسل الى كل جند من أجناد المسلمين مصحفا ، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف الذى أرسل اليهم) ولم يعرف أن أحدا خالف فى رسم هذه المصاحف العثمانية (١٥) .

(١٣) أنظر طبقات القراء : ٥٤/٢ ومعنى شذوذها أى حكموا عليها بالشذوذ .

(١٤) أنظر (المقنع فى رسم مصاحف الأمصار) لآبى عمرو الدانى : ص ١٠ تحقيق : أوتوبرتزل .

(١٥) أنظر فتح البارى لابن حجر : ٦٣٧/٨ ومناهل العرفان : ٣٧٨/١

وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن علي رضي الله تعالى عنه قال : « لا تقولوا في عثمان الا خيرا فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف الا عن ملاء منا » (١٦) .

وانعقاد الاجماع على تلك المصطلحات في رسم المصحف دليل على أنه لا يجوز العدول عنه .

الرابع : الاستدلال باختلاف رسم الكلمة الواحدة وذلك باختلاف مواضعها . والأمثلة على هذا كثيرة تقتصر منها على مايتى :

١ - كلمة (بسم) حيث وردت محذوفة الألف في كل فواتح السور ، وفي قوله : « بسم الله مجراها ومرساها » (١٧) ، وفي قوله تعالى : « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » (١٨) بينما هي مثبتة بالألف في قوله تعالى : « فسبح باسم ربك العظيم » (١٩) ، وقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » (٢٠) .

٢ - كلمة (رحمة) حيث كتبت بالتاء المفتوحة في سبعة مواضع ، وهي قوله تعالى : « أولئك يرجون رحمت الله » (٢١) ، « رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت » (٢٣) ، وقوله تعالى :

-
- (١٦) أنظر المصاحف لابن داود : ص ٢٠ وفتح الباري : ٦٣٦/٨ .
 (١٧) من الآية : ٤١ من سورة هود .
 (١٨) الآية : ٣٠ من سورة النمل .
 (١٩) الآية : ٧٤ ، ٩٦ من سورة الواقعة والآية ٥٢ من سورة الحاقة .
 (٢٠) صدر سورة العلق .
 (٢١) من : ٢١٨ من سورة البقرة .
 (٢٢) من الآية : ٩٦ من سورة الاعراف .
 (٢٣) من الآية : ٧٣ من سورة هود .

« ذكر رحمت ربك » (٢٤) وقوله تعالى : « فانظر إلى آثار رحمت الله » (٢٥) ، وقوله تعالى : « هم يقسمون رحمت ربك » وقوله : « ورحمت ربك خير مما يجمعون » (٢٦) ، وكتبت بالهاء فى باقى المواضع (٢٧) .

فلو كان الرسم بالاصطلاح لساروا فى عملهم - عند الكتابة - على الخطة التى قد اتفقوا عليها ، أو الاصطلاح الذى افوه . ولكنهم لما كانوا لا يسيرون على خطة من عند أنفسهم ، ولا يكتبون كيفما اتفق لهم - بل كانوا يتبعون ارشادات الوحي - كانت هذه الاختلافات فى رسم الكلمات المتناظرة .

فان قيل : ان هذا الاختلاف ناجم عن أن كل واحد منهم كان يكتب بما اعتاده وتيسر عليه ، لأنهم لم يكونوا فى الحذق بالهجاء سواء فلذلك نشأ هذا الاختلاف .

نقول : لو كان الامر على ما يزعم هذا القائل لناقش بعضهم بعضا فى هذا ، ولاسيما أن الامر يتعلق بالاصل الاول للاسلام ، وتوافر الدواعى لحرية الرأى فى مثل هذا كانت مكفولة للجميع .

خاصة : وأن زيد بن ثابت - الذى كتب الوحي للرسول ﷺ وكتب القرآن فى عهدى أبى بكر وعثمان - كان يطلب خلال جمع القرآن فى عهد أبى بكر ما كتب بين يدى النبى ﷺ ، ليكتب منه فيوافق رسمه الرسم الذى أقره النبى ﷺ حينما كتبت بين يديه ،

(٢٤) الآية : ٢ من سورة مريم .

(٢٥) من الآية : ٥٠ من سورة الروم .

(٢٦) الآية : ٣٢ من سورة الزخرف .

(٢٧) راجع المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

ويطلب ممن معه الشيء من القرآن ابرازه فيبرزه ، ويقرؤه ،
 ويبين كيفية رسمه بمسمع من الكتاب والحفاظ الحاضرين من
 أجلة الصحابة ، فاذا وافقه الجميع عليها كتبها زيد على الرسم
 الذى عنده ، وان خالفه أحد الكتاب فى الرسم ، أو أحد الحفاظ
 فى القراءة كانت محل المقارنة والموازنة . وتم جمع القرآن فى
 عهد أبى بكر رضى الله تعالى عنه على هذا النحو ، ولم ينقل
 اليها أنهم تناقشوا فى مثل هذا ، أو أن بعضهم أنكر على بعض
 شيئا من هذا .

أما فى جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله تعالى عنه
 فقد نسخت صحف أبى بكر بنفس رسمها فى المصاحف العثمانية ،
 ولم ينقل اليها أن الكتبة اختلفوا فى رسم كلمة سوى ما حدث
 عند كتابة قوله تعالى : « إن يأتيكم التابوت فيه سكينه من
 ربكم » (٢٨) . فقد اختلفوا فى كلمة (التابوت) حيث قال
 زيد : (التابوه) ، وقال القرشيون : (التابوت) بالتاء
 المفتوحة ، لأنه كذلك فى لغة قريش ، فرجع خلفهم الى عثمان
 رضى الله تعالى عنه فقال : اكتبوه (التابوت) فانما نزل القرآن
 بلسان قريش (٢٩) .

وعلى هذا فلو كان رسمهم بما تيسر عندهم - كما يدعون -
 أو على اصطلاحاتهم ، أو على غير خطة فى الرسم ، يراعى فيها

(٢٨) من الآية : ٢٤٨ من سورة البقرة .

(٢٩) راجع فتح البارى : ٦٣٦/٨ . وكان سبب هذا الخلاف : أن هذا
 الحرف قد عراه طمس من طول المكث عند الصديق بقية خلافته ،
 ثم عند عمر رضى الله عنه كل زمن خلافته ، ثم عند أم المؤمنين
 حفصة مدة من صدر خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه . راجع
 الفتوى المحمدية ص ٣٧ ورسم المصحف ص ٤٠ .

المطابقة بين كتاباتهم ، وبين ما كتب بين يدي النبي ﷺ ونتج عن ذلك اختلاف رسم الكلمة الواحدة باختلاف المواضع .

لو كان ذلك كذلك : لما وقع هذا الخلاف فى كتابة كلمة (التابوت) ، ولكتبها كل منهم على حسب اصطلاحه الذى كان يعرفه ، دون رجوع الى عثمان رضى الله تعالى عنه الذى لم يستند فى اختياره لغة قريش لكتابة الكلمة سوى أن القرآن نزل بلسانهم ، وكانت كتابته الاولى توافق منطوقهم بأمر الوحي .

٢ - القائلون بالاصطلاح

يرى بعض العلماء : أن هذا الرسم اصطلاحى لا توقيفى ، بل هو من وضع الذين كتبوا القرآن فى عهد عثمان رضى الله تعالى عنه ، وقد وافقهم أمير المؤمنين عثمان على ذلك .

فيقول القاضى أبو بكر الباقلانى : وأما الكتابة فلم يفرض الله تعالى على الأمة فيها شيئا ، إذ لم يؤخذ على كتاب الوحي ، وخطاط المصاحف رسما بعينه - دون غيره - أوجبه عليهم وترك ما عداه ، إذ وجوب ذلك لا يدرك الا بالسمع والتوقيف . وليس فى نصوص الكتاب ولا مفهومه : أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز الا على وجه مخصوص ، وحد محدود لا يجوز تجاوزه ولا فى نصوص السنة - أيضا - ما يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية .

بل السنة دلت على جواز رسمه بأى وجه سهل ، لأن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه ، ولم يبين لهم وجها معينا ، ولا نهى أحدا عن كتابته . ولذلك اختلفت خطوط المصاحف . فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح ، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال . (م ١٣ - البيان)

ولاجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية ، والخط
الأول ، وأن يجعل اللام على صورة الكاف ، وأن تعوج الألفات ،
وأن يكتب على غير هذه الوجوه ، وجاز أن يكتب المصحف بالخط
والهجاء القديمين ، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء الحديثة ، وجاز
أن يكتب بين ذلك .

وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة
الصورة ، وكان الناس قد أجازوا ذلك ، وأجازوا أن يكتب كل منهم
بما هو عادته ، وما هو أسهل وأشهر وأولى من غير تأثيم ولا تناكر ،
علم أنه لم يؤخذ في ذلك على الناس حد محدود مخصوص ، كما أخذ
عليهم في القراءة والأذان .

والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجرى
مجرى الاشارات والعقود والرموز ، فكل رسم دال على الكلمة مفيد
لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت .

وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص
وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه ، وأنى له ذلك (٣٠) ؟

وممن ذهب الى هذا الرأي أيضاً : عبد الرحمن بن خلدون ،
حيث قال في مقدمته : كان الخط العربي لأول الاسلام غير بالغ الى
الغاية من الاحكام والالتقان والاجادة ، ولا بالغ الى التوسط
لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع . وانظر
ما وقع من أجل ذلك في رسمهم المصحف : حيث رسمه الصحابة
بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة في الاجادة ، فخالف الكثير من رسمهم
ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها . ثم اقتفى التابعون من

السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه رسول الله ﷺ ، وخير الخلق بعده المقتفون لوحيه من كتاب الله تعالى وكلامه ، كما يقتفى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركا ، ويتبع رسمه صوابا وخطأ .

ثم يقول : ولا تلتفتن فى ذلك الى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم - أى الصحابة - كانوا محكمين لصناعة الخط ، وأنما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ، ليس كما يتخيل ، بل لكل وجهه . يقولون : فى زيادة الألف فى (لأذبحنه) أنه تنبيهه على أن الذبح لم يقع ، وما حملهم على ذلك الا اعتقادهم : أن فى ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص فى قلة اجادة الخط ، وحسبوا أن الخط كمال ، فنزهوهم عن نقصه ، ونسبوا اليهم الكمال باجاداته ، وطلبوا تعليلا ما خالف الاجادة من رسمه ، وليس ذلك بصحيح (٣١) .

فانت ترى أن ابن خلدون يعزو اصطلاحية رسم المصحف الى عدم اجادة الصحابة للرسم بالكتابة . . . ولذلك - كما فى زعمه - فان هذه الاحرف الزائدة مثل الألف ، والواو ، والياء انما جاءت نتيجة لعدم معرفتهم لقواعد الكتابة ، وأن التابعين ومن بعدهم اتبعوا رسم الصحابة للتبرك فقط !!

ويمكن مناقشة أصحاب هذا الرأى بما يأتى :

أولا : بالأدلة التى ذكرها جمهور العلماء لتأييد القول بالتوقيف ، وقد مرت بك عن كثب .

ثانيا : ما ادعاه القاضى أبو بكر من أنه ليس فى نصوص السنة ما يوجب ذلك ، مردود بأقرار الرسول ﷺ كتاب الوحي على هذا

(٣١) راجع مقدمة ابن خلدون : الباب الخامس ، الفصل الثلاثون ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ط. دار الشعب .

الرسم ، ومنهم زيد بن ثابت الذى كتب الصحف لأبى بكر ، وكتب المصحف لعثمان ، ومنهم معاوية الذى قال له الرسول ﷺ : « ألق الدواة ، وحرف القلم ، وانصب الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن ، وضع قلمك على أذنك اليسرى فانه أذكرك » (٣٢) .

ثالثا : ودعواه اختلاف خطوط المصاحف غير مسلم له ، وذلك لقيام الاجماع وانعقاده على رسم المصحف العثمانى ، منذ عهد الصحابة ومن بعدهم من غير تكير من أحد منهم . ونسبته المخالفة الى الصحابة لم تحصل ، وقد علمنا أننا رضوا عمل عثمان وأثنوا عليه .

رابعا : وأما ما ادعاه ابن خلدون من أن الصحابة كانوا يجهلون قواعد الكتابة . فهو ادعاء باطل ومردود ، لأن الكتابة العربية قد بلغت - قبل الاسلام - مبلغا به تفنن العرب فى ضروبها حتى وصلت الى الصحابة على أيدي أناس مجيدين لها ، مالكين لناصرتها ، وقد اتقنها الصحابة أخذاً بروح الاسلام وموقفه ، ودعوته الى كل تقدم ، حتى كان الذين كتبوا منهم قد بلغوا الغاية القصوى فى الحذق بالهجاء .

يقول ابن الجوزى : « ان كتابة الصحابة للمصحف ، مما يدل على عظيم فضلهم فى علم الهجاء خاصة ، وثقوب فهمهم فى تحقيق كل علم » (٣٣) .

ويقول الالكوسى : والظاهر أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا متقنين رسم الخط ، عارفين ما يقتضى أن يكتب وما يقتضى أن لا يكتب ،

(٣٢) راجع فتح البارى : ٥٧٥/٧ .

(٣٣) راجع : رسم المصحف ، ص ٤٨ .

وما يقتضى أن يوصل وما يقتضى أن لا يوصل . . الى غير ذلك ، لكن خالفوا فى بعض المواضع لحكمة (٣٤) .

لذلك فان قول ابن خلدون الذى يفهم منه أن الصحابة كتبوا المصاحف وهم غير مجيدين لفن الكتابة ، قول ليس فيه شيء من الصحة ، بل هو قول حاقد على العرب وصمهم بالتوحش والبداءة ، فى حين أن للعرب فى القديم صفات حميدة ، وطباع رقيقة عبروا عنها فى أشعارهم ونثرهم .

خامسا : وما يقوله ابن خلدون من أن أثر بداوتهم ، وتخلفهم عن فن الكتابة انعكس على كتابتهم للمصحف واستدلله بالحروف المزيدة فى بعض الكلمات دون بعضها ، وحكمه عليها بأنها نتيجة عدم اتقان صنعة الكتابة ، فان كلامه هذا يمكن مناقشته والرد عليه :

وهو أن الصحابة الذين كتبوا كلمة : (لا اذبحنه) بالف زائدة بعد الهمزة وقبل الذال هم الذين كتبوا كلمة (ولامرنهم) بدون زيادة الألف . والذين كتبوا كلمة (نعمت) بتاء مفتوحة فى قوله تعالى : « وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها » فى سورة ابراهيم (٣٥) ، هم الذين كتبوا - أيضا - كلمة : (نعمة) بتاء مربوطة فى قوله تعالى : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) فى سورة النحل (٣٦) .

والذين كتبوا كلمة : (بأبيد) بياءين هم الذين كتبوا الأيدى بياء واحدة . فان كان الصحابة غير متمكنين فى الرسم - كما زعم - لكتبوا

(٣٤) راجع تاريخ القرآن وغرائب رسمه : ص ١١٧ ، ورسم المصحف

بين المؤيدين والمعارضين : ص ٤٦ .

(٣٥) الآية : ٣٤ من سورة ابراهيم .

(٣٦) الآية : ١٨ من سورة النحل .

كل الكلمات المتساوية ، أو المتشابهة بطريقة واحدة فى الصواب والخطأ .

ولكن لما كان هذا التمييز من الصحابة بين مثل هذه الكلمات من موضع لآخر ، فان ذلك يرجع الى أن رسم المصحف توقيفيا ، والى حكم ألهمها الله اليهم ، وأسرار أجراها على أيديهم ، وأن هذا من اعجاز القرآن فى رسمه كاعجازه فى لفظه .

ولكن ابن خلدون لم يفهم ، أو لم يقبل ما حاوله بعض العلماء - من أمثال أبى العباس المراكشى (٣٧) - من استكناه هذه الأسرار ، أو الكشف عنها حيث قال فى (لااذبحنه ،) زيدت الألف تنبيها على أن المؤخر أشد فى الوجود من المقدم عليه لفظا ، فالذبح أشد من العذاب . وكذلك (باييد ،) فى قوله تعالى : « والسماء بينيناها باييد وإنا لموسعون » (٣٨) زيدت الياء الثانية اشارة الى أن القوة التى بنى الله بها السماء هى أحق بالثبوت فى الوجود من (الأيد) التى هى جمع « يد » (٣٩) .

وكان ابن خلدون قد غفل عن قاعدة النحو المشهورة القائلة :
(زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى) .

ثم اننا نرى ابن خلدون فى موضع آخر من مقدمته يربط بين علم القراءات وبين رسم المصحف ، فهو اذن يرد على نفسه فينقض ما قاله آنفا . حيث قال : « وربما أضيف الى فن القراءات فن رسم المصحف

(٣٧) هو : أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشى المعروف بابن البناء ، توفى سنة ٧٢١ هـ ، وهو صاحب كتاب (عنوان الدليل فى مرسوم التنزيل) البرهان فى علوم القرآن : ٣٨٠/١

(٣٨) الآية : ٤٧ من سورة الذاريات ، راجع الى (٣٧) .

أيضا ، وهى أوضاع حروف القرآن فى المصحف ورسومه الخطية ، لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء فى (بأبيد) وزيادة الألف فى (لأاذبحنه) . . وحذفت الألف فى مواضع دون أخرى ، وما رسم فيه من التاءات ممدودا والأصل فيه مربوط على شكل الهاء وغير ذلك ، فلما جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتيج الى حصرها ، فكتب الناس فيها أيضا عند كتبهم فى العلوم « (٤٠) » .

سادسا : وختام هذه الردود نقول : أنه اذا كان هذا الرسم اصطلاحيا - كما يدعى أصحاب هذا الرأى - لزم أن يكون ما كتبه الصحابة : اما أن يكون هو عين ما كتب بين يدى النبى ﷺ ، أو غيره . فان كان عينه : فهو الاتباع والتوقيف ولا مخالفة . وان كان غيره لزم ما يأتى :

١ - نسبة الصحابة رضى الله تعالى عنهم الى مخالفة رسول الله ﷺ فيما كتب بين يديه ، وقد عرفنا أثر الفرق فيما كتب بين يديه ﷺ وما كان كتب بعيدا عنه .

فلو أنهم خالفوا ما كتب بين يديه لزم الجمع بين النقيضين : حيث أمرنا بالاعتداء بهم و - فى نفس الوقت - نحن مأمورين باتباع النبى ﷺ ، وذلك لحديث العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا . . . قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة

(٣٩) . راجع البرهان فى علوم القرآن : ٣٨١/١ ، ٣٨٧ .
(٤٠) راجع مقدمة ابن خلدون ، الباب السادس ، الفصل الحادى عشر (علوم القرآن من التفسير والقراءات) ، ص ٤٠٣ .

وان تامر عليكم عبد ، وانه من يعيش منكم فسيري اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة» (٤١) .

٢ - تطرق الشك الى جميع ما بين دفتي المصحف ، لاننا اذا جوزنا ان تكون فيه حروف زائدة - أو ناقصة - على ما فى علم النبي ﷺ ولم نعلمها على التعيين ، شكنا فى الجميع . وحينئذ تنحل عقدة الاسلام بالكلية .

وأنت ترى أيها القارئ : أن اللازم بشقيه باطل واضح البطلان . وعلى هذا فما أدى اليه أيضاً باطل ، وهو أن رسم المصحف غير ما كتب بين يدي النبي ﷺ . وثبت عكسه ، وهو أن هذا المرسوم فى المصحف هو نفسه ما كتب بين يدي النبي ﷺ .

وبهذا تبقى للرسم العثمانى صفة التوقيف واضحة « لم يتحرك فيها الابن خلدون - كما يقول حفى ناصف - فى القرن الثامن ، وبعض رجال الأزهر فى القرن الرابع عشر ، وليس أحد من هؤلاء اماماً مجتهداً ، والحمد لله » (٤٢) .

٣ - القائلون بالتفصيل

قالوا : يجوز كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة ، ليكون أبعد عن اللبس ، والخلط فى القرآن ،

(٤١) الحديث : رواه أبو داود فى سننه : ٢٠١/٤ ، ورواه ابن ماجه فى سننه : ١٥/١ ، ١٦ ، ورواه الامام أحمد فى مسنده : ١٢٦/٤ ، ١٢٧ ، ورواه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب : ٤٠/١ وقال : رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٤٢) راجع رسم المصحف : ص ٤٩ .

ولكن يجب فى الوقت ذاته المحافظة على الرسم العثمانى كأثر من الأثار الاسلامىة النفيسة الموروثة عن السلف الصالح ، فلا يهمل مراعاة للجاهلين ، بل يجب أن يبقى فى أيدى العلماء العارفين الذين لا تخلو منهم الأرض ، والى هذا رأى ذهب شيخ الإسلام عز الدين ابن عبد السلام ، وتابعه الزركشى فى البرهان ، والشيخ طاهر الجزائرى فى كتابه التبيان .

قال صاحب التبيان : « وأما كتابته - أى المصحف - على ما أحدث الناس من الهجاء فقد جرى عليها أهل المشرق بناء على كونها أبعد من اللبس ، وتحامها (٤٣) أهل المغرب بناء على قول الامام مالك - وقد سئل : هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، الا على الكتبه الأولى (٤٤) .

قال الزركشى - بعد أن ذكر قول الامام مالك - قلت : وكان هذا فى الصدر الأول ، والعلم حى غض ، وأما الآن فقد يخشى الالتباس ، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : « لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول لئلا يوقع فى تغيير من الجهال . ولكن لا ينبغى إجراء هذا على اطلاقه ، لئلا يؤدى الى دروس العلم . وشئ قد أحكمته القدماء لا يترك لجهل الجاهلين . ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة » (٤٥) .

ويميل الشيخ الزرقانى الى تأييد هذا رأى حيث يقول فى مناهل العرقان : « أقول : وهذا رأى يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن

(٤٣) تحامها أهل المغرب : أى تجنبوها .

(٤٤) راجع مناهل العرقان : ٣٨٥/١ .

(٤٥) راجع البرهان فى علوم القرآن : ٣٧٩/١ ، واتصاف فضلاء البشر : ص ٩ .

من ناحيتين : ناحية كتابته فى كل عصر بالرسم المعروف فيه ، ابعادا للناس عن اللبس والخلط فى القرآن ، وناحية ابقاء رسمه الاول الماثور ، يقرأه العارفون ، ومن لا يخشى عليهم الالتباس . ولا شك أن الاحتياط مطلب دينى جليل خصوصا فى جانب حماية التنزيل «(٤٦)» .

ويمكن مناقشة هذا الرأى أيضا فنقول :

أولا : اذا تمت كتابة المصاحف بالرسم الاملائى الحديث للعامه ، وتمت كتابتها بالرسم العثمانى القديم للخاصة حفاظا على التراث - كما يقول شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام ، أو الاحتياط للقرآن كما يقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى - اذا تم هذا وذلك ، والعوام كثيرون ، والخاص قليلون ، فسوف يتطلب ذلك نسخ الاعداد الكثيرة لكثرة العوام ، ونسخ القليل لقله الخواص ، ومع كر الزمن ، وتعاقب الاجيال تندثر النسخ المكتوبة بالرسم العثمانى ، بل وتهمل - كما اندثر المصحف الامام المجرى من النقط والتشكيل - وبهذا يخفى الاثر الاسلامى فى كتابة المصاحف التى بين أيدينا اليوم ، وهى بالرسم العثمانى . وبالتالى يعتمد الناس فى قراءتهم على المصاحف المرسومة بالرسم المستحدث فيقطع حبل التلقى بين الطلاب ، والحفاظ ، مع أن أهم مافى القرآن هو التلقى عن الشيوخ لتدوم سلسلة الاسناد متصله .

ثم ان قواعد الهجاء غير ثابتة من عصر الى عصر ، فلو كتب بها المصحف ، ثم تعاقبت الاجيال ، وتغيرت قواعد الكتابة ، ودار فى فلكها رسم المصحف لصعبت قراءة المكتوب بها ، واعتبرت القديمة منها أثرا ...

وهكذا : فيرفع الامان عن الفاظ القرآن ، ويجعل الناس يختلفون فيها بالزيادة والنقصان ، ويتنازعون بشأنها بين التضعيف والرجحان .

ثانيا : اذا كان السبب الدافع الى كتابة المصحف بالرسم المستحدث هو هذه الأحرف الزائدة فى كتابة الرسم العثمانى ، وغير موجودة فى النطق ، أو الساقطة فى الكتابة ، والثابتة فى النطق ، فان الكتابة بالاملاء الحديث لا تخلو من ذلك أيضا ، ففى كتاباتنا العادية فى غير القرآن الكريم ، فاننا لا ننطق حروفا مكتوبة أيضا مثل (الواو) بعد ألف (أولئك) ، و (الألف) بعد (واو) الجماعة فى كلمة : (قالوا ، وأعطوا ، وعملوا) وغير ذلك ، و (اللام) فى مثل كلمة : (الشمس ، والنهار ، والزرع ، والسماء) وغير ذلك .

وبالعكس فاننا ننطق كلمات مثل : (هذا ، ذلك ، لكن ، هؤلاء) وفى كل منها ألف محذوفة كتابة ، ومنطوقة قراءة بعد (هاء) هذا ، و (ذال) ذلك ، و (لام) لكن .

وليس هذا الحال قاصرا على اللغة العربية وحدها ، ولا على الرسم العثمانى للمصحف وحده ، بل عم ذلك جميع اللغات التى يتكلم بها البشر .

ثالثا : وأما ادعائهم أن كتابة القرآن بالرسم الحديث أبعد عن اللبس ، والتخليط ، ووقوع الخطأ فى القراءة ممن لا دراية لهم برسم المصحف . فهو ادعاء باطل وغير صحيح ، لأن تلاوة القرآن فى ذاتها لابد فيها من الكيفيات الخاصة الثابتة بالرواية والنقل ، وهى لا تعرف الا بالتلقى والتعليم ، اذ ليس فى الخط ما يرشد اليها ، كالد ، والامالة ، والتفخيم والترقيق ، والاظهار ، والادغام وغير ذلك من الأحكام الخاصة بالتلاوة .

فالقرآن لا يؤخذ من المصحف حتى يرد هذا الادعاء ، بل لابد فيه من التلقى ، والأخذ عن الشيوخ ، لاختصاص تلاوته بأحكام لا تعرف من مجرد الخط .

ومن هنا كان من الواجب أن يكتب المصحف بالرسم العثماني ،
لأنه مانع من قراءة القرآن بدون موقف ، حيث أنه لا يرشد الى النطق
الصحيح بالفاظ القرآن بسبب ما فيه من زيادة ، وحذف وابدال
حرف بحرف .

ولذلك فقد أجمع أهل الأداء ، وأئمة القراءة على لزوم تعلم
مرسوم المصاحف فيما تدعو اليه الحاجة ، لأن ما لا يتم الواجب الا به
فهو واجب (٤٧) .

رابعاً : فوائد الرسم العثماني ومزاياه

بعد أن عرفت حكم الالتزام بالرسم العثماني ، وآراء العلماء
في ذلك ، وأنه لا مجال للعقل فيه كما ذهب الى ذلك جمهور
العلماء . لك أن تعرف أن لهذا الرسم مزايا وفوائد كثيرة أهمها
مآتي :

الفائدة الأولى :

حمل الناس على أخذ القرآن ممن عرف رسم المصحف ، والا يكتفى
بأخذه من المصحف وحده ، لما يترتب على ذلك من اللبس والخطأ ،
لأن رسم المصحف جاء على خلاف النطق في كثير من المواضع .

وينضوي تحت هذه الفائدة مزيتان للقرآن الكريم هما :

الأولى : التوثيق لالفاظ القرآن ، وطريقة أدائه ، وحسن ترتيله
وتجويده ، فإن ذلك لا يمكن اتقانه من المصحف مهما تكن قاعدة رسمه
واصطلاح كتابته . فمن أين للقارئ بأحكام تجويد القرآن ، كالأظهار ،
والإغمام ، والاختفاء ، والاقلاب ، والقلقلة ، والمد ، والنزوم ،

والاشمام وغير ذلك من أحكام التجويد ؟ ومن أين له النطق الصحيح
بفواتح السور التي بدئت بالحروف المقطعة مثل : (الم ، الر ،
المص ، كهيعص ، طس ، حم ، عسق) وغير ذلك ؟ .

لذلك : فقد قرر العلماء أنه لا يجوز التعويل على المصاحف
وحدها ، بل لابد من التثبت فى الأداء والقراءة بالأخذ عن حافظ ثقة
متقن لتلاوة القرآن .

وقديما قالوا : لا تأخذ القرآن من مصحفى ، ولا العظم من
صحفى . أى لا تأخذ القرآن ممن أخذ القرآن من المصحف وحده ،
ولا تأخذ العلم ممن تعلم من الكتب وحده .

المزية الثانية : اتصال السند القرآنى برسول الله ﷺ ، وتلك
خاصة من خواص هذه الأمة الاسلامية امتازت بها على سائر الأمم .

قال ابن حزم : نقل الثقة عن الثقة يبلغ النبى ﷺ مع الاتصال ،
خص الله تعالى به المسلمين دون سائر الملل . وأما مع الارسال
والاعضال فيوجد فى كثير من كتب اليهود ، ولكن لا يقربون فيه من
موسى - عليه السلام - قربنا من محمد ﷺ . بل يقفون بحيث يكون
بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا . انما يبلغون الى شمعون
ونحوه .

ثم قال : وأما النصرارى فليس عندهم من صفة هذا النقل
الا تحريم الطلاق . وأما النقل المشتمل على طريق فيه كذاب ،
أو مجهول العين ، فكثير فى نقل اليهود والنصارى . وأما أقوال
الصحابة والتابعين ، فلا يمكن اليهود أن يبلغوا صاحب نبى أو تابعيا ،
ولا يمكن النصرارى أن يصلوا الى أكثر من شمعون وبولس (٤٨) .

الفائدة الثانية :

معرفة القراءات المتعددة الواردة فى اللفظ الواحد ، اذ أن رسم المصحف - فى أكثر المواضع - يحتمل أكثر من قراءة واحدة . وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة اذا كان فيها قراءتان أو أكثر كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو الأكثر ، مثل كلمة : (فتبينوا) ، فانها تقرأ (فتبينوا) ، وتقرأ (فتثبتوا) وهما قراءتان متواترتان ، وقد ساعد على ذلك عدم نقط الكلمة وتشكيلها .

فان كانت للكلمة لا تحتمل ، بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءة جاء الرسم على الحرف الذى هو خلاف الأصل ، وذلك ليعلم جواز القراءة به ، وبالحرف الذى هو الأصل ، مثل قول الله تعالى : « والله يقبض ويبسط » (٤٩) ، وقوله : « وزادكم فى الخلق - بصطة » (٥٠) ، وقوله : « المصيطرون » (٥١) ، فهذه الكلمات كتبت (بالصاد) مع أن أصل الكلمة (بالسين) وذلك لبيان جواز القراءة بهما على حد سواء .

وإذا لم يكن فى الكلمة الا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به .

ومثال الكلمة التى تكتب بصورة واحدة ، وتقرأ بوجوه متعددة قوله تعالى : « إن هذان لساحران » (٥٢) ، فانها رسمت فى المصحف هكذا ، (ان هذن لسحرن) من غير نقط ولا شكل ولا تشديد ولا تخفيف فى نونى (إن) و (هذان) ، ومن غير ألف ولا ياء بعد الذال من (هذان) ولا ألفات فى (لساحران) .

(٤٩) من الآية : ٢٤٥ من سورة البقرة .

(٥٠) من الآية : ٦٩ من سورة الأعراف .

(٥١) من الآية : ٣٧ من سورة الطور .

(٥٢) من الآية : ٦٢ من سورة طه .

ولهذا صلحت أن تقرأ بالوجه الأربعة التي وردت فيها بأسانيد صحيحة ، كما يأتي :

- ١ - قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف : بتشديد (ان) و (هذان) بالالف وتخفيف النون .
- ٢ - وقرأ ابن كثير وحده بتخفيف (ان) وتشديد نون (هذان) مع الألف .
- ٣ - وقرأ عاصم - في رواية حفص عنه - بتخفيف نون (ان) و (هذان) مع الألف .
- ٤ - وقرأ أبو عمرو بتشديد نون (ان) و (هذين) بالياء وتخفيف النون (٥٣) .

فانظر الى هذه الطريقة المثلى الضابطة لوجوه القراءة لتعلم أن سلفنا الصالح - رضوان الله تعالى عليهم - كانوا في كتابتهم للمصحف بالرسم العثماني أبعد منا نظرا ، وأهدى سبيلا . وليس لجهلهم وتخلفهم عن فن الكتابة كما ذهب الى ذلك ابن خلدون وتابعه أحمد أمين في هذا الزعم الباطل (٥٤) .

فاذا تركنا الرسم العثماني ، ولم نلتزم باتباعه ، وكتبنا القرآن

(٥٣) راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤١٩ تحقيق : د. شوقي ضيف ، ط . دار المعارف . وراجع اتحاف فضلاء البشر : ص ٣٠٤ .

(٥٤) حيث قال : وحتى هؤلاء الذين كانوا يكتبون الوحى لم يكونوا مهرة في الكتابة ولا كتابتهم سائرة على نمط واحد ، ولا خاضعة لقانون الاملاء وسبب ذلك - كما يعلله ابن خلدون - ضعفهم في صناعة الخط ، وأنهم لم يبلغوا حد الاجادة !! راجع فجر الاسلام : ص ١٤٢ .

بطريقة الاملاء الحديثة - كما يريد القائلون بذلك - فإنه يضح علينا كثير من هذه القراءات التي أنزلها الله تعالى على نبيه ﷺ ، ونقلت اليها تواترا ، بسبب عدم تحمل الرسم الجديد لها . وفي ذلك اهمال لبعض القرآن ، بل وجحود به ، والجاحد للقران - أو بعضه - كافر .

يقول القاضى عياض : واعلم أن من استخف بالقرآن ، أو المصحف ، أو آية منه ، أو شك فى شيء من ذلك ، فهو كافر عند أهل العلم باجماع (٥٥) .

الفائدة الثالثة :

افادة المعانى المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة ، وذلك نحو : قطع كلمة (أم) فى قوله تعالى : « أم من يكون عليهم وكيلا » (٥٦) ، ووصلها فى قوله تعالى : « أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن .٥٠ » ، الى قوله تعالى : « أمن يمشى سويا على صراط مستقيم » (٥٧) . وذلك بادغام الميم الأولى فى الثانية ، وكتابتها ميم واحدة مشددة . فقطع (أم) الأولى فى الكتابة للدلالة على أنها (أم) المنقطعة التى بمعنى (بل) ، ووصل (أم) الثانية فى المواضع الثلاثة فى سورة الملك للدلالة على أنها ليست كذلك ، وإنما هى (أم) المتصلة .

الفائدة الرابعة :

الدلالة على معنى خفى دقيق ، كزيادة الياء فى كتابة كلمة : (أيد) فإنها كتبت فى المصحف بياءين كما فى قوله تعالى : « والسماء بينناها بأبيد » (٥٨) ، وذلك للإيحاء الى تعظيم قدرة الله تعالى

(٥٥) راجع : الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ٢٦٣/٢ .

(٥٦) من الآية : ١٠٩ من سورة النساء .

(٥٧) الآيات : ٢٠ - ٢٢ من سورة الملك .

(٥٨) الآية : ٤٧ من سورة الذاريات .

وقوته التي بنى بها السماء ، وأنها لا تشبهها قوة ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، كما هو مشهور .

ومن هذا القبيل حذف الواو من هذه الأفعال الأربعة الآتية :

١ - « ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير » (٥٩) ، فحذفت الواو

من (يدعو) للدلالة على أن هذا الدعاء سهل على الانسان أن يسارع فيه كما يسارع الى الخير ! بل اثبتت الشر اليه من جهة ذاته أقرب اليه من الخير .

٢ - « ويمح الله الباطل » (٦٠) ، حيث حذفت الواو من الفعل

(يمحو) للإشارة الى سرعة ذهاب الباطل وزواله .

٣ - « يوم يدع الداعي إلى شيء نكسر » (٦١) ، حيث حذفت الواو

من الفعل (يدعو) للإشارة الى سرعة الدعاء ، وسرعة اجابة المدعويين في ذلك اليوم العصيب .

٤ - « سندع الزبانية » (٦٢) ، حيث حذفت الواو من الفعل

(سندعو) للإشارة الى سرعة الفعل ، واجابة الزبانية على الفور ، وقوة بطشهم .

قال الزركشى : والسرف في حذفها من هذه الأفعال الأربعة

سرعة وقوع الفعل ، وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل

المتأثر به في الوجود (٣٩٧/١) .

(٥٩) الآية : ١١ من سورة الاسراء .

(٦٠) الآية : ٢٤ من سورة الشورى .

(٦١) الآية : ٦ من سورة القمر .

(٦٢) الآية : ١٨ من سورة العلق .

الفائدة الخامسة :

الدلالة على أصل الحركة ، مثل كتابة الكسرة ياء في قوله تعالى : (وايتاء ذى القربى) حيث كتبت فى المصحف هكذا : « وايتاء ذى القربى » (٦٣) . ومثل كتابة الضمة فى قوله تعالى : (سأريكم) حيث كتبت فى المصحف : « سأوريكم دار الفاسقين » (٦٤) . ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحو (الصلاة ، والزكاة ، والربا) حيث كتبت هذه الكلمات هكذا : (الصلوة ، الزكوة ، الربوة) ليفهم أن الالف فيهما منقلبة عن واو .

الفائدة السادسة :

افادة بعض اللغات الفصيحة ، مثل كتابة هاء التانيث تاء مفتوحة دلالة على لغة طيء ، وذلك مثل كلمة : (نعمة ، ورحمة ، وقره ، وبقية) الخ ، ومثل قوله تعالى : « يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه » (٦٥) حيث كتبت فى المصحف بحذف الياء هكذا : (يات) للدلالة على لغة هذيل .

الفائدة السابعة :

المحافظة على رسم المصحف ، اذ لو لم نحافظ على رسم المصحف ، ولم نلتزم به ، لترتب على ذلك ما يأتى :

١ - تطرق التحريف الى النص القرآنى(٦٦) ، وذلك لأن قواعد

(٦٣) من الآية : ٩٠ من سورة النحل .

(٦٤) من الآية : ١٤٥ من سورة الأعراف .

(٦٥) الآية : ١٠٥ من سورة هود .

(٦٦) وقد حاولت - فعلا - اسرائيل تحريف القرآن فى أكثر من ألف خطأ مطبعى ولفظى فى مائة ألف نسخة فى القرآن الكريم وزعت

الاملاء الحديثة لم يتفق عليها واضعوها ، وهى عرضة للتغيير والتبديل لتطورها على مر الأزمان .

٢ - هدم كثير من العلوم ، وذلك لأن رسم المصحف : علم يختص بالبحث فى رسم كلمات القرآن . وكذلك (آداب كتابة المصحف) ، علم يعرف فيه كيفية كتابة المصحف ، ليكون موافقا للآداب المعتبرة ، والمستحسنة عند السلف (٦٧) .

فاذا لم نلتزم برسم المصحف ، أو جوزنا تغييره جوزنا هدم هذا العلم الذى صنف فيه العلماء المؤلفات الكثيرة (٦٨) .

فى البلاد الأفريقية والآسيوية . راجع نماذج من هذه التحريفات ، وجهود الدول الاسلامية وعلمائها فى التصدى لذلك فى كتاب رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين : ص ٧٣ - ٧٥ للأستاذ الدكتور / عبد الحى الفرماوى ، والجمع الصوتى الأول : ٣٧١ - ٣٧٤ .

(٦٧) راجع مفتاح السعادة ومصباح السيادة : ٣٧٢/٢ - ٣٧٤ ، وكتاب أبجد العلوم : ص ٤٩٥ - ٤٩٩ .

(٦٨) وممن ألف فى هذا الفن قديما وحديثا : أبو عمرو الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ كتابه (المقنع فى رسم مصاحف الأمصار) ، وألف فيه أيضا : أبو داود سليمان بن نجاح المتوفى سنة ٤٩٦ هـ كتابه (التنزيل) ، والامام الشاطبى المتوفى سنة ٥٩٠ هـ قصيدته (عقيلة أتراب القصائد فى أسنى المقاصد) وأبو العباس الزركشى المعروف بابن البناء المتوفى سنة ٧٢١ هـ كتابه (عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل) وكذلك ألف فى هذا الامام بدر الدين الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ فى كتابه (البرهان فى علوم القرآن) النوع الخامس والعشرون (علم مرسوم الخط) ، وكذلك الامام السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ فى كتابه (الاتقان

وقياسا على هدم علم (رسم المصحف وأداب كتابته) يجوز لنا هدم كثير من العلوم ، بدعوى سهولة التناول . وفى هذا من الفساد ما لا يخفى ، ولا يقينا شر هذا الفساد سوى التزامنا برسم المصحف العثمانى .

٣ - ضياع بعض اللغات الفصيحة ، كما سبق بيان ذلك .

٤ - ضياع القرآن نفسه ، بضياع شرطه ، وذلك أن رسم المصحف شرط من شروط قبول القراءة القرآنية ، وشرط لصحتها ، ولذلك حرمت القراءة ومنعت مما خالف خط المصحف ، واعتبر

فى علوم القرآن ،) النوع السادس والسبعون : (فى مرسوم الخط) . وألف فيه كذلك الشيخ سيد بركات بن يوسف عريشه الهورى من رجال القرن الرابع عشر كتاب (الجواهر الفريد فى رسم القرآن المجيد) وكذلك : الامام الخراز وكتابه (مورد الظمان فى رسم القرآن) ، وابن عاشر المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ وكتابه (الاعلان بتكملة مورد الظمان فى رسم القرآن) وكذلك الشيخ محمد بن خلف الحسينى وكتابه (ارشاد الحيران الى ما يجب اتباعه فى مرسوم القرآن) ، والشيخ رضوان بن محمد المخلاتى وكتابه (ارشاد القراء والكتاتين الى معرفة رسم الكتاب المبين) والشيخ محمد بن حبيب الله الشنقيطى وكتابه : (ايقاظ الاعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الامام) والشيخ محمد على الضباع وكتابه (سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين) والدكتور / لبيب السعيد وكتابه : (رسم المصحف المشكلة وحلها) والدكتور / عبد الحى الفرماوى وكتابه ، (رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين) ، وغير ذلك ممن ألف فى هذا الفن العظيم .

ما خالف رسم المصحف - وان توافر له صحة السند ، وموافقة العربية - شاذا لا تجوز القراءة به لا فى الصلاة ولا فى غيرها (٦٩)

الفائدة الثامنة :

جمع الأمة الاسلامية ، وتوحيد صفوفها ، اذ أن فى اتباع رسم المصحف والالتزام به فى جميع البلاد الاسلامية رمز صادق ، وتجسيد حى لوحددة الأمة ، وتوحيد صفوفها ، واتفاقهم على رسم كلمات المصحف الشريف ، وامثالهم لقول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٧٠) .

الفائدة التاسعة :

عدم تجهيل الناس بأولييتهم ، وذلك بوقوف المسلمين على كيفية المصاحف فى ابتداء جمع القرآن ، ومعرفتهم لهذا الرسم المعجز تماما كنظم القرآن ، وتيقنهم بعظيم فضل الصحابة فى علم الهجاء خاصة ، وثقوب فهمهم فى تحقيق كل علم .

وقيل : ان جهل الناس بأولييتهم وكيفية ابتداء كتابتهم - بسبب عدم اتباع رسم المصحف ، بل تغييره - يعد فى ميزان العلم خسران عظيم (٧١) .

(٦٩) راجع منجد المقرئين لابن الجزرى : ص ٩٦ تحقيق : دكتور / عبد الحى الفرماوى ، والاتقان فى علوم القرآن : ٩٩/١ ، ومناهل العرفان : ٤١٨/١ .

(٧٠) الآية : ١٠٣ من سورة آل عمران .

(٧١) راجع الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم : ص ٣٩١ ، للدكتور / بسبب السعيد ، ط . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .

خامسا : الشبه الواردة حول رسم المصحف

اعتاد الملاحدة والمبشرون وأعداء الاسلام أن يتلمسوا المطاعن فى القرآن ، وغرضهم بذلك التشكيك فى القرآن الكريم وقداسته كى يتوصلوا الى هدم الاسلام ، واضعاف المسلمين بصرف أنظارهم وقلوبهم عن القرآن الذى هو أصل الدين ، ومنبع الصراط المستقيم ، ولما كانوا يصدرن فى هذه الطعون عن هوى متبع ، وعصبية دينية ممقوتة ، فقد جافاهم الحق والصواب .

وكل ما استندوا اليه يرجع اما الى روايات باطلة نسبت الى السلف الصالح كذبا وزورا ، وقد تنبه العلماء اليها من قديم الزمان ، واما الى اعتراضات أوردها المؤنفون فى تفسير القرآن وعلومه ، وأجابوا عنها بما يقنع ويشفى ، فجاء هؤلاء الملاحدة الذين تستروا تحت اسم (المستشرقين) فاطلعوا على هذه الروايات والاعتراضات ، فطاروا بها فرحا ، وهولوا ما شاء لهم هواهم أن يهولوا ، وظنوا أنهم وصلوا الى ما يريدون من تشكيك المسلمين فى أقدس مقدساتهم ، وهو القرآن الكريم .

وقد قبض الله تعالى لهذه الشبه من علماء المسلمين ، من زيفها ، وبين بطلانها ، وسترى بعد ايرادنا لهذه الشبه والرد عليها أنها سراب لا حقيقة لها ، وأنهم طعنوا فى غير مطعن ، وطاروا فى غير مطار ، وذلك فيما يأتى :

الشبهة الأولى والرد عليها

يقولون : روى عن عكرمة أنه قال : لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفا من اللحن فقال : لا تغيروها فان العرب ستغيرها أو قال : ستعربها بالسنتها ، لو كان الكاتب من ثقيف والملى

من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف (١) • وروى عن عثمان
- أيضا - أنه حين عرض عليه المصحف قال : أحسنتم وأجملتم ان فى
القرآن لحنا سنقيمه العرب بالسنتها (٢) •

يقولون : فكيف تكون المصاحف العثمانية مع هذا موضع اجماع
من الصحابة ، وثقة من المسلمين ؟ بل كيف يكون رسم المصحف
توقيفيا ، وهذا هو عثمان يقول : ان فيه لحنا !؟

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : أن هاتين الروائتين ضعيفتا الاسناد ، وأن فيهما اضطرابا
وانقطاعا يذهب بالثقة بهما كما قال الامام السخاوى فى الرواية الاولى ،
ونقله الامام الالوسى فى تفسيره (٣) •

وعكرمة لم يسمع من عثمان أصلا ، وقد روى الاثر الاول عن
يحيى بن يعمر بن عثمان ، وهو أيضا لم يسمع من عثمان ، وقد
رد هذه الرواية جماعة من العلماء كالامام أبى بكر الباقلانى ، والحافظ
أبى عمرو الدانى ، وأبى القاسم الشاطبى والجعبرى والسيوطى
وغيرهم •

١ - يقول أبو عمرو الدانى : هذا الخبر : لا يقوم عندنا بمثله حجة ،
ولا يصح به دليل من جهتين :

الأولى : أنه - مع التخليط فى اسناده والاضطراب فى الفاظه -
مرسل ، لأن ابن يعمر ، وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئا
ولا رأياه •

(١) أخرج هذا الاثر السيوطى فى الاتقان : ٢٣٩/١ •

(٢) مناهل العرفان للزرقانى : ٣٨٦/١ •

(٣) روح المعانى : ١٥/٦ ، ط • دار التراث •

الثانية : أن ظاهر الفاظه ينفي وروده عن عثمان رضى الله تعالى عنه ، لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين ، ومكانه فى الاسلام ، وشدة اجتهاده فى بذل النصيحة ، واهتمامه بما فيه الصلاح للأمة ، فغير ممكن أن يتولى رضى الله عنه لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الاخيار الاتقياء الأبرار ، ليرتفع الاختلاف فى القرآن بينهم ، ثم يترك لهم فيه - مع ذلك - لحنا وخطأ يتولى تغييره من يأتى بعده ، مما لا شك فيه أنه لا يدرك مداه ، ولا يبلغ غايته ، ولا غاية من شاهده .
ثم بقول : هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله ، ولا يحل لأحد أن يعتقده (٤) .

٢ - ويقول ابن الأثير فى كتاب (الرد على من خالف مصحف عثمان) : هذه الأحاديث لا تقوم بها حجة ، لأنها منقطعة غير متصلة ، وما يشهد عقل بأن عثمان وهو امام الأمة الذى هو امام الناس فى زمنه وقدمتهم يجمعهم على المصحف الذى هو الامام فيتبين فيه خلا ، ويشاهد فى خطه زللا فلا يصلحه ، كلا والله ما يتوهم عليه هذا ذو انصاف وتمييز ، ولا يعتقده أنه آخر الخطأ فى الكتاب ليصلحه من بعده ، وسبيل الجائين من بعده البناء على رسمه ، والوقوف عند حكمه ، ومن زعم أن عثمان أراد بقوله أرى فيه لحنا : أرى فى خطه لحنا اذا أقمناه بالسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف الالفاظ وافساد الاعراب فقد أبطل ولم يصب ، لأن الخط منبىء

(٤) راجع المقنع فى رسم مصحف الأمصار له : ص ١٢٤ - ١٢٦ ، مع تصرف منا فى بعض الالفاظ .

عن النطق ، فمن لحن في كتبه فهو لاحن في نطقه ، ولم يكن عثمان ليؤخر فسادا في هجاء ألفاظ القرآن من جهة كتب ولا نطق (٥) .

٣ - ويقول السيوطي : وهذه الآثار مشكلة جدا ، وكيف يظن بالصحابة - أولا - أنهم يلحنون في الكلام فضلا عن القرآن وهم الفصحاء اللد . ثم كيف يظن بهم - ثانيا : في القرآن الذي تلقوه من النبي ﷺ كما أنزل وحفظوه وضبطوه وأتقنوه ، ثم كيف يظن بهم - ثالثا - اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته ، ثم كيف يظن بهم - رابعا - عدم تنبهم ورجوعهم عنه ، ثم كيف يظن بعثمان أنه ينهى عن تغييره ، ثم كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ ، وهو مروى بالتواتر خلفا عن سلف ، هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة (٦) .

٤ - ويقول ابن الجزري : والآثر فقد رواه الحافظ أبو بكر بن أبي داود بالفاظ مضطربة مختلفة ، وكلها منقطعة لا يصح شيء منها . وكيف يصح أن يكون عثمان رضى الله تعالى عنه يقول ذلك في مصحف جعل للناس اماما يقتدى به الصحابة (٧) .

ثانيا : أن ذلك لا يصح عن عثمان ، لأنه جعل للناس اماما ثم يتركه لتقييمه العرب بالسنتها ، ويكون ذلك باجماع من يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحننا ويتركه لتقييمه العرب بالسنتها،

(٥) راجع الاتقان في علوم القرآن : ٢٤٠/١ .

(٦) أنظر : الاتقان في علوم القرآن : ٢٣٩/١ .

(٧) أنظر : النشر في القراءات العشر : ٤٥٩/١ .

فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار، فكيف يقيمه غيرهم ؟ وأيضا فان عثمان لم يكتب مصحفا واحدا بل كتب عدة مصاحف . فان قيل ان اللحن وقع فى جميعها فبعيد اتفاقهم على ذلك ، أو فى بعضها ، فهو اعتراف بصحة البعض ، ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان فى مصحف دون مصحف ، ولم تأت المصاحف قط مختلفة الا فيما هو من وجوه القراءة ، وليس ذلك بلحن .

ثالثا : المعروف أن عثمان - رضى الله تعالى عنه - كان شديد الحرص على احاطة كتابة المصاحف بسياج قوى من المحافظة على القرآن خوفا من أن يتطرق اليه لحن ، أو تحريف ، أو تبديل ، وجعل من نفسه حارسا أميناً على القائمين بكتابة المصاحف فى عهده ، والمرجع اليهم عند أى اختلاف فى كيفية الرسم ، حيث قال للرهط القرشيين : « اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل القرآن بلسانهم » وقد اختلفوا فى كلمة (التابوت) اكتبونها بالتاء المفتوحة أم بالهاء المربوطة ؟ ورفعوا الأمر الى عثمان ، فأمرهم أن يكتبوها بالتاء . فاذا كان هذا شأنه وشأنهم فى حرف لا يتغير به المعنى ، ولا يعتبر تحريفا ولا تهديلا لاستناده الى الحروف التى نزل بها القرآن ، فكيف يعقل منه رضى الله تعالى عنه أن يرى فى المصاحف لحناً ، ثم يقرهم عليه !! سبحان الله هذا بهتان عظيم .

ومما يدل على مبلغ عناية عثمان بالقرآن عند الكتابة ما أخرجه أبو عبيد عن عبد الله بن هانىء البربرى مولى عثمان

قال : كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلنى بكتف شاة الى أبى بن كعب فيها (لم يتسن) وفيها (لا تبديل للخلق) ، وفيها (فأمهل الكافرين) ، فدعا بالدواة فمحا أحد اللامين ، وكتب (لخلق الله) ومحا (فأمهل) وكتب (فمهل) وكتب (لم يتسنه) فالحق فيها الهاء .

قال ابن الأنبارى : فكيف يدعى على عثمان أنه رأى فسادا فأمضاه ، وهو يوقف على ما كتب ، ويرفع الخلاف اليه الواقع من الناسخين ليحكم بالحق ، ويلزمهم اثبات الصواب وتخليده «(٨)» .

فهل يصح فى العقول بعد ذلك أن يقول عثمان رضى الله تعالى عنه لكتبة المصحف الذين أهملوا فى الكتابة مما أدى الى اللحن فيه : (أحسنتم وأجملتم) أيمدحهم على التقصير والتفريط؟؟! هذا مالا يصح بحال من الأحوال ، وانما هو الوهم والخيال .

رابعا : اذا كان حال الواقع المشاهد لو أن أحد الملوك أو الأمراء أمر بنسخ مصحف أو كتاب ، فان الكاتب لا يقدمه اليه الا بعد العناية بتصحيحه ، والتثبت من عدم أى غلط فيه ، واذا كان ذلك كذلك ، فكيف الحال بالصحابة الذين بذلوا أنفسهم لله تعالى ، أيظن بهم أنهم لم يتحروا الدقة فى كتابة وضبط المصحف الكريم الذى هو أساس الدين الاسلامى .

ثم ان عثمان قد أرسل بالمصاحف الى الأقطار الاسلامية ، فلو كان فيها خطأ ، أو غلطا ، لما سكت أحد من المسلمين عليه ، ولكنهم أجمعوا على صحتها وقبولها ، حتى قال على ابن أبى طالب

رضى الله تعالى عنه : « لو وليت من المصاحف ما ولى عثمان لفعت
كما فعل » (٩) .

وقد قال رسول الله ﷺ : « ان أمتى لا تجتمع على ضلالة ، فاذا
رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم » (١٠) . وقال صلى الله عليه
وسلم : « وانه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ » (١١) .

على أنك لن تجد من المسلمين عناية بشيء كعنايتهم بكتاب الله
تعالى الذى (لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد) . فهل رأيت فيه تبديلا ، أو تغييرا مع كثرة أعداء
الدين من مختلف الأجناس والأقطار ؟ هذا مالا يكون بحال من
الأحوال ، وقد صدق الله تعالى القائل : « إنا نحن نزلنا الذكر
وإناله لحافظون » .

خامسا : على فرض صحة الخبرين ، فانه يمكن تأويلهما بما
يأتى :

١ - أن يؤول معنى اللحن بما يتفق والصحيح المتواتر ، عن عثمان
رضى الله تعالى عنه فى نسخ المصاحف وجمع القرآن من
نهاية التثبت والدقة والضبط . وذلك بأن يراد بكلمة (لحن) ،
فى الروايات التى ذكروها : القراءة واللغة دون الرسم .
قال عمر رضى الله تعالى عنه : أنا لنرغب عن كثير من لحن

(٩) راجع النشر فى القراءات العشر : ٤٥٩/١ .

(١٠) الحديث : أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك : ١٣٠٣/٢ .

(١١) الحديث : سبق تخريجه قريبا ص ٢٠٠ .

أبى « يعنى لغة أبى » (١٢) . وهو المعنى اللغوى لكلمة (لحن)
 وعليه يكون المعنى : أن فى القرآن ، ورسم المصحف وجهها فى
 القرآن لا تلين به أسنتهم مرة واحدة . ولكنها لا تلبث أن تلين
 به أسنتهم جميعا بالمزان ، وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه -
 وهذا ما حدا بعثمان أن يرسل مع كل مصحف أرسله الى قطر
 من الأقطار قارئاً يقرئ الناس على ما فيه - وقد ضرب بعض
 أجلة العلماء لذلك مثلاً بكلمة (الصراط) كتبت بالصاد المبدلة
 من السين ، فتقرأ العرب بالصاد عملاً بالرسم ، وبالسين عملاً
 بالأصل (١٣) .

٢ - أن يكون معنى قول عثمان رضى الله تعالى عنه : « لو كان
 الكاتب من ثقيف والملى من هذيل لم توجد هذه الحروف »
 أى لم توجد فيه مرسومة بتلك الصور المبنية على المعانى
 دون الألفاظ المخالفة لذلك ، إذ كانت قريش ومن ولى نسخ
 المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك أى رسم اللفظ حسب
 أحد معانيه الكثيرة التى يتحملها الرسم الآخر فى كثير من
 الكتابة ، وسلخوا فيها تلك الطريقة ، ولم تكن ثقيف وهذيل
 مع فصاحتها يستعملان ذلك ، فلو أنهما وليتا من أمر المصاحف
 ما وليه من تقدم من المهاجرين والأنصار لرسمتا جميع تلك
 الحروف على حال استقرارها فى اللفظ ، ووجودهما فى
 المنطق دون المعانى والوجوه ، إذ ذاك هو المعهود عندهما ،
 والذى جرى عليه استعمالهما .

(١٢) أنظر المصاحف لابن أبى داود : ص ٣٢ .

(١٣) راجع مناهل العرفان : ٣٨٧/١ .

يقول أبو عمرو الداني : هذا قول عثمان عندى : لو ثبت
وجاء مجيء الحجة ، وبالله التوفيق (١٤) .

وبعد هذا البيان يمكن أن نقول : ان رسم المصحف كان
موضع ثقة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وأن اجماعهم ثابت
لا يعترض عليه الا بما هو أوهن من بيت العنكبوت ، وأن كلمة اللحن
التي وردت فى هاتين الروايتين - على فرض صحتها - ليست ملزمة
على أن يكون معناها الخطأ ، كما يحاول أن يفسرها - على هذا
المعنى - المغرضون ، بل معناها - هنا - القراءة واللغة ، كما
يذكر الشيخ الزرقانى ، أو التلاوة دون الرسم كما يذكر أبو عمر
الدانى .

الشبهة الثانية والرد عليها

يقولون : روى أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنه
قال : سألت عائشة رضى الله تعالى عنها ، عن لحن القرآن ، عن
قوله تعالى : « إن هذان لساحران » (١) ، وعن قوله تعالى :
« والمقيمى الصلاة والمؤتون الزكاة » (٢) ، وعن قوله تعالى : « إن
الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصارى » (٣) .

فقلت : يا ابن أختى هذا من عمل الكتاب ، وقد أخطأوا فى

الكتاب (٤) .

(١٤) راجع المقنع : ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١) من الآية رقم : ٦٣ من سورة طه .

(٢) من الآية : ١٦٢ من سورة النساء .

(٣) من الآية : ٦٩ من سورة المائدة .

(٤) أخرجه السيوطى فى الاتقان : ٢٣٩/١ وقال : هذا اسناد صحيح

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : ان هذه الرواية مهما كان سندهما صحيحا - على حد قول السيوطي - فانها رواية أحادية لا يثبت بها قرآن ، وهى معارضة للمتواتر القطعى الثبوت ، ومعارض المتواتر القطعى الثبوت باطل ، فهذه الرواية باطلة ومردودة ، ولا التفات الى تصحيح من صح هذه الرواية وأمثالها .

فان من قواعد المحدثين : أن مما يدرك به وضع الخبر ما يؤخذ من حال المروى ، كأن يكون مناقضا لنص القرآن ، أو السنة ، أو الاجماع القطعى ، أو صريح العقل ، حيث لا يقبل شئ من ذلك التأويل ، أو لم يحتمل شئ منه يزول به المحذور .

وهذه الرواية وأمثالها - كما ترى - مخالفة للمتواتر القطعى الذى تلقته الأمة بالقبول ، فهى اذن باطلة ومردودة لا محالة (٥) .

ثانيا : على فرض صحة الرواية يمكن تأويلها على أن عروة لم يسأل عائشة عن حروف الرسم التى تزداد فى الكلمة لمعنى ، وتنقص فيها لآخر تأكيدا للبيان ، وطلبنا للخفة . وانما سألها عن حروف من القراءة المختلفة الالفاظ المحتملة الوجوه ، على

على شرط الشيخين . وذكر أصحاب كتاب (تعليقات على القرآن) هذه الآيات تحت عنوان : فى القرآن أخطاء لغوية : ص ٨٢ . وذكرها القسان الضالان : جرجس سال ، وهاشم العربى فى كتابهما (أسرار عن القرآن) تحت عنوان : فى القرآن ما يخل بفصاحته . ومن ذلك مخالفة القواعد العربية : ص ٦٧ - ٦٩ .

أختلاف اللغات التي أذن الله تعالى لنبيه عليه السلام ولأمته في القراءة بها تيسيرا لها وتوسعة عليها . فليس ما قصده فيه : بداخل في معنى المرسوم ، ولا هو من سببه في شيء ، وإنما سمى عروة ذلك لحنا . وأطلقت السيدة عائشة - رضی الله تعالى عنها - على مرسومه - كذلك - الخطأ على جهة الاتساع في الأخبار ، وطريق المجاز في العبارة . اذ كان ذلك مخالفا لمذهبهما - أي في القراءة - وخارجا عن اختيارهما ، وكان الأوجه والأولى عندهما ، والأكثر والأفضى لديهما . ولكن لا على وجه الحقيقة والتحصيل (٦) .

ويمكن تأويلها - أيضا - على أن قول عائشة : « أخطئوا في الكتاب » أي في اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه ، لا أن الذين كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز .

قال ابن أشته : والدليل على ذلك أن مالا يجوز مردود باجماع من كل شيء ، وان طال مدة وقوعه (٧) .

أو على أن المراد بكلمة (اللحن) - في هذه الرواية - هو القراءة واللغة ، لقول عمر - رضی الله تعالى عنه - أباي أقرأنا ، وأنا لنندع بعض لحنه . أي قراءته (٨) .

ثالثا : أما بخصوص تعليل ماجاء في هذه الآيات من المخالفات ، فيمكن تعليلها بما يأتي :

١ - أما بخصوص ماجاء في قوله تعالى : « إن هذان لساحران »

-
- (٦) المقنع في رسم مصاحف الأمصار : ص ١٢٧ .
(٧) الاتقان في علوم القرآن : ١ / ٢٤١ . وروح المعاني : ١٦ / ٢٢٣ .
(٨) المقنع في رسم مصاحف الأمصار : ص ١٢٨ .

فقد رسمت في المصحف العثماني هكذا : « إن هذن لسحرن »
من غير نقط ولا شكل ، ولا تشديد ولا تخفيف في نونى (إن)
و (هذان) ، ومن غير ألف ولا ياء بعد الذال من (هذان) ،
ولا الفات فى (لساحران) ، وذلك لتحتمل وجوه القراءات
الأربع فيها ، والتي وردت كلها بأسانيد صحيحة (٩) .

كيف يعقل أن تقول السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أخطأ
المكاتب ، والمكاتب لم يكتب ألف ولا ياء . وان كان هناك خطأ تعتقده
السيدة عائشة ما كانت تنسبه - بحال - للمكاتب ، بل كانت تنسبه
للقارئ الذى يقرأ بتشديد (ان) ، وبالألف لفظا فى (هذان) .

ولم ينقل عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، ولا عن غيرها
تخطئة من قرأ بما ذكر ، وكيف تنكر هذه القراءة ، وهى متواترة
مجمع عليها؟! بل هى قراءة الأكثر (١٠) ، ولها وجه فصيح فى

(٩) الأولى : قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى : (إن) مشددة
النون (هذان) بألف وخفيفة النون . الثانية : وقرأ ابن كثير :
(إن) مخففة النون (هذان) بألف ونون مشددة . الثالثة : قرأ
أبو عمرو : (إن) مشددة النون (هذين) بالياء . الرابعة :
وقرأ عاصم : (إن) مشددة النون (هذان) بألف وخفيفة النون
فى رواية أبى بكر عنه . وفى رواية حفص عن عاصم (إن) خفيفة
النون ، (هذان) بألف ونون خفيفة . راجع كتاب السبعة فى
القراءات لابن مجاهد : ص ٤١٩ .

(١٠) قرأ بها - أى بتشديد نون (ان) و (هذان) بالألف - نافع ،
وابن عامر ، وحمزة ، والكسائى ، وأبو جعفر ، ويعقوب ،

العربية لا يخفى على مثل عائشة . ذلك هو الزام المثني الألف في جميع حالاته ، ومنه قول الشاعر :

واها لسلمى ثم واها واها
يا ليت عيناها لنا وفاها
وموضع الخخال من رجلاها
بثمن يرضى به أباهـا
ان أباهـا وأبا أباهـا

قد بلغنا في المجد غايتها (١١)

والزام المثني ألفا في جميع حالاته لغة لكنانة ، ولبنى الحرث ابن كعب ، وخثعم ، وزبيد ، وبنى العنبر ، وبنى الهيجم ، ومراد ، وعذرة (١٢) .

قال أبو جعفر النحاس : وهذا القول من أحسن ما حملت عليه الآية ، إذ كانت هذه اللغة معروفة ، وقد حكاه من يرتضى بعلمه وأمانته (١٣) .

وهذه القراءة تخرج على أن (ان) الناصبة ، واسم الاشارة

وخلف ، والحسن ، وشيبة ، والأعمش ، وطلحة ، وحميد ، وأيوب ، وأبو عبيد ، وأبو حاتم ، وابن عيسى الأصبهاني ، وابن جرير ، وابن جابر الانطاكي . راجع اتحاف فضلاء البشر : ص ٣٠٤ ، وروح المعاني للكوسى : ٢٢١/٦ .

(١١) أي ان أبا أبيها - وغايتها .

(١٢) روح المعاني : ٢٢٣/١٦ .

(١٣) تفسير القرطبي : ص ٤٢٥٧ .

اسمها ، واللام لام الابتداء ، و (ساحران) خبرها ، ومجىء اسم
الاشارة بالألف مع أنه منصوب جاز على بعض لغات العرب . فى
الزام المثنى ألفا فى جميع الحالات كما سبق .

وهذا الوجه من الاعراب قال عنه الكاوسى : وهو أجود الوجوه
وأوجهها . واختاره أبو حيان ، وابن مالك ، والأخفش ، وأبو على
الفارسى ، وجماعة (١٤) .

وقيل : ان (ان) هى المخفة من الثقيلة ، أهملت . و (هذان)
مبتدأ ، و (لساحران) الخبر ، واللام للفرق بين النافية والمخفة
على رأى البصريين (١٥) .

وقيل : ان (ان) نافية ، و (اللام) بمعنى الا . والتقدير :
ما هذا الا ساحران . ويشهد له قراءة أبى (ان ذان الا ساحران) ،
وهى قراءة تفسير وتوضيح (١٦) .

ولما كانت هذه القراءة صحيحة توافرت لها الأركان الثلاثة
التي اشترطت لقبول القراءة ، وهى : صحة الاسناد ، وموافقتها
للعربية ، وقد جاء بها رسم المصحف (١٧) .

اذن : فبعيد كل البعد أن تنكر السيدة عائشة هذه القراءة ،
ولو جاء بها وحدها رسم المصحف ، وما هذه الرواية التي وضعت
على عائشة رضى الله تعالى عنها الا من وضع الملاحدة الذين يريدون

(١٤) روح المعانى : ٢٢٣/١٦ .

(١٥) اتحاف فضلاء البشر : ص ٣٠٤ .

(١٦) تفسير القرطبى : ص ٤٢٥٦ . والمدخل لدراسة القرآن : ص ٣٨١ .

(١٧) راجع أركان القراءة الصحيحة فى كتاب (النشر فى القراءات
العشر) : ٩/١ .

تشكيك المسلمين في كتابهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٢ - وأما بخصوص قوله تعالى : (والمقيمين الصلاة) فقد قرأ الجمهور هذه الآية بالياء (١٨) منصوبا على القطع المفيد للمدح ، كما في قطع النعوت اشعارا بفضل الصلوات ، أو مجرورا عطفًا على ضمير منهم ، أو على الكاف في اليك ، وقيل غير ذلك .

وعلى هذا فتخطئة رسم المصحف بخصوص هذه القراءة لا يصح عن عائشة رضی الله تعالى عنها .

قال أبو حيان : « وذكر عن عائشة رضی الله تعالى عنها ، وعن أبان ابن عثمان أن كتبها بالياء من خطأ الكاتب ، ولا يصح ذلك عنهما لأنهما عربيان فصيحان ، وقطع النعوت أشهر في لسان العرب ، وهو باب واسع ذكر عليه شواهد (سيبويه) وغيره ، وعلى القطع خرج سيبويه ذلك » (١٩٠) ، ومن شواهده :

(١٨) وقرأ بالواو جماعة منهم : سعيد بن جبير ، وأبو عمر بن العلاء في رواية يونس وهارون عنه ، ومالك بن دينار ، وعاصم بن الأعمش ، وعمر بن عبيد ، والجحدرى ، وعيسى بن عمر ، وخلائق . الفتوحات الالهية (حاشية الجمل على الجلالين) : ٤٤٧/١ .

(١٩) راجع البحر المحيط له : ٣/٣٩٥ ، ٣٩٦ .

لا يبعثون قومي الذين هم

سسم العداوة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك والطيبون معاهد الأزر (٢٠)

وقال الزمخشري : « لا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه
(لحنًا) في خط المصحف ، وربما التفت اليه من لم ينظر في
الكتاب = يريد كتاب سيبويه - ولم يعرف مذاهب العرب ،
وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان ، وخفى عليه
أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة والانجيل كانوا
أبعد همة في الغيرة على الاسلام ، وذبح المطاعن عنه ، من أن
يتركوا في كتاب الله تعالى ثلثة يسدها من بعدهم ، وخرقا
يرفوه من يلحق بهم » (٢١) .

وقال الآلوسی - بعد أن وجه قراءة النصب - : وبالجمله
لا يلتفت الى من زعم أن هذا من لحن القرآن ، وأن الصواب
(والمقيمون) بالواو كما في مصحف عبد الله ، وهي قراءة : مالك
ابن دينار ، والجدري ، وعيسى الثقفي ، إذ لا كلام في نقل
النظم تواترا ، فلا يجوز اللحن فيه أصلا (٢٢) .

٣ - وأما بخصوص قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى والصابئون » . فان قراءة (الصابئون) بالواو

(٢٠) . تفسير القرطبي : ص ٢٠١٠ والبيتان لخرنق بنت عفان من

بنی قيس ، وصفت قومها : بالظهور على العدو ، ونجرر الجزر
للأضياف ، والملازمة للحرب ، والعفة عن الفواحش .

(٢١) راجع تفسير الكشاف له : ٣٩٧/١ . ومناهل العرفان : ٣٩٤/١ .

(٢٢) روح المعاني : ١٥/٦ .

لم ينقل عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - أنها خطأت من يقرأ بها ، ولم ينقل أنها كانت تقرأ بالياء دون الواو .

وعليه : فلا يعقل أن تكون خطأت من كتب بالواو ، وأن هذا من المدسوس عليها ، دسه من يريد الطعن فى القرآن الكريم ، وتشكيك المسلمين فى أقدس مقدساتهم ، ومصدر شريعتهم ، ومنهاج حياتهم ، ولكن أنى لهم ذلك ، وهو كتاب « لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

والحقيقة : أنه لا خطأ فى قراءة (الصابئون) بالرفع ، كما رسمت فى المصحف ، لأنها بالرفع على الابتداء ، وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز (ان) من اسمها وخبرها ، كانه قيل : ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا .. والصابئون كذلك (٢٣) .

ولعل السر فى التقديم ، وذكرهم بين طوائف أهل الأديان : الدلالة على أن الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيفهم عن الأديان كلها تقبل تويتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح ، فغيرهم من أهل الأديان أخرى وأولى بذلك (٢٤) .

ومثل هذا الاستعمال العربى قول الشاعر :

(٢٣) راجع الكشف للزمخشرى : ٢٥٤/١ ، ومن أراد المزيد لما قاله العلماء فى توجيه هذه القراءة من الآراء وشواهدا فى العربية ، فليرجع الى تفسير : روح المعانى : ٢٠١/٦ - ٢٠٣ وتفسير القرطبى : ص ٢٢٤٣ وما بعدها .

(٢٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم : ص ٣٨٢ .

فمن يك أمسى بالمدينة رحله

فانى ، وقيار بها لغريب (٢٥)

وبهذا - وغيره - يتبين لنا أن هذه الشبهة وغيرها لا يجوز أن يتمسك بها الملحدون ، لأنها أوهى من بيت العنكبوت .

الشبهة الثالثة والرد عليها

يقولون : روى الامام أحمد بسنده عن اسماعيل المكي قال : حدثنا أبو خلف مولى بنى جمح : أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة - رضى الله تعالى عنها - فقالت : « مرحبا بأبى عاصم ما يمنعك أن تزورنا أو تلم بنا ؟ فقال : أخشى أن أملك . فقالت : ما كنت لتفعل ؟ قال : جئت لأسأل عن آية من كتاب الله عز وجل ، كيف كان رسول الله - ﷺ - يقرؤها ؟ قالت : آية آية ؟ قال : « الذين يؤتون ما أتوا » (٢) أو (الذين يأتون ما أتوا) ؟ فقالت : أيتهما أحب اليك ؟ فقلت : والذي نفسى بيده لاحدهما أحب الى من الدنيا جميعا - أو الدنيا وما فيها - قالت : وما هى ؟ فقلت : (والذين يأتون ما أتوا) . فقالت : أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرؤها ، وكذلك أنزلت ، ولكن الهجاء حرف (٣) .

يقولون : فهذه الرواية توهم أن القراءة الأخرى ، وأن الرسم ليس بمجمع عليه .

(٢٥) روح المعانى : ٢٠١/٦ . وقيار : اسم حماره .

(١) تلم بنا : أى تنزل بنا .

(٢) الآية : ٦٠ من سورة المؤمنون .

(٣) راجع مسند الامام أحمد : ٩٥/٦ .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولاً : أن هذه الرواية فى سندها اسماعيل بن مسلم المكى ، وهو ضعيف - كما قال ابن كثير (٤) - فلا تعارض القطعى الثابت بالتواتر ، ولا يثبت بها قرآن بحال حتى ولو كانت صحيحة .

ثانياً : أن هذه الرواية على فرض صحتها لا تفيد انكار القراءة الثابتة بالتواتر ، والتي أجمع عليها القراء السبعة ، وهى : « يؤتون ما أتوا » (٥) .

وقول السيدة عائشة : أن رسول الله - ﷺ - كان يقرأ بها ، وكذلك أنزلت (لا ينافى أن القراءة الأخرى منزلة ، وقرأ بها رسول الله ﷺ كذلك ، ولا سيما وهى القراءة المتواترة التى أجمع عليها القراء السبعة ، وأما القراءة الأخرى التى وافقت السيدة عائشة على استحسانها ، فهى غير متواترة ، ولا يثبت بها قرآن ، وقد ذكرت فى بعض كتب الحديث ، ولكن لم يروها القراء من طرقهم (٦) .

والمعنى على هذه القراءة : يفعلون من العبادات ما يفعلون وقلوبهم وجلة .

قال ابن كثير : المعنى على القراءة الأولى - أى قراءة الجمهور السبعة وغيرهم - أظهر ، لأنه قال : (أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) ، فجعلهم من السابقين ، ولو كان المعنى على

(٤) تفسير القرآن العظيم له : ٤٧٤/٥ ، ط . الشعب .

(٥) القراءة المتواترة : من الاتيان ، وهو الاعطاء ، أى يعطون ما أعطوا . وأما الثانية : فمن الاتيان بمعنى الفعل ، أى يفعلون ما فعلوا . المدخل لدراسة القرآن : ص ٣٨٥ .

(٦) روح المعانى للكوسى : ٤٤/١٨ .

القراءة الأخرى لاوشك أن لا يكونوا من السابقين ، بل من المقتصدین ،
أو من المقصرين . والله تعالى أعلم (٧) .

ثالثا : لعل هذه القراءة مما نسخ في عهد النبي ﷺ ، أو مما ترك
لعدم ثبوت تواترها .

رابعا : وأما قول السيدة عائشة : (ولكن الهجاء حرف) فكلمة
حرف مأخوذة من الحرف بمعنى القراءة واللغة .

قال الأزهري : كل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى
حرفا ، تقول : هذا في حرف ابن مسعود ، أي في قراءة ابن مسعود .
وقال ابن سيده : والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه ، وما جاء في
الحديث من قوله عليه السلام : نزل القرآن على سبعة أحرف كلها
كاف شاف ، أراد بالحرف اللغة (٨) .

فالمعنى إذن : أن هذه القراءة المتواترة التي رسم بها المصحف ،
لغة ووجه من وجوه الأداء في القرآن الكريم . ولا يصح - بحال -
أن تكون كلمة (حرف) في حديث عائشة مأخوذة من التحريف
الذي هو الخطأ ، لأن اللغة لا تشهد له - وهي العربية الفصيحة
اللسان - ، وكان حديثا معارضا للتواتر ، ومعارض المتواتر القطعي
الثبوت ساقط مردود .

الشبهة الرابعة والرد عليها

يقولون : ألا يكفي في الطعن على جمع القرآن ورسمه ما روى
عن ابن عباس في قوله تعالى : « لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى

(٧) تفسير القرآن العظيم : ٤٧٤/٥ .
(٨) راجع لسان العرب لابن منظور : ٨٣٧/٢ .

تستأنسوا وتسلموا على أهلها» (١) أنه قال : ان الكاتب أخطأ ،
والصواب : « حتى تستأذنوا » (٢) .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : أن هذه الرواية لا يصح الاستدلال بها على خطأ الكاتب ،
وعند تواتر القرآن ، لأنها معارضة للمتواتر ، ومعارض المتواتر
القطعى الثبوت ساقط أصلا ، وأن الرواية متى خالفت رسم المصحف
فهي شاذة لا يلتفت اليها ولا يعول عليها ، وان كانت صحيحة .

ثانيا : رد هذه الرواية كثير من العلماء وقالوا بعدم صحتها
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، منهم ابن كثير ، والقرطبى ،
والنيسابورى ، وابن عطية ، وأبو حيان ، وابن الأنبارى وغيرهم .

١ - فقد قال القرطبى فى تفسيره : - بعد أن ذكر هذه الرواية عن
ابن عباس ، أو سعيد بن جبير - وهذا غير صحيح عن ابن عباس
وغيره ، فان مصاحف الاسلام كلها قد ثبت فيها (حتى تستأنسوا)
وصح الاجماع فيها من لدن مدة عثمان ، فهى التى لا يجوز
خلافها .

واطلاق الخطأ والوهم على الكاتب فى لفظ أجمع الصحابة

(١) الآية : ٢٧ من سورة النور .

(٢) أخرج هذه الرواية ابن جرير الطبرى من عدة طرق : ١٨/٨٧ ،
والسيوطى : فى الدر المنثور : ٣٨/٥ وقال : أخرجه الفريابى ،
وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ،
وابن أبى حاتم ، وابن الأنبارى فى المصاحف ، والحاكم وصححه ،
والبيهقى فى شعب الايمان ، والضياء فى المختارة من طرق
عن ابن عباس .

عليه قول لا يصح عن ابن عباس ، وقد قال عز وجل : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ، وقال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٣) .

٢ - وقال النيسابورى : ولا يخفى ضعف هذه الرواية ، لأنها توجب الطعن فى المتواتر ، وتفتح باب القدح فى القرآن كله نعوذ بالله منه (٤) .

٣ - وقال ابن عطية : ومما ينفى هذا القول عن ابن عباس وغيره أن قوله (تستأنسوا) متمكنة فى المعنى ، بينة الوجه فى كلام العرب ، وقد قال عمر للنبي ﷺ استأنس يا رسول الله وعمر واقف على باب الغرفة . وذلك يقتضى أنه طلب الانس به ﷺ ، فكيف يخطىء ابن عباس أصحاب الرسول ﷺ فى مثل هذا (٥) .

٤ - وقال أبو حيان : أن من روى عن ابن عباس أنه قال ذلك ، فهو طاعن فى الاسلام ملحد فى الدين ، وابن عباس برىء من ذلك القول (٦) .

وقد استبعد الكلوسى قول أبى حيان ، حيث قال : ولما كان هذا الأثر قد رواه الحاكم وصححه ، والضياء فى المختارة ، والبيهقى فى شعب الايمان . وأنت تعلم أن تصحيح الحاكم لا يعول عليه عند أئمة الحديث ، لكن للخبر المذكور طرق كثيرة ، وكتاب الأحاديث المختارة للضياء كتاب معتبر ، فقد قال السخاوى فى (فتح المغيث) فى تقسيم

(٣) تفسير القرطبي : ص ٤٦٠٦ .

(٤) غرائب القرآن : ٧٢/١٨ على حاشية تفسير ابن جرير الطبرى .

(٥) تفسير القرطبي : ص ٤٦٠٦ .

(٦) انظر تفسير البحر المحيط له : ٤٤٥/٦ .

أهل المسانيد ، ومنهم من يقتصر على الصالح للحجة كالضياء فى مختارته . والسيوطى يعد ما عد فى ديباجة (جمع الجوامع) الكتب الخمسة ، وهى : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وصحيح ابن حبان ، والمستدرک ، والمختارة للضياء ، قال : ما فى هذه الكتب الخمسة صحيح . فوجود هذا الخبر هناك مع تعدد ما ذكر من تعدد طرقه يبعد كل البعد ما قاله أبو حيان .

ومن هنا أجاب ابن الأنبارى عن هذا الخبر ونحوه من الأخبار الطاعنة بحسب الظاهر فى تواتر القرآن المروية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، بأن الروايات ضعيفة ، ومعارضة بروايات أخرى عن ابن عباس أيضا وغيره (٧) .

ثالثا : من الروايات التى تعارض ما روى عن ابن عباس ما يأتى :

١ - أخرج ابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى المصاحف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله : (حتى تستأنسوا) قال : حتى تستأذنوا .

٢ - وأخرج سعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : الاستئناس : الاستئذان .

٣ - وأخرج ابن أبى شيبة ، والحكيم الترمذى ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وابن مردويه عن أبى أيوب قال : قلت يا رسول الله أرايت قول الله تعالى : « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » هذا التسليم قد عرفناه ، فما الاستئناس ؟ قال : (يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحج فيؤذن له) .

٤ - واخرج الطبراني عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال : « من كان يشهد أني رسول الله فلا يدخل على أهل بيت حتى يستانس ويسلم ، فإذا نظر في قعر البيت فقد دخل » (٨) .

فانت ترى في هذه الروايات على اختلاف طرقها قد ورد فيها تفسير الاستئناس بالاستئذان عن رسول الله ﷺ ، وعن ابن عباس نفسه ، وقد جاءت رواية الطبراني عن أبي امامة موافقة لمنطوق القرآن المتواتر ، مما يجعلنا أن نقول :

لعل الراوي عن ابن عباس قد وهم حيث فهم من تفسير الاستئناس بالاستئذان أنه قراءة له ، وأنه الصواب ، فروى الخبر على ما ظن وهو واهم .

رابعا : ومما يرد هذه الرواية وغيرها عن ابن عباس أيضا اجماع القراء السبعة على القراءة المتواترة (تستأنسوا) ، ومن المستبعد جدا أن يقرأ ابن عباس بقراءة يكون الاجماع على خلافها ، ولا سيما وهو قد أخذ القراءة عن زيد بن ثابت ، وهو عمدة الذين جمعوا القرآن في المصاحف بأمر عثمان رضى الله تعالى عنه .

وما نقل عن ابن عباس أنه أخذ هذه القراءة عن أبي بن كعب ، فيقصد بها قراءة تفسير ، لا قرآن ، لأن ما تواتر بيننا من القراءة عن أبي بن كعب من خمسة وثلاثين طريقا رواها عنه ستة من القراء السبعة - ما عدا ابن عامر - وليس في طريق واحد منها اثبات القراءة التي قرأ بها ابن عباس عن أبي بن كعب ، بل كلها بحمد الله تعالى موافقة لرسم المصحف .

(٨) راجع هذه الروايات في تفسير الدر المنثور : ٣٨/٦ ، ٣٩ ، وجامع البيان لابن جرير الطبري : ٨٧/١٨ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٤١/٦ .

خامسا : ومما يرد هذه الرواية أيضا : أن القراءة المتواترة (تستأنسوا) متمكنة فى الاعجاز من القراءة المزعومة (تستأذنوا) .

فالاستئذان ينصرف الى الاستئذان بالقول ، وأما الاستئناس : فيشمل القول وغيره من الأفعال التى تؤذن بالقدوم كالتسبيح والتحميد والتنحج وما شابه ذلك ، كما جاء تفسيره عن رسول الله ﷺ ، وقد سبق روايته .

كما أن القراءة المتواترة تشير الى أن الاستئذان يقصد به الأئس ، وازالة الوحشة ، وعدم ايلام المستأذن عليه ، ولا هكذا لفظ (تستأذنوا) فقد يكون مصحوبا بالخشونة ، أو الايحاش ، أو الايلام ، الى غير ذلك من الأسرار والمعانى النبيلة التى تظهر لمن يمعن النظر فى القرآن الكريم .

قال الكالوسى : وقيل : الاستئناس خلاف الايحاش ، فهو من الأئس بالضم خلاف الوحشة ، والمراد به المأذونية ، فكأنه قيل : حتى يؤذن لكم ، فان من يطرق بيت غيره لا يدرى أيؤذن له أو لا ؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه ، فاذا أذن له استأنس (٩) .

وذهب الطبرى الى أن المعنى تؤنسوا أهل البيت من أنفسكم بالاستئذان ونحوه ، وتؤنسوا أنفسكم بأن تعلموا أن قد شعر بكم (١٠) .

سادسا : على فرض صحة الرواية ، فيمكن أن تحمل على الخطأ فى الاختيار من الكاتب ، ويكون ذلك على حسب ظن ابن عباس ، لا بحسب الواقع ونفس الأمر .

(٩) روح المعانى : ١٣٤/١٨ .

(١٠) جامع البيان : ٨٩/١٨ .

قال ابن اشته : مراد ابن عباس الخطأ فى الاختيار وترك ما هو
الأولى ، بحسب ظنه رضى الله تعالى عنه لجمع الناس عليه من
الأحرف السبعة ، لا أن الذى كتب خطأ خارج القرآن .

قال السيوطى - تعليقا على قول ابن اشته - وهذا الجواب هو
أولى وأقعد (١١) .

الشبهة الخامسة والرد عليها

يقولون : روى عن ابن عباس أنه قرأ : (أفلم يتبين الذين آمنوا
أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) ، فقيل له انها فى المصحف :
« أفلم يأيس الذين آمنوا » (١) . فقال : أظن الكاتب كتبها وهو
ناعس (٢) . وهذا القول يقلل الثقة بكتابة القرآن ورسمه ، ويعود
على القرآن ورسمه بالتحريف .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : أن هذا القول لم يصح عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما ، وأنه قول مدسوس عليه دسه زنديق أو ملحد كما قال أبو حيان
فى تفسيره (٣) .

وعليه فقد قال صاحب الكشاف : ونحن مما لا يصدق هذا فى كتاب
الله الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وكيف يخفى هذا
حتى يبقى ثابتا بين دفتى المصحف الامام وكان متقلبا بين يدى أولئك
الأعلام ، المحتاطين فى دين الله المهتمين به ، لا يغفلون عن جلائله ،

(١١) الاتقان فى علوم القرآن : ٢٤٢/١ ، ٢٤٣ .

(١) من الآية : ٣١ من سورة الرعد .

(٢) أخرجها صاحب الاتقان : ٢٤٢/١ .

(٣) البحر المحيط : ٣٩٣/٥ .

ودقائقه ، خصوصا عن القانون الذى اليه المرجع ، والقاعدة التى عليها البناء ؟ ! هذا والله فرية ما فيها مزية (٤) .

وقال الالوسى : وأما قول من قال : انما كتبه الكاتب وهو ناعس ، فسوى المسين ، فهو قول زنديق ابن ملحد على ما فى البحر ، وعليه فرواية ذلك - كما فى الدر المنثور - عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما غير صحيحة ، وزعم بعضهم أنها قراءة تفسير وليس بذاك (٥) .

ثانيا : ومما يرد هذه الرواية أيضا أن القراءة الصحيحة المتواترة صحت عن ابن عباس ، فلو كان ما نسب اليه صحيحا لما قرأ بها .

فقد أخرج أبو عبيد ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان يقرأ : « أفلم ييأس الذين آمنوا » (٦) .

قال أبو بكر الأنبارى : روى عكرمة عن ابن نجيح أنه قرأ - أى ابن عباس - (أفلم يتبين الذين آمنوا) وبها احتج من زعم أنه الصواب فى التلاوة ، وهو باطل عن ابن عباس ، لأن مجاهدا وسعيد ابن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس ، على ما هو فى المصحف بقراءة أبى عمرو وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس (٧) .

وأیضا فان ابن عباس قد أخذ القرآن عن زيد بن ثابت فيمن أخذ عنهم ، وزيد كان كاتب الوحي ، وهو الذى جمع القرآن فى عهد

-
- (٤) انظر الكشاف للزمخشري : ٤٠٩/١ .
(٥) روح المعانى له : ١٥٦/١٣ .
(٦) الدر المنثور : ٦٣/٤ .
(٧) تفسير القرطبي : ص ٣٥٤٩ .

أبى بكر ، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن فى عهد عثمان ،
فمن غير المعقول أن يقرأ ابن عباس على خلاف قراءة زيد بن ثابت ،
وما كتبه فى المصاحف العثمانية ؛

ثالثا : ومما يرد هذه الرواية أيضا عن ابن عباس أنه قد ورد
عنه تفسير القراءة المتواترة على ما فى رسم المصحف •

فقد أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم عن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما (أفلم ييأس) يقول : نعم (٨) •

وهو المعنى الذى قال به ابن عباس - أيضا - لما سأله نافع بن
الأزرق عن قوله تعالى : (أفلم ييأس الذين آمنوا) •

فقد أخرج الطستى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن نافع
ابن الأزرق سأله عن قوله : (أفلم ييأس الذى آمنوا) قال : أفلم يعلم
بلغه بنى مالك • قال : - أى نافع - وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال
نعم أما سمعت مالك بن عوف يقول :

لقد يئس الأقوام أنى أنا ابنه

وان كنت عن أرض العشيرة نائيا (٩)

فلو كانت القراءة المتواترة (أفلم ييأس) غير ثابتة - كما دس
عليه الزنادقة - لما فرها ابن عباس ، ولبين للسائل أنها خطأ ، ولما
استشهد عليها بكلام العرب •

(٨) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى : ١٠٤ / ١٣ ، والدر
المنثور للسيوطى : ٦٣ / ٤ •

(٩) الدر المنثور : ٦٣ / ٤ والاتقان فى علوم القرآن : ١٥٩ / ١ •

خامسا : ومما يرد هذه الرواية المدسوسة على ابن عباس أيضا أنه قد ورد عنه تفسير : (أفلم ييأس) بمعنى : أفلم يتبين ، وقد روى هذا المعنى ابن جرير بسنده عن علي بن أبي طالب ، وابن عباس - من طريقين - وقتادة ، وهو المعنى الذى صوبه ابن جرير حيث قال : والصواب من القول فى ذلك على ما قاله أهل التأويل : أن تأويل ذلك أفلم يتبين ، ويعلم ، لاجتماع أهل التأويل على ذلك (١٠) .

فلعل الراوى عن ابن عباس قد وهم وظن المعنى الذى قال به قراءة له .

سادسا : على فرض صحة هذه الرواية عن ابن عباس ، فهى رواية أحادية ، فلا تعارض القطعى الثابت بالتواتر ، ولا يثبت بها قرآن ، ولا سيما وهى مخالفة لرسم المصحف . وغاية ما فيها أنها قراءة شاذة حيث خالفت رسم المصحف . ذكرها ابن خالويه : عن علي بن أبي طالب ، وجعفر بن محمد ، وابن مسعود ، وابن عباس رضى الله عنهم (١١) .

الشبهة السادسة والرد عليها

يقولون : روى عن ابن عباس أنه كان يقول فى قوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » (١) انما هى (ووصى ربك) التزقت الواو بالصاد . وروى عنه أنه قال : أنزل الله هذا الحرف على لسان نبيكم . ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . فلصقت احدى الواوين

(١٠) جامع البيان : ١٠٤/١٣ .

(١١) راجع مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ص ٦٧ ، تحقيق : برجستراسر ، طبعة مكتبة المتنبي .

(١) من الآية : ٢٣ من سورة الاسراء .

بالمصاد ، فقرأ الناس : (وقضى ريك) ولو نزلت على القضاء ما أشرك أحد .

وفى رواية أخرى : « ولو كان قضاء من الرب لم يستطع أحد رد قضاء الرب ، ولكنها وصية أوصى بها العباد » (٢) . وهذا يدل على وقوع تحريف القرآن .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولاً : أن هذا الأثر على اختلاف رواياته ضعيف ومدسوس على ابن عباس . وقد رفض ابن أبي حاتم أن يكون ابن عباس قال ذلك . وقال لو قلنا هذا لطعن الزنادقة فى مصحفنا (٣) .

ثانياً : أن ابن عباس نفسه قد استفاض عنه أنه قرأ : (وقضى) ، وذلك دليل على أن ما نسب إليه فى تلك الروايات هو من الدسائس والافتراءات التى لفقها أعداء الاسلام .

قال أبو حيان : والمتواتر هو (وقضى) ، وهو المستفيض عن ابن عباس والحسن وقتادة بمعنى أمر . وقال ابن مسعود وأصحابه بمعنى « وصى » (٤) .

وأما ما روى عن ابن مسعود أنه كان فى مصحفه (ووصى) . وما روى عن حبيب بن أبى ثابت رضى الله عنه قال : أعطانى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مصحفاً فقال : هذا على قراءة أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه ، فرأيت فيه « ووصى ريك » (٥) .

(٢) أنظر هذه الروايات فى الدر المنثور : ٤/١٧٠ ، والاتقان : ١/٢٤٢ .

(٣) تفسير القرطبي : ص ٣٨٥٣ .

(٤) مناهل العرفان للزرقانى : ١/٣٩١ .

(٥) جامع البيان للطبرى : ١٥/٤٧ والدر المنثور : ٤/١٧٠ .

فإن ذلك محمول على التفسير ، ولم يكن مصحف ابن مسعود ،
أو أبي بن كعب مصحف قرآن فقط ، وإنما كل منهما خلط مصحفه
بالتفسير والتأويل لبعض آيات القرآن ، وذكر بعض الأدعية والمأثورات
وهذا ما جعل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه أن يجمع صف
ومصاحف الصحابة رضى الله تعالى عنهم ويحرقها بعد أن جمع المصحف
الامام .

ثالثا : وأما استنادهم الى أن اللفظ القرآنى لو كان (وقضى لما
أشرك أحد) فهو غير لازم لمن تدبر القرآن وأمعن النظر فيه ،
لأن هذا الاعتراض يتجه لو حملنا القضاء على التقدير الأزلى ،
فأما لو أريد به معناه اللغوى الذى هو البت والقطع ، فلا يتجه اليه
هذا الاعتراض ، ولا يرد .

ولذلك فسر الجمهور (قضى) بأمر ، وهذا التفسير نفسه
ثابت عن ابن عباس كما أخرجه ابن جرير ، وابن المنذر من طريق
على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : فى
قوله : (وقضى) أمر (٦) .

والقضاء يستعمل فى اللغة - أيضا - على وجوه :

١ - فالقضاء : الخلق ، كقوله تعالى « فقضاهن سبع سموات فى
يومين » (٧) يعنى خلقهن .

٢ - والقضاء : بمعنى الحكم ، كقوله تعالى : « فاقض ما أنت قاض
إنما تقضى هذه الحياة الدنيا » (٨) . يعنى : احكم ما أنت
حاكم .

(٦) الدر المنثور : ١٧١/٤ .

(٧) الآية : ١٢ من سورة فصلت .

(٨) الآية : ٧٢ من سورة طه .

٣ - والقضاء : بمعنى الفراغ ، كقوله تعالى : « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » (٩) أى فرغ منه .

٤ - والقضاء : بمعنى الارادة ، كقوله تعالى : « اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » (١٠) .

٥ - والقضاء : بمعنى العهد ، كقوله تعالى : « ما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الأمر » (١١) .

فإذا كان القضاء يحتمل هذه المعانى وغيرها ، فلا يجوز اطلاق القول بأن المعاصى بقضاء الله ، لأنه أريد به الأمر ، فلا خلاف - اذن - أنه لا يجوز ذلك ، لأن الله تعالى لم يأمر بها ، فانه - سبحانه وتعالى - لا يأمر بالفحشاء ، وانما يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر ، كما قال تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » (١٢) .

وهذا ما فهمه الحسن رضى الله تعالى عنه حينما جاءه رجل وقال : انه طلق امراته ثلاثا . فقال له الحسن : انك قد عصيت ربك ، وبانت منك ، فقال الرجل : قضى الله ذلك على ! فقال الحسن - وكان فصيحا - : ما قضى الله ذلك ! أى ما أمر الله به ، وقرأ هذه الآية : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » (١٣) .

(٩) الآية : ٤١ من سورة يوسف .

(١٠) الآية : ٤٧ من سورة آل عمران .

(١١) الآية : ٤٤ من سورة القصص .

(١٢) الآية : ٩٠ من سورة النحل .

(١٣) جامع البيان لابن جرير : ٤٦/١٥ ، والجامع لأحكام القرآن

للقرطبي : ص ٣٨٥٤ .

رابعاً : على فرض صحة هذه الرواية - مع أنها غير صحيحة - فإنها معارضة للمتواتر القطعى الثبوت ، وكل ما عارض المتواتر القطعى الثبوت فهو ساقط عن الاعتبار ، ولا ينهض للاحتجاج به .

أو غاية ما فيها أنها قراءة شاذة عن ابن عباس ، كما ذكر ابن خالويه (١٤) ، لأنها مخالفة لرسم المصحف ، وكل ما خالف رسم المصحف ، فهو شاذ وان صح سنده .

وبذلك - أخی القارىء - لعله يكون قد استبان لك تهافت هذه الشبهة التى لايقول بها الا ملحد كذاب يريد الطعن فى القرآن الكريم ، ولا بصدق بها الا مجنون غاب عنه أن القرآن محفوظ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ، بحفظ الله تعالى القائل : (انا نحن ونزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

الشبهة السابعة والرد عليها

يقولون : روى أن ابن عباس كان يقرأ : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء » (١٥) ويقول : خذوا هذه الواو - أى واو وضياء - واجعلوها فى « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم » (١٦) .

وروى عنه أيضا أنه قال : « انزعوا هذه الواو ، واجعلوها فى (الذين يحملون العرش ومن حوله) » (١٧) .

(١٤) راجع شواذ القرآن لابن خالويه : ص ٧٥ .

(١٥) الآية : ٤٨ من سورة الانبياء .

(١٦) الآية : ١٢٣ من سورة آل عمران .

(١٧) الآية : ٧ من سورة غافر . وراجع هذه الروايات فى الدر المنثور :

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

اولا : أن هذه الروايات ضعيفة لم يصح منها شيء عن ابن عباس
بأى حال من الأحوال .

ثانيا : أن هذه القراءة معارضة للقراءة المتواترة المجمع
عليها ، ومعارض المتواتر ساقط ومردود لا محالة ، ومما يدل على
تهافت هذه القراءة وسقوطها : الاختلاف فى أى الآيتين أراد ابن عباس
نقل الواو اليها .

ثالثا : أن بلاغة القرآن قاضية بوجود الواو لا بحذفها ، سواء
فسر (الفرقان) بالنصر أم بالتوراة .

فقد ورد تفسير (الفرقان) بالنصر ، كما فى قوله تعالى :
« وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم النقى الجمعان » (١٨) ،
وأطلق عليه لفرقه بين الولى والعدو . والضياء حينئذ : أما التوراة ،
أو الشريعة ، أو اليد البيضاء (١٩) .

وقال ابن زيد : الفرقان - هنا - هو النصر على الأعداء ،
دليله قوله تعالى : (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) يعنى
يوم بدر .

وروى هذا التفسير ابن جرير الطبرى عن ابن زيد وانتصر له
حيث قال : وهذا القول الذى قاله ابن زيد فى ذلك أشبه بظاهر
التنزيل ، وذلك لدخول الواو فى (الضياء) . وفى دخول الواو
فى ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التى هى ضياء .

(١٨) الآية : ٤١ من سورة الأنفال

(١٩) ، روح المعانى للكوسى : ٥٧/١٧ .

ثم قال : فان قال قائل : وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان ، وان كانت فيه واو ، فيكون معناه : وضياء آتيناها ذلك ، كما قال تعالى : « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا » (٢٠) قيل له : ان ذلك وان كان الكلام يحتمله ، فان الاغلب من معانيه ما قلنا ، والواجب أن يوجه معانى كلام الله الى الاغلب الاشهر من وجوهه المعروفة ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل (٢١) .

وأما على تفسير (الفرقان) بالتوراة ، يكون المراد بالفرقان والضياء والذكر : التوراة ، لأنها تفرق بين الحق والباطل . وضياء ، لأنها تنير الطريق للسالكين ، وهى ذكر لما فيها من التذكير والمواظم ، ومثل هذا الأسلوب يجوز أن يأتى بدون الواو على أنه حال ، ويجوز أن يأتى بالواو وكل بليغ ، ولكن الاتيان بها أبلغ تنزيلا لتغاير الصفة - والحال صفة فى المعنى - منزلة تغاير الذات ، ولذلك سر بلاغى ، وهو الاشارة الى بلوغها درجة عالية فى كونها ضياء حتى أضحت كأنها جنسا مستقلا برأسه عن سابقه ، وهذا السر لا يتم على حذف الواو ، ومثل هذا من كلام العرب :

الى الملك القرم وابن الهمام

وليث الكتيبة فى المزدحم (٢٢)

(٢٠) الآية : ٦ من سورة الصافات .

(٢١) جامع البيان له : ٢٦/١٧٠ .

(٢٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم : ص ٢٧٦ .

الشبهة الثامنة والرد عليها

يقولون : روى عن ابن عباس فى قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » (٢٣) أنه قال : هى خطأ من الكاتب • هو أعظم من أن يكون مثل نور المشكاة • انما هى : « مثل نور المؤمن كمشكاة » (٢٤) •

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولاً : هذه الرواية باطلة ، لأنها معارضة للمتواتر القطعى الثبوت ، ومعارض المتواتر القطعى الثبوت ساقط ومردود •

ثانياً : أنه لم ينقل عن أحد من القراء أن ابن عباس قرأ : مثل نور المؤمن ، فكيف يقرأ رضى الله تعالى عنه بما يعتقد أنه خطأ ، ويترك ما يعتقد أنه صواب ؟ إذن فهذا كذب مفضوح على ابن عباس •

ثالثاً : ومما يدل على أن هذه الرواية مكذوبة على ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه فسر قوله تعالى : (مثل نوره) بقوله : هداه فى قلب المؤمن •

فقد أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس أنه قال : مثل نوره مثل هداه فى قلب المؤمن (٢٥) •

وأخرج الفريابى عن ابن عباس فى قوله تعالى : « الله نور

(٢٣) من الآية : ٣٥ من سورة النور •

(٢٤) الدر المنثور : ٤٨/٥ والاتقان فى علوم القرآن : ٢٤٣/١ •

(٢٥) روح المعانى للالوسى : ١٦٥/١٨ •

السموات والأرض مثل نوره « الذى أعطاه المؤمن كمشكاة ٠٠٠ الخ .

فهذا التفسير عن ابن عباس لا يتأتى بحال الا اذا عاد الضمير
في قوله : (نوره) على لفظ الجلالة (الله) جل شأنه .

وأما ما رواه الحاكم عن ابن عباس أن مرجع الضمير هو المؤمن :
فلا يلزم منه رد القراءة المتواترة ، بل هو تفسير لمرجع الضمير فيها .
ومما يضعف رواية الحاكم عن ابن عباس أن رجوع الضمير الى
غير المذكور فى الكلام اذا لم يكن فى الكلام ما يدل عليه ، أو كان
لكن كانت دلالاته عليه خفية ، خلاف الظاهر جدا لاسيما اذا فات
المقصود من الكلام على ذلك (٢٦) .

وانما تتم الروعة فى التمثيل فى الآية لو رجع الضمير الى
المذكور ، وهو لفظ الجلالة على أن يكون المراد بالنور الحق الذى
قامت عليه السموات والأرض ، وصلح به أمر الناس ، أو الهدى
الذى غرسه الله فى قلب المؤمن . وأما على الوجه الآخر - أى عود
الضمير على المؤمن - ففيه تفكيك للقرآن ، وتفويت لروعة التمثيل .

رابعا : لو أن هذا الدس نقل عن أبى بن كعب رضى الله تعالى
عنه لكان الأمر أهون ، اذ هو الذى نقل عنه أنه قرأ : « مثل
نور المؤمن » وفى رواية : (نور المؤمنين) ، وفى رواية (مثل نور
من آمن) أو قال : « مثل من آمن » (٢٧) .

(٢٦) روح المعانى : ١٦٦/١٨ .

(٢٧) راجع المصدر السابق أيضا ، وراجع شواذ القرآن لابن خالويه
ص ١٠٢ ، والدر المنثور : ٤٨/٥ . وفى هذا الاختلاف دلالة
قوية على أن ما روى عن أبى أنه قرأ به إنما مراده به التفسير ،

وهى قراءة شاذة لا يعتد بها ، ولا يقرأ بها ، لمخالفتها لرسم المصحف ، وعدم تواترها ، ولكن شاء الله تعالى - كما يقول الشيخ أبو شهبه - رحمه الله تعالى - أن تتم الحكمة فى نسج هذه الرواية المكذوبة على ابن عباس ، وهكذا الباطل يكون فى طيه ما يلقي أضواء على بطلانه (٢٨) .

الشبهة التاسعة والرد عليها

يقولون : روى عن ابن عباس أنه قال : لا تقولون « فان آمنوا بمثل ما أمنتكم به فقد اهتدوا » (٢٩) فإنه ليس لله مثل ، ولكن قولوا (بالذى أمنتكم به فقد اهتدوا) ، وأنه كان يقرأ : « فان آمنوا بما أمنتكم به » (٣٠) . فهذا ينفى القراءة المشهورة التى كتب بها المصحف ، ويدل على أن المصحف قد حصل فيه تغيير .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : أن هذه الرواية أحادية مخالفة للمتواتر القطعى الثبوت ، والذى أجمع عليه المسلمون من لدن الصحابة الى وقتنا هذا ، ومخالف القطعى مردود ، ولا يثبت به قرآن قط مهما بلغت صحة الرواية .

والا فيبعد أن تكون هذه كلها قراءات ثابتة بالتلقى والسمع وهذه القراءات التفسيرية كثيرا ما ترد عن بعض الصحابة ، والتابعين ، فيظن من لا يعرف أنها قراءات تلاوة . والحق ما ذكرنا لك .

(٢٨) المدخل لدراسة القرآن الكريم : ص ٣٧٨ .

(٢٩) الآية : ١٣٧ من سورة البقرة .

(٣٠) جامع البيان لابن جرير : ٤٤٣/١ .

ثانياً : على فرض ثبوت هذه الرواية وصحتها ، فهي تحمل على التفسير ، وبيان لمعنى القراءة المتواترة . وهو أن المثل مقحم كما فى قوله تعالى : « وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله » أى عليه .

فهذه الرواية عن ابن عباس محمولة على التفسير ، لا على أنه انكر القراءة المتواترة ، وخفى عليه معناها .

يقول ابن جرير الطبرى - رحمه الله تعالى - : ان كانت هذه القراءة صحيحة عن ابن عباس ، فهو يوجه تاويل قراءة من قرأ : (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به) أى فان آمنوا بمثل الله ويمثل ما أنزل على ابراهيم واسماعيل ، وذلك اذا صرف الى هذا الوجه شرك - لا شك - بالله العظيم ، لأنه لا مثل لله تعالى ذكره ، فنؤمن أو نكفر به .

ولكن تاويل ذلك على غير المعنى الذى وجه اليه تاويله ، وانما معناه ما وصفنا ، وهو فان صدقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به من جميع ما عددنا عليكم من كتب الله وأنبيائه ، فقد اهدوا ، فالتشبيه انما وقع بين التصديقين والاقرارين اللذين هما ايمان هؤلاء ، وايمان هؤلاء (٣١) .

ولا شك أن هذا التاويل لا يخفى على حبر الامة ومفسر القرآن العظيم ابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

الشبهة العاشرة والرد عليها

يقولون : روى عن خارجة بن زيد بن ثابت أنه قال : قالوا :

لزید بن ثابت یا أبا سعید أوهمت انما هی : ثمانية أزواج من الضان
اثنين اثنين ، ومن البقر اثنين اثنين ؟ فقال : لا ، ان الله تعالى يقول :
« فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى » (٣٢) فهما زوجان كل واحد
منهما زوج ، الذكر زوج والأنثى زوج .

يقولون : فهذه الرواية تدل على تصرف النسخ فى المصحف ،
واختيارهم ما شاءوا فى كتابة القرآن (٣٣) .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : هذه الرواية - على فرض تسليم صحتها - لا تدل على ما
زعموا ، وانما هى بيان وتوجيه لما كتبه وقراه ، وثبت عنده سماعا
من النبى ﷺ لا تصرفا من تلقاء نفسه .

ثانيا : أن المستشكل قد فهم أن الزوج لا يطلق الا على الاثنتين
المتزوجين ، فبين له زيد رضى الله تعالى عنه أن الزوج كما يطلق
على الاثنتين المتزوجين يطلق - أيضا - على كل واحد منهما أنه زوج ،
واستدل له بالقرآن الكريم الذى هو الحجة البالغة . وقد اقتنع
السائل وسكت ، لأنه لم يعارض زيد فيما قال .

ثالثا : أن الصحابة الذين كتبوا القرآن ، والذين حملوه وبلغوه
لمن بعدهم كانوا قد بلغوا الغاية فى الضبط والتثبيت والأمانة الفائقة ، وفى
الذروة منهم زيد بن ثابت الذى كان كاتب الوحي بين يدى النبى
ﷺ ، والذى حمل العباء الأكبر فى جميع مراحل جمع القرآن ،
فهو الذى جمع القرآن فى عهد أبى بكر ، وفى عهد عثمان رضى الله
تعالى عنهم جميعا . وقد سبق أن مر بك الصفات التى تحلى بها

(٣٢) الآية : ٣٩ من سورة القيامة .

(٣٣) الاتقان فى علوم القرآن : ١ / ٢٤٣ .

زيد رضى الله تعالى عنه حتى اختير لهذه المهمة الصعبة ، ويكفيك أن تعرف أن الرسول ﷺ أمره أن يتعلم السريانية فتعلمها رضى الله تعالى عنه فى سبعة عشر يوماً (٣٤) .

الشبهة الحادية عشرة والرد عليها

يقولون : كيف اعتمدتم المصحف وفيه من الخطأ الظاهر واللحن والاختلاط مالا يكاد يخفى على من له علم بالعربية ، ومثلوا لذلك بما يأتى :

١ - قوله تعالى : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس » (٣٥) . وكان الظاهر أن يقول : والصابرون ، لانه معطوف على الموفون .

٢ - قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (٣٦) وصوابه : كن فكان .

٣ - قوله تعالى : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا » (٣٧) وصوابه : اثنى عشر سبطا .

- قوله تعالى : « وأسروا النجوى الذين ظلموا » (٣٨) وقوله : « ثم عموا وصموا كثير منهم » (٣٩) . وكان الظاهر أن يقول : وأسروا ، عمى ، صم .

(٣٤) راجع ص ٢٩ من الكتاب .

(٣٥) الآية : ١٧٧ من سورة البقرة .

(٣٦) الآية : ٥٩ من سورة آل عمران .

(٣٧) الآية : ١٦٠ من سورة الاعراف .

(٣٨) الآية : ٣ من سورة الأنبياء .

(٣٩) الآية : ٧١ من سورة المائدة .

- قوله تعالى : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم » (٤٠).

وصوابه : اختصموا فى ربهما .

- قوله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا

بينهما » (٤١) وصوابه : اقتتلتا .

١ - قوله تعالى : « رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق

وأكن من الصالحين » (٤٢) وصوابه : فأصدق وأكون (٤٨) .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولا : فان هذه مزاعم باطلة منشؤها الجهل بلغات العرب ، ومذاهبهم فى الخطاب ، وأساليبهم فى البيان ، وقد شاء الله تعالى - وله الحكمة البالغة - أن يجيء القرآن الكريم - عدا لغة قريش السائدة فيه - مشتملا على بعض لغات العرب واستعمالاتهم سواء فى ذلك الفصح والأفصح ، ولذلك سر ، ذلك أن القرآن هو كتاب العربية الأكبر ، وجامعة العرب الكبرى ، ومرجعهم الأوثق فى معرفة أساليب العرب فى البيان ، ومذاهبهم فى التعبير ، فكان الأليق والأوفق أن يأتى مشتملا على المقبول السهل منها غير المستهجن والمستثقل ليجد العرب فيه ما يرضى أذواقهم وملكاتهم ، خصوصا وهم أرباب الفصاحة والبيان .

ثانيا : أما بيان وجه الحق فيما ذكر فهو كما يأتى :

١ - أما قوله تعالى : (والصابرين) فهو منصوب على المدح بتقدير:

(٤٠) الآية : ١٩ من سورة الحج .

(٤١) الآية : ٩ من سورة الحجرات .

(٤٢) الآية : ١٠ من سورة المنافقون .

(٤٣) راجع هذه المزاعم فى كتاب تعليقات على القرآن ص ٨٢ - ٨٣

تحت عنوان فى القرآن أخطاء لغوية .

أخص أو أمدح الصابرين ، وإنما غاير في الأسلوب ، ولم يأت على نسق ما سبقه تبيانا لفضيلة الصبر ، وبيان منزلته من البر ، فكان الله تعالى يبين لنا أنه وإن جاء في الذكر آخر ، فهو بمكان من الفضيلة والمثوبة الحسنة .

قال الراغب : ولما كان الصبر من وجه مبدأ للفضائل ، ومن وجه - آخر - جامعاً للفضائل ، إذ لا فضيلة إلا وللصبر فيها أثر بليغ غير اعرابه تنبيهها على هذا المقصود ، وهو كلام حسن . فالآية جامعة لمجامع الكمالات الانسانية ، وهي صحة الاعتقاد ، وحسن المعاشرة ، وتهذيب النفس (٤٤) .

وقد جاء عن أئمة اللغة والنحو في بيان ما للعرب من التفنن في النصب على الاختصاص الكثير . كما أنه غير خفى - على من له ذوق بالعربية - ما لتغيير الأسلوب ، والتفنن في الخطاب من أثر جليل من الناحية النفسية ، لأنه يجذب الانتباه ويوقظ الشعور ، ويحمل العقول على التساؤل ، فتتمكن المعانى في النفس فضل تمكن .

قال أبو علي : إذا ذكرت صفات المدح أو الذم ، وخولف الأعراب في بعضها ، فذلك تفنن ، ويسمى قطعاً ، لأن تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ، ومزيد اهتمام بشأنه (٤٥) .

وقد قرىء والصابرون عن الجحدري ، كما قرىء والموفين عن ابن مسعود (٤٦) .

٢ - وأما قوله تعالى : (واسروا) وقوله : (ثم عموا وطموا) فهو وارد على بعض لغات العرب ، وهي لغة (أكلوني البراغيث)

(٤٤ ، ٤٥) الفتوحات الإلهية : ١٤٢/١ .

(٤٦) المصدر السابق ، وشواذ القرآن لابن خالويه ص ١١ .

وهى لغة لأزد شنوءة ، كما قال أبو عبيدة قال شاعرهم :

يلوموننى فى اشتراء النخيل أهلى وكلهم السوم

وهى لغة حسنة ، على ما نص أبو حيان ، وهى ليست شاذة
كما زعمه بعضهم (٤٧) .

وهذه اللغة تخرج على أن اللواحق بالأفعال ليست ضمائر وإنما
هى علامات على التثنية أو الجمع ، وما بعدها هو الفاعل ، أو أن
تكون اللواحق هى الفاعل ، والظواهر بعدها بدل منها ، كما قال
المبرد ، وعزاه ابن عطية الى سيبويه ، وفيه اشعار بكونهم موصوفين
بالظلم الفاحش فيما أسروا به .

وقال الكسائى : (الذين ظلموا) مبتدأ والجملة قبله خبره ،
وقدم اهتماما به ، والمعنى : هم أسروا النجوى ، فوضع الموصول موضع
الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما .

وقيل : (الذين ظلموا) خبر مبتدأ محذوف . أى هم الذين
ظلموا . وقيل : (الذين ظلموا) فاعل لفعل محذوف ، أى يقول الذين
ظلموا ، والقول كثير ما يضر ، واختاره النحاس ، وذلك كما فى قوله
تعالى : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما
صبرتم فنعم عقبى الدار » .

وقيل : (الذين ظلموا) فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور ،
ويكون التقدير : وأسروا النجوى أسرها الذين ظلموا .

٣ - وأما قوله تعالى : (فأصدق وأكن من الصالحين) ففيها
قراءتان سبعيتان :

(٤٧) روح المعانى : ١٧ / ٨ .

الأولى : (وأكون) بالنصب ، وقرأ بها أبو عمرو ، ووافقه :
الحسن ، واليزيدى ، وابن محيصن ، وابن جبير ، وأبو رجاء ، وابن أبي
اسحق ، ومالك بن دينار ، والأعمش ، وعبد الله ابن الحسن العنبرى .

والثانية : (وأكن ،) بالجزم ، وقد قرىء بها الباقون ، وهذه
القراءة تخرج على أنها عطف على المعنى ، فان الكلام فى معنى
الشرط ، فكأنه - سبحانه وتعالى - قال : ان أخرتنى الى أجل قريب
أصدق وأكن . والى هذا ذهب أبو على الفارسى ، والزجاج .

وحكى سيبويه عن الخليل : أنه عطف على توهم الشرط الذى يدل
عليه (أخرتنى) لأن الشرط غير ظاهر ، ولا يقدر حتى يعتبر العطف
على الموضع ، كما فى قوله تعالى : « من يضل الله فلا هادى له
ويذرهم ٠٠ » (٤٨) فيمن قرأ بالجزم ، وهو حسن (٤٩) .

٤ - وأما قوله تعالى : (فقال له كن فيكون) فالتعبير بالمضارع
مع أن المقام مقام المضى ، لتصوير ذلك الأمر الكامل بصورة
المشاهد الذى يقع الآن ، ايذانا بأنه من الأمور المستغربة العجيبة
الشأن . ويجوز أن يكون التعبير بذلك ، لما أن الكون مستقبل
بالنظر لما قبله (٥٠) .

٥ - وأما قوله تعالى : (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما)
أولا : فهذا التانيث فى (اثنتى عشرة) مع أن المعدود مذكر
- وما قبل الثلاثة يجرى على أصل التانيث والتذكير - لتأويل
ذلك بمؤنث . فالمعنى : صيرناهم اثنتى عشرة أمة يتميز بعضها
عن بعض .

(٤٨) الآية : ١٨٦ من سورة الأعراف .

(٤٩) راجع اتحاف فضلاء البشر : ص ٤١٧ وروح المعانى : ١١٧/٨ .

(٥٠) روح المعانى : ١٨٧/٤ .

ثانياً : (أسباطا) كما قال ابن الحاجب - فى شرح المفصل -
بديل من العدد لا تتميز له ، والا لكانوا ستة وثلاثين ، وعليه
فالتمييز محذوف ، أى فرقة ، أو نحوه .

قال الخوفى : أن صفة التمييز - وهى أسباطا - أقيمت مقامه ،
والأصل : فرقة أسباطا .

ويجوز أن يكون (أسباطا) تمييزاً ، لأنه مفرد تأويلاً . حيث
ذكر ابن الأثير : أن السبط مفرداً وولد الولد ، أو ولد البنات ، أو الولد ،
أو القطعة من الشيء . ثم استعمل فى كل جماعة من بنى إسرائيل
كالقبيلة فى العرب ، ولعله تسمية لهم باسم أصلهم كتميم ، وقد يطلق
على كل قبيلة منهم أسباط أيضاً ، كما غلب الانصار على جمع مخصوص
فهو حينئذ بمعنى الحى والقبيلة ، فلهذا وقع موقع المفرد فى
التمييز (٥١) .

٦ - وأما قوله تعالى : (هذان خصمان اختصموا فى ربهم)
فقد جاء قوله : (اختصموا) بصيغة الجمع ، لأن كل خصم
فريقاً يجمع طائفة من الناس .

فقد جاء فى سبب نزول الآية ما أخرجه البخارى بسنده
المتصل عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال : نزلت هذان خصمان
اختصموا فى ربهم (فى ستة من قريش : على ، وحمزة ، وعبيدة
ابن الصارث ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن
عتبة) (٥٢) .

(٥١) روح المعانى : ٨٧/٩ .
(٥٢) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير : ٥٦/١٠ ، ومسلم فى كتاب
التفسير : ٥٠٠/٨ من شرح النووى ، وابن ماجه فى الجهاد ،
باب (المبارزة والسلب) : ٩٤٦/٢ الحديث رقم ٢٨٣٥ وأخرجه
الطبرانى : ١٦٤/٣ .

وقال ابن عباس : هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله منكم ، وأقدم منكم كتابا ، ونبينا قبل نبيكم . وقال المؤمنون : نحن أحق بالله منكم ، آمنا بمحمد ، وآمنا بنبيكم ، وبما أنزل إليه من كتاب ، وأنتم تعرفون نبينا وتركتموه ، وكفرتم به حسدا ، فكانت هذه خصومتهم ، وأنزلت فيهم هذه الآية .

وهذا قول قتادة أيضا ، وبه قال الفراء ، ثم قال : فقال : (اختصموا) لأنهم جمع ، ولو قال (اختصما) ، جاز .

وقال مجاهد ، والحسن ، وعطاء بن أبي رباح ، وعاصم بن أبي النجود ، والكلبي : أنهم المؤمنون كلهم والكافرون كلهم من أى ملة كانوا . وهذا القول عام يجمع المنزل فيهم وغيرهم .

وقيل : نزلت فى الخصومة فى البعث والجزاء ، إذ قال به قوم وأنكره قوم .

فأنت ترى أن المختصمين - على ما جاء فى هذه الأقوال - جمع من الناس ، لذلك جاء اللفظ بصيغة الجمع حملا على المعنى (٥٣) .

وأیضا : فقد قرأ ابن أبى عبله (اختصما) مراعاة للفظ : (خصمان) وهو تثنية خصم (٥٤) وهى قراءة شاذة .

٧ - وأما قوله تعالى : (وان طائفتان من المؤمنین اقتتلوا) فقد عدل عن ضمير التثنية الى ضمير الجمع رعاية للمعنى أيضا ، فان كل طائفة من الطائفتين جماعة ، فقد روعى فى الطائفتين معناهما أولا ، ولفظهما ثانيًا على عكس المشهور فى الاستعمال .

(٥٣) تفسير القرطبي : ص ٤٤١٧ ، ٤٤١٨ بتصرف شديد . وروح المعانى : ١٣٣/١٧ .

(٥٤) روح المعانى : ١٣٣/١٧ .

والنكته فى ذلك على ما قيل : أنهم أولا فى حال القتال مختلطون
فلذا جمع ضميرهم ، وفى حال الصلح متميزون متفارقون فلذا ثنى
الضمير ، فقال : (فأصلحوا بينهما بالعدل) .

وكذلك قرأ ابن أبى عبله (اقتتلنا) بضمير التثنية والتانيث
كما هو الظاهر (٥٥) . وهى قراءة شاذة أيضا .

رد عام : نرد به هنا على كل ما سبق من شبه ، وهو أن العمدة
فى القرآن الكريم وحفظه هو التلقى ، والسمع من النبى ﷺ ، أو ممن
سمع منه ، أو سمع ممن سمع منه ، وهكذا حتى وصل إلينا القرآن
غضا كما أنزل ، ولم يكن يؤخذ القرآن من الصحف ، أو المصاحف
المكتوبة ، وإنما كان القصد من المكتوب معاودة الحفوظ ، والرجوع
إليه عند الاختلاف فى القراءة والرسم .

وأن الذين نسبت إليهم هذه الروايات ، ولا سيما ابن عباس -
رضى الله تعالى عنهما - فقد قرأ بالقراءات الثابتة المتواترة على
خلاف ما نقل عنه من الطعن فيها مما يدل على بطلان هذه الطعون .

لأن ابن عباس قد أخذ القرآن عن زيد بن ثابت ، وأبى بن كعب ،
وهما من أعضاء لجنة جمع المصحف فى عهد عثمان رضى الله تعالى
عنه . وهما أيضا من كتاب الوحي للنبى ﷺ . وابن عباس كان
يعرف ذلك ويوقن به ، فمحال أذن ينطق لسانه بكلمة تحمل رائحة
اعتراض على جمع القرآن ، ورسم المصحف ، والا فكيف يأخذ القرآن
عن زيد ، وأبى بن كعب ، ثم يعترض على جمعهما ورسمهما !!؟

وبعد : فلعلك - أذى القارئ - قد أدركت معى أن هذه الشبه

وأمثالها واهية أوهى من بيت العنكبوت ، فلا تلق اليها بالا ، ولعلك
ازددت يقينا بأن القرآن كما هو فى المصاحف اليوم ، هو هو ما
أنزل على نبينا محمد ﷺ ، وأن كل ما يخالف هذا المتواتر القطعى
الثبوت ، فهو مردود باطل ، لأن القرآن لا يثبت برواية أحادية ، ولو
بلغت أعلى درجات الصحة . فكن على ذكر من كل ذلك واعلم أنه
كتاب عزيز « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد » . وأنه محفوظ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان
بحفظ الله القائل : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

* * *

سادسا : مزاعم على التزام الرسم العثماني

ان اعداء الاسلام كثيرون ، وانهم يتربصون به الدوائر ، وينتهزون كل فرصة ليسددوا اليه سهام المطاعن ، خصوصا القرآن الكريم ، لانهم يرون فيه حاجزا قويا يحول بينهم وبين ما يريدون من هيمنة على الشعوب الاسلامية .

فالقرآن يربط بين قلوب المسلمين في جميع الاقطار الاسلامية ، ويوحد كلمتهم ، ويدعوهم الى التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والى التعاون على البر والتقوى ، والدفاع عن حوزة المسلمين في كل مكان ، ويحفزهم الى العزة والكرامة .

وقد نجح الاستعمار في القضاء على الخلافة الاسلامية بعد ان دخلت الجيوش الانجليزية ، واليونانية ، والايطالية ، والفرنسية اراضي الدولة العثمانية ، وسيطرت على جميع اراضيها ، ومنها العاصمة استانبول .

ثم حاول القضاء على القرآن الكريم ، وجاء (دنلوب) الى مصر ، وحاول القضاء على الكتابات التي تحفظ القرآن الكريم بحجة انها غير مطابقة للشروط الصحية ، فلقى مقاومة شعبية عنيفة لم تمكنه من النجاح ، ثم حاول القضاء على اللغة العربية - لغة القرآن - بوصفها لغة دخيلة على المصريين - في زعمه - ، وانها صعبة وتكاد ان تكون ميتة ، وأنه من الخير للمصريين ان يتعلموا بلغتهم العامية . وبذل في سبيل ذلك جهودا جبارة ولكنه - بفضل الله تعالى - باء بفشل ذريع (١) .

(١) راجع كتاب اقلام مسمومة تهاجم الاسلام : ص ١٥٣ ، للأستاذ / علي عبد العظيم . ط . المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٧٧ م

وجاء بعده من حاول القضاء على الخط العربي ، واستبدال الحروف اللاتينية بالعربية ليتم عن طريقها القضاء على اللغة العربية ، وبذل في سبيل ذلك ما بذل من جهود ، ولكنها فشلت - أيضا - هذه الخطة في البلاد العربية ، وان كانت قد نجحت في (تركيا) حيث فرضت حكومتها على الشعب الكتابة بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، وتمت هذه المحاولة في بلاد أخرى مثل الصومال وأندونيسيا وغيرهما .

فالحملة على اللغة العربية وعلى القرآن الكريم عاصفة عاتية منذ الحروب الصليبية حتى الآن ، ولا يمكن أن ننسى ما أعلنه اللورد (جلادستون) في مجلس اللوردات البريطانى حينما أمسك المصحف بيده وقال : (ما دام هذا الكتاب موجودا على الأرض ، فلا تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان) .

ولا ما قاله المبشر (ولهم جرفورد بالكراف) : متى توارى القرآن ، ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه .

ولا ما قاله الحاكم الفرنسى فى الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها : يجب أن نزيل القرآن العربى من وجودهم .. ونقتلع اللسان العربى من ألسنتهم ، حتى ننتصر عليهم .

ولذلك يقول المبشر (تاكلى) : يجب أن نستخدم القرآن ، وهو أمضى سلاح فى الاسلام ، ضد الاسلام نفسه ، حتى نقضى عليه تماما ، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح فى القرآن ليس جديدا ، وأن الجديد فيه ليس صحيحا (٢) .

(٢) راجع المصدر السابق : ص ١٥٤ . وكتاب (قادة الغرب يقولون) : دمرُوا الاسلام أبيدوا أهله : ص ٤٩ ، ٥٠ للاستاذ / جلال العالم . ط . دار الاعتصام .

فأعداء الاسلام - كما ترى - فى كثرة ونشاط ويقظة ، وبين المسلمين جهلة يؤذون الاسلام بأشد مما يؤذيه أعداؤه ، على حد قول القائل :

«لا يبلغ الأعداء من جاهل

ما يبلغ الجاهل من نفسه» (٣)

لذلك نرى ونسمع مزاعم وشبهات حول الالتزام برسم المصحف العثمانى ، وكان من المعتاد أن يكون دفاعنا عن القرآن ورسمه - هنا - أمام الشبهات التى يلفقها ويذيعها أعداؤه ، ولكن الأعداء هنا نفتوا سمومهم ، ووقفوا من ورائها يتابعون تأثيرها ، وينتظرون نتائجها على أيدي بعض المسلمين الذين يروجونها عن قصد سيء أو حسن .

وفى رأى : أن الأعداء لم يظهروا هذه المرة بالهجوم علنا - ودأبهم التلمس للثغرات - لأنهم لم يجدوا مدخلا فى هذا الموضوع للطعن ينفذون منه ، والكثير منهم أصحاب دراسات متأنية عميقة ، لا يهجمون الا فى مواطن يعتقدون فيها عدم صدهم أو دحض افتراءهم .

هذا هو حال الأعداء : لم يتقدموا علانية ، ولكنهم أرسلوا من يطعن - فى ساحة القرآن - نيابة عنهم ، وهذا هو المؤلم . حيث يعمل بعض المسلمين - دون تمعن أو دراسة - لتغيير (رسم القرآن) على ما فى ذلك من المخاطر التى تؤدى الى مسخ الاسلام ، وضياع القرآن .

فنجد منهم من يدعو الى استعمال (العامية) فى كتابة القرآن بدلا من الرسم العثمانى ، لأنه - فى زعمه - يشق على كثير من الناس ، ويوقعهم فى الحرج والالتباس ، ولا يمكنهم من القراءة الصحيحة .

ومنهم من يدعو الى كتابة القرآن بالحروف (اللاتينية) بدلا من الحروف العربية ، لان هذا - فى زعمه - يمكن الأجنب من قراءة القرآن كما أنزله الله تعالى ، ونشر اللغة العربية دوليا عن طريق قراءة القرآن وتعاليمه .

وسوف أناقش هذه المزاعم - التى ما كان ينبغى أن تصدر عن مسلم أصلا - بالأدلة العقلية والنقلية علمهم يعرفون وجه الصواب فيعودون الى رشدهم من ناحية ، وقطعا لأطماع المغرضين ، وحماية للساذجين من ناحية أخرى ، وذلك فيما يأتى :

الزعم الأول

حول كتابة القرآن بالرسم الاملائى

يقولون : « ان الرسم العثمانى يشق على كثير من الناس - ومنهم كثرة متعلمة - ويوقعهم فى الحرج والمشقة والالتباس ، ولا يمكنهم من القراءة الصحيحة ، فيحرمون الثواب الموعود به على تلاوة القرآن ، وربما يتعرضون لللاثم اذا بعدوا فى قراءاتهم - وما أسهل ذلك - عن جادة الصواب .

فتيسيرا على الناس فى قراءة القرآن ، ورفعاً للمشقة والحرج عنهم ، وتمكيناً لهم من القراءة الصحيحة المنجية من العقاب ، المؤدية للثواب . يجب أن لا نتقيد بهذا الرسم ، ولا نكتب المصاحف اليوم به ، بل نكتبها حسب القواعد الحديثة للاملاء ، ففي ذلك تسهيل على الناشئة ، وتيسير على الناس .

ثم يقولون : يجب أن تكون لدينا الشجاعة فى تنفيذ ذلك ، ولو أدى بنا الأمر الى تحقيق ثورة دينية مثل الثورة التى قادها (لوثر)

في عالم المسيحية ، وكانت هذه الثورة هي الحركة (البروتستانتية)
المعروفة « (٤) » .

ويستدلون على هذا الزعم بما يأتي :

١ - أنه ليس في الكتاب العزيز ، ولا في السنة المطهرة ، ولا في
اجماع الأمة ، ولا في القياسات الشرعية : ما يحتم التزام الرسم
العثماني (٥) .

٢ - أن هذا الرسم اجتهاد من الصحابة رسموه بخطوطهم ، وكانت
غير مستحكمة في الاجادة ، ولذلك لا يبعد أن يكونوا قد أخطأوا
بسبب حداثة عهدهم بها .

بل يقطع بعضهم بأن القرآن فعلا وقع فيه الخطأ ،
والنقص ، والاشكال . وعليه فاذا كان الغرض من كتابة القرآن
أن نقرأه صحيحا ، فكيف نكتبه بالخطأ لنقرأه بالصواب . . ؟
وما الحكمة في أن نعيد كتاب الله تعالى بخط لا يكتب به اليوم
أى كتاب ؟ !

٣ - هذه الخطوط والرسوم ما هي الا علامات وأمارات ، فكل رسم
يدل على الكلمة ، ويفيد وجه قراءتها فهو صحيح ، ويجب
تصويب الكاتب به على أى صورة كانت .

وعليه : ولوضوح دلالات الرسم الاملائي أكثر من الرسم العثماني :
ينبغي كتابة المصحف به (٦) .

(٤) راجع مناهل العرفان : ٣٩٧/١ ، ورسم المصحف : ص ١٥٧ ،
والمصحف الشريف : ص ٩٤ وفيه تصوير هذا الزعم .

(٥) انظر ص ١٩٣ من الكتاب .

(٦) انظر مقدمة ابن خلدون : ٣/٣٠٣ ، ٣٠٤ .

هذه هي أدلتهم على هذا الزعم الباطل ، ويجيبون عن النصوص التي وردت عن العلماء في وجوب اتباع الرسم العثماني - والتي سبق ذكرها - بقولهم : انما كان ذلك - النهى عن كتابة القرآن بالرسم الحديث - والعلم حى ، غض ، أما الآن : فقد يخشى الالتباس (٧) .

ونرد على هذا الزعم فنقول :

أولا : نقول لهؤلاء المغرضين وغيرهم : أن العلماء يكادون يجمعون على أنه لا يجوز حفظ القرآن الكريم من المصحف وحده ، ويشترطون تلقيه عن معلم يجيد تلاوة القرآن ، ومعرفة أحكامه ، استنادا الى فعل وقول النبي ﷺ .

فقد كان - ﷺ - يعلم الصحابة ، ويأمر المجيدين منهم بتعليمهم القرآن . روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال لابى بن كعب : (ان الله أمرنى أن أقرأ عليك) قال : الله سمانى لك ؟ فقال : (الله سماك لى) . قال فجعل أبى ييكى (٨) .

قال النووى : واختلفوا فى الحكمة فى قراءته ﷺ ، والمختار أن سببها أن تستن الأمة بذلك فى القراءة على أهل الاتقان والفضل ، ويتعلموا آداب القراءة ، ولا يأنف أحد من ذلك (٩) .

ويقول عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - : (حفظت من فى رسول الله ﷺ بضعة وسبعين سورة . .

(٧) راجع كتاب رسم المصحف : ص ١٥٩ .

(٨) الحديث : أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة ، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل : ٢٥٦/٣ من صحيح مسلم بشرح النووى .

(٩) راجع شرح النووى على صحيح مسلم : ٢٤٨/٣ .

ولقد عين رسول الله ﷺ من الصحابة من يقرأ الناس القرآن .
فقد روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن عمرو قال : (سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد
- فبدأ به - ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وسالم مولى أبى حذيفة)
وفى رواية أخرى عنه أيضاً : « استقرئوا القرآن من أربعة : من
ابن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن
جبل » (١٠) .

وقد أمر الرسول ﷺ عمرو بن حزم حين وجهه الى اليمن أن
يعلم الناس القرآن ويفقههم فيه ، وكان الرجل من المسلمين اذا هاجر
الى المدينة ، دفعه النبي ﷺ الى رجل من الحفظة ليعلمه القرآن .
كما أمر معاذ بن جبل بهذا وخلفه فى مكة بعد الفتح ليعلم قريشاً
القرآن (١١) .

لكل هذه الأدلة وغيرها أجمعت الأمة على أن من لا يعرف الرسم
المأثور ، عليه أن لا يقرأ فى المصحف حتى يتعلم القراءة على وجهها
الصحيح ، ويتعلم مرسوم المصحف .

كل ذلك لكى يتحقق اتصال السند - فى النص القرآنى - برسول

الله ﷺ .

(١٠) الحديث : أخرجه البخارى فى كتاب المناقب ، باب مناقب :
سالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنه ، الحديث : ٣٧٥٨ ، ومناقب
عبد الله بن مسعود ، الحديث ٣٧٦٠ ، ومناقب أبى بن كعب ،
الحديث ٣٨٠٨ ، راجع فتح البارى بشرح صحيح البخارى :
١٢٧/٧ ، ١٢٨ ، ١٥٨ .

(١١) . أنظر كتاب : سير أعلام النبلاء للذهبي : ٣٢١/١ .

وعليه : فادعائهم أن الرسم العثماني يشق على كثير من الناس لا يعلم لهم ، لأنه لا مشقة - طالما أن هناك معلم يعلم الناس القرآن - إلا إذا كانت هذه الكثرة تجهل مبادئ الأشياء ، وتركن إلى البطالة والكسل ، ولا تسموا همتها إلى مرضاة الله تعالى .

ثانياً : على فرض أننا كتبنا المصاحف بالرسم الاملائي الحديث ، فهل يكفي ذلك لقراءة القرآن قراءة صحيحة - كما يزعمون - من غير معلم ؟ هذا لا يكون أبداً ، لأن تلاوة القرآن في ذاتها لا بد فيها من الكيفيات الخاصة الثابتة بالرواية والنقل ، وهي لا تعرف إلا بالتلقى والتعليم ، إذ ليس في الخط ما يرشد إليها ، كالمذ والقصر ، والظهار ، والادغام ، والاختفاء ، والروم ، والاشمام ، والابدال . الخ مما لا يمكن معرفته بالكتابة وحدها ، بل لا بد فيه من التلقين عن المجيدين لفن القراءة .

لذلك لم يكن غريباً أن يكون الاكتفاء بالأخذ من المصحف بدون موقف أمراً لا يجيزه المسلمون ، ولو كان المصحف مضبوطاً ، بل انهم يعدون هذا الاكتفاء منافياً للدين ، لأنه ترك للواجب ، وارتكاب للمحرم . وهم يذهبون إلى هذا بناء على :

- ١ - أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، كما هو مقرر في الأصول .
- ٢ - أن صحة السند عن النبي ، عن روح القدس ، عن الله - عز وجل - بالصفة المتواترة أمر ضروري للقرآن (١٢) .

ويقول ابن حجر : « اعلم أن كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج ، ومد ، وادغام ، واختفاء ، وظهار ، وغيرها وجب تعلمه وحرمة مخالفته » (١٣) .

(١٢) انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن : ص ١٠٩ .

(١٣) المصدر السابق .

ويقول السيوطى : « ولا شك أن الأمة - كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن واقامة حدوده - هم متعبدون بتصحيح ألفاظه ، واقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية » (١٤) .

ولعل قوله : (على الصفة المتلقاة . الخ) أن يكون صريحا - فيما يرى علماء القرآن - من أنه لا يكفى الأخذ من المصحف بدون تلق من أفواه المشايخ المتقنين .

وابن الجزرى فى تعريفه للمقرئ يقول : انه العالم بالقراءات رواها مشافهة ، فلو حفظ (التيسير) مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه ان لم يشافهه (من شوفه به) ، مسلسلا ، لأن فى القراءات أشياء لا تحكم الا بالسمع والمشافهة (١٥) .

لذلك لا يعتد أبدا بالأخذ من المصاحف المكتوبة بدون معلم ، لما قد يقع فى ذلك من تصحيف يتغير به وجه الكلام ، وهم يقولون : لا تأخذ القرآن من مصحفى ، ولا العلم من صحفى (١٦) . ومن أقوالهم : (من أعظم البلية تشيخ المصحف) أى أن يتعلم الناس من الصحف . وكان الشافعى يقول : من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام (١٧) .

(١٤) الاتقان فى علوم القرآن : ١٣٢/١ .

(١٥) انظر : منجد المقرئين له : ص ٦١ .

(١٦) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : ص ١٠ لأبى أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد .

(١٧) الجمع الصوتى للقرآن : ص ١٠٧ .

وقال الشاعر :

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة

يكن عن الزيغ والتحريف فى حرم

ومن يكن أخذاً للعلم من صحف

فعلمه عند أهل العلم كالعدم (١٨)

ثالثاً : أن الناظر للمصاحف العثمانية - بعد تقدم فن الطباعة فى العصر الحديث - يجد أنها ضبطت بالشكل التام ، ووضعت علامات مخصوصة تدل على الحروف المحذوفة التى ينطق بها ، وأمارة معينة تدل على الحروف الزائدة التى لا ينطق بها ، وزيلت ببيانات ارشادية تيسر للناس - الى حد ما - قراءة الكلمات المخالفة للرسم الاملائى ، حتى ألف الناس القراءة فى هذه المصاحف ، ومروا عليها من غير حرج ولا مشقة .

كما أن رسم المصحف لا يخالف قواعد الاملاء الا فى كلمات معينة وقليلة لا تصعب على أحد - اذا لقنها ، وما أسهل وسائل تلقى القرآن ، أو كتبت له فى الهامش بالرسم الاملائى - أن ينطق بها صحيحة .

وقد نصت لجنة الفتوى بالأزهر على أن ينبه فى ذيل كل صفحة على ما يكون فيها من الكلمات المخالفة للرسم المعروف ، والاصطلاح المألوف (١٩) .

وهذا ما فعله الشيخ / عبد الجليل عيسى فى المصحف الذى قام بطبعه وفقاً لهذه الفتوى ، وفيه وضع كل كلمة تخالف الرسم الاملائى المعتاد رقماً ، ووضع هذا الرقم فى هامش نفس الصفحة الكلمة مكتوبة بالرسم المعتاد (٢٠) .

(١٨) أقلام مسمومة تهاجم الاسلام : ص ١٥٩ .

(١٩) مناهل العرفان : ٣٩٨/١ .

(٢٠) انظر المصحف الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى .

أضف الى ذلك : ما تقوم به الآن الاذاعات - الكثيرة - المسموعة والمرئية فى برامجها المختلفة بعامه ، واذاعة القرآن الكريم - من القاهرة - بخاصة من اذاعة القرآن الكريم مرتلا ومجودا ، واذاعة برامج تعليم القرآن ، وأحكام التلاوة ، وذلك بواسطة مشاهير القراء المجيدين لفن القراءة والتجويد .

كل ذلك يجعل مسألة قراءة القرآن - بالرسم العثمانى - ليس فيها من المشقة - كما يزعمون - ، ولا تستحق شجاعة (مارتن لوثر) كما يقولون ، الا اذا كانوا يريدون من وراء ذلك هدم الاسلام وطمس معالمه .

رابعاً : أن الرسم العثمانى أشبه بالرسم العام الذى يجمع الأمة على كتابة كتاب ربها فى سائر الأعصار والامصار ، كما أن اللغة العربية هى اللسان العام الذى يجمع الأمة على قراءة كتاب ربها فى سائر الأعصار والامصار . وما يكون لنا أن نفرط فى أمر هذا شأنه يجمع الشتات ، وينظم الأمة فى سلك واحد لا فرق بين ماضى وحاضر وآت (٢١) .

خامساً : قولهم : (ليس فى الكتاب العزيز ، ولا فى السنة المطهرة ، ولا فى اجماع الأمة ، ولا فى القياسات الشرعية : ما يحتم التزام الرسم العثمانى) . قد تمت مناقشته عند مناقشة أدلة القائلين بأن رسم المصحف اصطلاحى ، بما يغنى عن اعادته .

سادساً : قولهم : هذا الرسم اجتهاد من الصحابة ، وقد أخطأوا فيه بسبب حداثة عهدهم بالكتابة . قد تمت مناقشته أيضا ، ولا داعى لاعادته . فارجع الى هذا وذاك ان شئت (٢٢) .

(٢١) مناهل العرفان : ٣٩٨/١ .

(٢٢) راجع : ص ١٩٥ - ٢٠٠ من الكتاب .

وثضيف الى ما ذكر هناك ما يأتى :

١ - أن اختلاف رسم المصحف عن الرسم الاملائي ليس منشؤه الخطأ بالنسبة الى خطوطنا - كما يزعمون - بل هو رسم ، وما نكتب به رسم آخر ، وان كانا لا يختلفان كثيرا ، ولم يأت لنا أصحاب هذه المزامم - ولن يتسنى لهم ولا لغيرهم أن يأتوا - بدليل واحد يثبت خطأ الصحابة فيما كتبوه ، أو يثبتون صحة زعمهم عليهم بالخطأ فى ذلك .

٢ - وأما عدم كتابة أى كتاب اليوم بخط المصحف ، فلا يصح دليلا على تخطئة رسمه ، لأن غير المصحف يكتب على ما وضع علماء البصرة والكوفة من قواعد للكتابة العادية ، والمصحف يكتب على نهج خاص ، وطريقة خاصة ، تعرف من علم خاص بها يسمى (علم رسم المصحف) ، وقد أشرنا الى سمات هذا الرسم ، وأهم الكتب التى ألفت فيه .

وعدم ترك هذه الطريقة التى أقرها النبى ﷺ ، وأجمعت عليها الأمة ، والتزمت بها الأجيال جميعا خلفا عن سلف ، أو عدم كتابة أى كتاب غير المصحف على نمطها ، لا يعد مطعنا فى هذا الرسم ، ولا ممدخلا لتخطئته .

٣ - وأما الحكمة من تقييد المصحف بهذا الرسم : فكان يمكن لكل متشكك أن يعرفها من خلال معرفة فوائد هذا الرسم ، وموجبات اتباعه ، وهى مشهورة وواضحة .

ومن ذلك أن لا يعتمد القارئ على المصحف - وحده - بل لا بد له أن يأخذ القرآن من أفواه الرجال الآخذين عن رسول الله ﷺ بالسند العالى (٢٣) .

كما أن إخضاع المصحف لمصطلحات الخط الحديثة ربما يجبر الى فتنة أشبه بالفتنة التي حدثت في عهد عثمان رضى الله تعالى عنه ، والتي حملته على جمع القرآن ، وكتابة المصاحف ، إذ ربما يقول بعض الناس لبعض ، أو بعض الشعوب لبعض - عند اختلاف قواعدهم فى رسم المصحف - : رسمى خبير من رسمك ، أو مصحفى خير من مصحفك ، أو رسمى صواب ورسمك خطأ ، وقد يجبر ذلك الى أن يؤثم بعضهم بعضا ، أو يقاته بعضهم بعضا ، ومن المقرر شرعا : أن درء المفساد مقدم على جلب المصالح (٢٤) .

سابعاً : وأما قولهم : هذه الخطوط والرسوم ، ما هى الا علامات ، وأمارات ، فكل رسم يدل على الكلمة ، ويفيد وجه قراءتها وهو صحيح . . . الخ .

فنقول : لا يمكن أن نسلم لهم بصحة ما يقولون ، لأن بعض الكلمات تكون دلالاتها على المعانى أوضح عندما تكتب بالرسم العثمانى عنها لو كتبت بالرسم الاملائى - وذلك عكس ما يقولون - والبعض الآخر تكون دلالاته متساوية الوضوح على المعنى فى الرسمين الاملائى والعثمانى .

وبيان ذلك : أن الكلمات التى يستوى معناها فى الرسمين ، هى الكلمات التى لا يختلف رسمها فى هذا عن ذلك ، وأكثر كلمات القرآن من ذلك النوع .

أما بعض الكلمات التى يكون لها دلالات أكثر فى الرسم العثمانى ، منها فى الرسم الاملائى ، فهى الكلمات التى برسمها يتميز الرسم العثمانى عن غيره ، وهى التى تسجل له فوائده بالاضافة الى ذلك فهى تحمّل برسمها هذا من القراءات أكثر مما لو رسمت بالرسم الاملائى .

ومثال ذلك : كلمة (مالك) فى قوله تعالى : « مالك يوم الدين » (٢٥) ، فقد رسمت فى جميع المصاحف بدون ألف (ملك) ، وذلك لتحتمل ما فيها من قراءات . حيث قرأها عاصم ، والكسائى ، وكذا يعقوب ، وخلف : بالألف مدا (مالك) ، على وزن (سامع) اسم فاعل من ملك ملكا بالكسر . وقرأها الباقون : بغير ألف (ملك) على وزن (سمع) صفة مشبهة ، أى قاضى يوم الدين (٢٦) .

ومثل كلمة (مساجد) فى قوله تعالى : « ما كان للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله » (٢٧) . فقد رسمت فى جميع المصاحف بدون ألف (مسجد) ، وذلك لتحتمل ما فيها من قراءات . حيث قرأها ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وابن محيىن ، واليزيدى بالتوحيد والمراد : (المسجد الحرام) . وقرأها الباقون : بالجمع (مساجد) ، أى جميع المساجد ، ويدخل فيها المسجد الحرام دخولا أوليا (٢٨) .

ومثل كلمة (لائبين) فى قوله تعالى : « لائبين فيها أحقابا » (٢٩) ، فقد رسمت فى المصحف بدون ألف بعد اللام (لبئين) ، وذلك لتحتمل ما فيها من قراءات ، حيث قرأها حمزة ، وروح : بلا ألف ، بحمله على الصفة المشبهة ، وهى تدل على الثبوت . فاللبث الذى صار له اللبث سجية كحذر وفرح . وقرأها الباقون : بالألف اسم فاعل من لبث ، بمعنى أقام (٣٠) .

(٢٥) سورة الفاتحة آية : ٤ .

(٢٦) اتحاف فضلاء البشر : ص ١٢٣ .

(٢٧) سورة التوبة آية : ١٧ .

(٢٨) النشر فى القراءات العشر : ٢٧٨/٢ ، واتحاف فضلاء البشر : ص ٢٤٠ .

(٢٩) سورة النبأ آية : ٢٣ .

(٣٠) راجع : اتحاف فضلاء البشر : ص ٤٣١ .

فهذه الكلمات فى الأمثلة الثلاثة - وغيرها كثير - لو رسمت حسب الرسم الاملائى لضاعف علينا هذه القراءات المتواترة التى ذكرت . وبذلك يضيع أجزاء من القرآن .

اذن : فإى الرسمين أوضح فى الدلالة على المعانى بعد معرفة ذلك ؟ وكيف تكون دلالة الرسم الاملائى أوضح ؟! بل كيف يستوى الخيطان من حيث أنهما علامتا ورموز ٠٠ ؟!

وإذا سلمنا لهم - جدلا - بتساوى الرسوم ، فلم نترك هذا الرسم الذى أقره النبى ﷺ ، والذى أجمعت عليه الأمة الى غيره مما ابتكره الناس ، وما قد تتمخض عنه الايام بعد . وسنة الحياة التغيير ، وقد عرفنا ما يترتب على ذلك من المضار والمفاسد .

ثامنا : وأما عن اجابتهم عن النصوص التى ذكرها العلماء ، للتدليل على وجوب اتباع رسم المصحف العثمانى بقولهم : (ان ذلك النهى كان والعلم حى ، غض ، أما الآن فقد يخشى الالتباس) .

فنقول لهم : أيخشى الالتباس فى تلاوة القرآن برسم يتلى منذ أربعة عشر قرنا من الزمان الى اليوم ، والله تعالى حافظه من التحريف والتبديل الى يوم الدين (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ، ولا يخشى التغيير والتبديل - واحتمال التحريف - فيه ، اذا كتب القرآن على قواعد الاملاء العادى ، التى لم يتفق عليها واضعوها ؟! أم أن ذلك التعليل ، والالاحاح فى طلب التغيير بسبب حمى التجديد - بحق أو بغير حق - التى أصابت هذا العصر ؟!

والغريب هنا : أنهم يطالبون بهذا المطلب ويلحون فيه ، ولو أدى بهم الأمر - كما يقولون - الى قيام ثورة مثل ثورة (لوثر) ، وفاتهم أن أسيادهم - الذين يسبحون بحمدهم - لم يسمحوا لطابع ما ، ولا لناشر كائنا من كان أن يكتب اشعار (شكسبير) بغير لغة العصر الذى

عاش فيه ، مع تغيير كثير من كلماته ، وطرق املائه عن المعهود المتداول فى عصر الشاعر المذكور .

لم يسمح الانجليز بهذا ، لان الشاعر المذكور ، أصبح فى نظرهم مقدسا ، لا يجوز المساس به ، حتى فى طريقة املائه (٣١) .

ومرة أخرى حاول بعض علماء اللغة من الانجليز ادخال بعض الاصطلاحات فى الرسوم الكتابية ، فاقترحوا حذف الحروف غير المنطوقة - وهى كثيرة - فرفض مجلس العموم البريطانى ذلك الاقتراح ، وندد به ، وشدد على التمسك بما هو قائم (٣٢) .

أفلا يجدر بالمسلمين ، وهم يقدسون كتاب ربهم ، أشد من تقديس الانجليز لشاعرهم - ورسم لغتهم - أن يحافظوا على رسم المصحف الشريف ، وعلى لغة القرآن ، ويحاربون العمية بكل صورها وأشكالها سواء فى الكتابة أو الكلام بها .



(٣١) رسم المصحف : ص ١٦٩ ، والمصحف الشريف : ص ١٠٣ .
(٣٢) رسم المصحف : ص ١٧٠ نقلا عن مجلة الأزهر : ٤٩٢/٥ - ٤٩٨ لسنة ٤٣ .

الزعم الثانى

حول كتابة القرآن بالحروف اللاتينية

اقترح الأستاذ عبد العزيز فهمى كتابة القرآن - والعربية كلها - بالحروف اللاتينية ، وتقدم بهذا الاقتراح الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٤١/٢/٢ م ، والذى طالب فيه بأن تكتب اللغة العربية والقرآن بالحروف اللاتينية . وقد اعترض أعضاء المجمع على هذا الاقتراح حتى اندثر ، وطواه النسيان .

وكان يمكن أن يغنى عن مناقشة هذا الاقتراح عدم نجاحه ، واعتراض أعضاء المجمع عليه . أو مناقشة أستاذنا الدكتور عبد الحى الفرماوى فى كتابه « رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين » (١) ، والرد عليه . وهذا ما كان يجول فى خاطرى .

الا أن الذى دفعنى الى مناقشة هذا الاقتراح من جانبى ، أنى وجدته قد ولد من جديد ، حيث اقترح الأستاذ لبيب على الجمال - مرة أخرى - كتابه القرآن الكريم بالحروف اللاتينية ، بدلا من الحروف العربية ، معتقدا أن هذا المشروع يحدد أهدافا سامية - على حد زعمه - أهمها : (توحيد كلمات الله تعالى كما أنزلت ، وتمكن الأجانب ، من قراءة القرآن كما أنزله الله ، ونشر اللغة العربية دوليا عن طريق قراءة القرآن وتعاليمه . .) .

وقدم نموذجا لكتابة سورة (الفاتحة) بالحروف اللاتينية يمكن قراءته على النحو التالى :

(١) من ص ١٨٠ - ٢٠٣ والكتاب عبارة عن بحث تقدم به فضيلته لكلية أصول الدين بالقاهرة لنيل درجة (الدكتوراة) فى التفسير وعلوم القرآن .

« بسم الله أرهمن آل رهم • الهمد لله رب ال الآمن • ال رهمن
ال رهم • ملك ييوم ال دن • اياك نابود واياك نستين • اهدن ال سرت
المستكم • سرت اللزين أنمت اليهم غير المغدوب اليهم ولا الدالن •
أمن » (٢) •

عند ذلك عرفت أن الأعداء لا يتوانون فى حرب الاسلام بكل
ما أوتوا من قوة ، فكلما انكسر لهم سهم انتضوا له سهما آخر ، حتى
وجدوا لهم - من أبناء أمتنا - أذانا صاغية ، وفئات متعلمة تعلمنا
مدنيا ، تأثروا بدجلهم ، ثم رضوا أن يكونوا أبواقا لهم ، يرددون
شبهاتهم ، ويطلقن دخانها على أبناء أمتنا فى المطبوعات والأندية
والمجالس وغير ذلك •

لهذا كان من واجبنا أن نحشد قوانا لتطهير الجو الاسلامى من
هذه الجرائم الفتاكة ، والمطاعن الجارحة الهدامة ، وناقش هذا الاقتراح
من جديد فنقول :

من المجمع عليه أنه لا يجوز قراءة القرآن الكريم بغير اللغة
العربية ، لا فى الصلاة ولا فى خارجها ، لأن الله تعالى أنزله قرآنا
عربيا ، قال تعالى : « انا انزلناه قرآنا عربيا لعلمك تعقلون » (٣) •
وقال تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلمك تعقلون » (٤) ،
وقال تعالى : « نزل به الروح الامين • على قلبك لتكون من المنذرين •
بلسان عربى مبين » (٥) •

وركنا القرآن اللفظ والمعنى معا ، فاذا قرأ بغير العربية لا يسمى

(٢) انظر : كتاب (أقلام مسمومة) ص ١٥٢ •

(٣) سورة يوسف آية : ٢ •

(٤) سورة المزخرف آية : ٣ •

(٥) سورة الشعراء الآيات : ١٩٣ = ١٩٥ •

قرآنا . وما روى عن الامام ابي حنيفة أنه جوز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة للعاجزين عن العربية . قد نقل بعض المحققين من أتباعه أنه رجع عنه . وبذلك صار الأمر اجماعاً من الفقهاء (٦) .

وكما لا يجوز قراءة القرآن بغير اللفظ العربى المبين الذى نزل به ، لا يجوز - أيضا - بالاجماع كتابته بغير الحروف العربية ، لا باللاتينية ولا بغيرها من اللغات ، لأن القرآن عربى فى لفظه ، وعربى فى حروفه وكتابته .

ورسم القرآن - كما ذكرنا سابقا - توقيفى ، وسنة متبعة ، لأن الرسول ﷺ والصحابة من بعده لما كتبوا القرآن لم يكتبوه الا بالحروف العربية ، وهذا اجماع لا تجوز مخالفته .

ورغم ذلك فاننا نجد عبد العزيز فهمى يقترح على المجمع اللغوى لعلاج مصيبة الرسم العثمانى - كما يزعم - أحد أمرين أو هما معا :

الاول : أن تجعل كل بلد عربية من لهجتها العامية لغة مستقلة ، قائمة بذاتها ، لها نحوها وصرفها ، وتكون هى المستعملة فى الكلام الملفوظ ، وفى الكتابة معا (٧) .

الثانى : أن تكتب العربية بحروف لاتينية ، والقرآن معها كذلك . ثم يقول : ان هذا الرسم على ما فى مظهره - الآن - من جمال ، لهو علة العلل ، وأس الداء ، ورأس البلاء . انه سرطان أزمن فشوه منظر العربية ، وغشى مجالها ، ونفر منها الوالى القريب ،

(٦) المدخل لدراسة القرآن الكريم : ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ عن كتاب : حدث الاحداث فى الاسلام الاقدام على ترجمة القرآن .

(٧) رسم المصحف : ص ١٨٩ ، وكتاب (تيسير الكتابة العربية) : ص ٣٠٢ .

والخاطب الغريب . وانى اذ اقول (سرطان) فانى اعنى ما اقول ،
لانه كالسرطان حسا ومعنى (٨) .

وهذا الكلام الذى يقوله ذلك المأجور ، لا ينطبق بحسب الواقع
على رسم القرآن ، بل ينطبق عكسه ، اذ لم يشوه هذا الرسم منظر
العربية - كما يدعى - ، ولم ينفّر هذا الرسم أحدا من العربية ، وان
حاول عبثا ادعاء ذلك ، لأن القرآن الكريم - برسمه العثمانى - هو
الذى وحد بين المسلمين فى اللسان ، كما وحد بينهم فى العقيدة والشريعة ،
وبفضل القرآن كان المسلمون على اختلاف أجناسهم ولغاتهم يتكلمون
اللغة العربية من المحيط الى المحيط ، بل من الفرس والرومان وغيرهم
من أجاد اللغة العربية اجادة الخالص لها ، ومؤلفاتهم التى لا يحيطها
الحد ولا يحصيها العد (٩) أكبر دليل على هذا ، وهذا لم يكن لغير
القرآن ، وهو سر من أسرار الاعجاز والبيان ، وصدق الله العظيم
القائل : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر » (١٠) .

والحق أيضا أن القرآن ولغته يمكنان كل منهما للاخر دائما :
فالقرآن يهذب العربية ألفاظا ، وأغراضا ، وعبارات ، وأفكارا ،
ويقوى سلطانها منطوقة ومكتوبة .

يقول بروكلمان : « بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى
لا تكاد تعرفه أية لغة أخرى من لغات الدنيا . والمسلمون - جميعا -
يؤمنون بأن العربية هى وحدها اللسان الذى أحل لهم أن يستعملوه

(٨) انظر كتاب رسم المصحف : ص ١٨٩ نقلا عن كتاب (الحروف
اللاتينية) ص ٧ .

(٩) ولعل البخارى ، والترمذى ، وابن جرير الطبرى ، والقرطبى ،
والفيروزآبادى وغيرهم أوضح مثال على ذلك .

(١٠) الآية تكررت فى سورة القمر أربع مرات : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ .

فى صلواتهم ، وبهذا اكتسبت العربية - منذ زمان طويل - مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التى تنطق بها شعوب اسلامية» (١١) .

كما أننا نجد كثيرا من اللغات ترسم كلماتها بهذا الرسم العربى ، الذى به رسم المصحف الشريف ، والذى يصفه المقترح بأنه منفر .

فهؤلاء المتحدثون بالحشية - مثلا - فى (هرر) يكتبون الحشية بهذا الرسم ، بل ويدخلون فى لغتهم عددا من الألفاظ العربية . وكأنهم بذلك يريدون أن يثبتوا ارتباطهم بالعالم الإسلامى ، وتميزهم عن الأحباش المسيحيين من حولهم (١٢) .

هكذا حال المسلمين فى الحبشة ، والمقترح يريد أن نقطع - كتابة - عن العالم العربى الإسلامى كما فعلت (تركيا) وأن نكون - كتابة - كالمسيحيين .

ثم يقول المقترح أيضا : « أقرر أنى لست مكلفا باحترام رسم القرآن ، ولست ألغى عقلى لمجرد أن بعض الناس ، أو كلهم يريدون الغناء عقولهم ، ولا يميزون بين القرآن العظيم ، كلام الله القديم ، وبين رسمه السخيف ، الذى هو من وضع الوثنيين القاصرين » (١٣) .

وهذا الكلام الذى يقوله ذلك المتطاول على رسم كتاب الله تعالى لا يساوى الرد عليه . لأن اتباع هذا الرسم ليس الغناء للعقل - كما يزعم - بل هو عين العقل الناضج الواعى .

كما أن هذا الرسم ، وإن كان من وضع الوثنيين - كما يزعم -

(١١) موجز فى علم اللغات السامية (بالفرنسية) ص ٤١ ، ٤٢ ،
نقلا عن : عثمان أمين : فلسفة اللغة العربية : ص ١٠٥ ، ١٠٤ .
الجمع الصوتى الأول : ص ٣٧٦ .

(١٢) اللغة العربية عبر القرون : ص ١٢ ، ١٣ .

(١٣) الحروف اللاتينية : ٢٣ ، ٢١ .

فلم يحكم أحد بسخافته - سواه - وهو حكم لا ينطبق الا على كلامه هو ، وذلك لما يأتى :

١ - لو كان هذا الرسم سخيفا ، كما يزعم - لما رضىه الله تعالى لرسم كلماته ، وكان قادرا على أن يعلمهم رسما آخر ، لكنه سبحانه رضىه لهم ، ولم يوفقهم لتعلم سواه . فثبت عدم سخافته .

٢ - لو كان هذا الرسم سخيفا - كما يزعم - لما أقر الرسول ﷺ كتاب الوحي عليه ، لأنه لا يقر على خطأ ، وهو قد أقرهم عليه ، فثبت بذلك عدم سخافته .

٣ - لو كان هذا الرسم سخيفا - كما يزعم - لما أجمعت عليه الأمة ، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة ، لكنها أجمعت عليه ، والتزمت به أربعة عشر قرنا من الزمان - حتى اكتشف ذلك المأجور أن هذا الرسم سخييف - فثبت بذلك عدم سخافته .

ثم يقول - أيضا - معللا اقتراحه الهدام :

١ - أن الله تعالى لم ينزل به من سلطان ، ولم يفرض علينا التعبده له برسم القرآن .

٢ - أن صورة هذا الرسم التى كانت فى عهد عثمان بن عفان - رضى الله تعالى عنه - وكتب بها المصاحف ، كانت صورة بدائية ، سقيمة ، قاصرة ، خيف من سقمها وقصورها أن تضلل المسلمين فى قراءة القرآن . فسارع الخليفة عبد الملك بن مروان . الخ ما يذكر من مراحل النقط والشكل .

٣ - ولأن رسم القرآن وثنى ، لأنه منقول عن النبطيين - كما قال المستشرقون - حيث يقول : (اذا كانت الحروف العربية وثنية ، منقولة مباشرة عن الوثنيين . فان اللاتينية : انما أنقلها عن

النصارى ، وهم أهل كتاب ، أقرب إلينا نحن المسلمين من الوثنيين .

ونرد على هذه المزاعم فنقول :

أولاً : لقد عرفنا - فيما سبق - أن جمهور العلماء ذهبوا إلى أن رسم المصحف توقيفى ، وأنه ليس للصحابة ولا لغيرهم دخل فيه . وذكرنا الأدلة والبراهين الدالة على ذلك ، وهذا يكفى للرد على تعليله الأول .

ثانياً : وأما عن تعليله الثانى فنقول : لم يكن الشكل ، أو النقط قد وضع ليعالج صورة الرسم القاصرة ، حتى لا تضلل المسلمين - كما يزعم - وإنما وضعه العلماء لحماية الرسم من لحن الناس فى القرآن ، الذى فشا وانتشر بدخول كثير من الأعاجم فى الاسلام ، ودخلت العجمة على اللسان العربى ، وليس حماية للناس من عيب فى الرسم .

وهذا يفهم من تعليق زياد بن أبيه لأبى الأسود الدؤلى عندما أراد منه تشكيل المصحف عن طريق النقط حيث قال : « يا أبا الأسود ان هذه الحمراء قد كثرت ، وأفسدت من لسان العرب ، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ، ويعربون به كتاب الله » (١٤) . ولم يقل له يا أبا الأسود : اعرب كتاب الله ، حتى لا تعجز الحمراء كتابته ، ويفسد لسان العرب رسمه .

ويقول الدكتور عبد الحى الفرماوى : ان النقط والشكل كان معروفاً ، ولكن العرب لم يستعملوه ، لصفاء قريحتهم ، وسلامة سليقتهم ، وعندما عدا اللحن - نتيجة الاختلاط بالأعاجم - على فصاحة سنتهم ،

(١٤) المحكم فى نقط المصاحف لأبى عمرو الدانى : ص ٣ . تحقيق : د/ عزة حسن ، طبعة دمشق ، ١٩٦٠ م .

سارعوا الى حماية النص القرآنى بصفة خاصة ، واللغة العربية بصفة عامة من عدوان هذا اللحن والتحريف ، باحياء النقط والشكل (١٥) .

ثالثا : وأما عن تعليله الثالث : بأن رسم القرآن وثنى فنقول :
ألا يكفى لكى نحترم هذا الرسم - حتى ولو كان وثنيا كما يزعم - أن الله تعالى ارتضاه ، وأنزل كلامه بلغة هذا رسمها ، بل وكتب بها القرآن . وأن الرسول ﷺ قد أقر كتاب الوحي على هذا الرسم ، وهو يعلم أنه الرسم الذى كان يستعمله الوثنيون . وأن الأمة قد أجمعت عليه منذ كتب به القرآن الكريم حتى يومنا هذا ؟!

أختار الله تعالى ، ونعدل نحن عن اختياره ؟! ويقر رسول الله ﷺ كتابه على هذا الرسم ، ونعدل نحن عن اقراره ؟! وتجتمع الأمة المعصومة على هذا الرسم ، ونعدل نحن عنه ، ونعمل على هدم هذا الاجماع ؟! نعوذ بالله من ذلك .

فالمسألة - هنا - ليست مسألة أخذ عن الوثنيين أو النصرانيين ، بل هى التزام بما ارتضاه الله تعالى لرسم كلماته . والالتزام بما أقر الرسول ﷺ كتابه عليه . والالتزام بما أجمعت الأمة عليه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

ثم يقول متسائلا : أما كيف أريد أن أرسم القرآن ؟ ويجيب على نفسه فيقول : « اذا كان أول ما يهمنى ، هو المحافظة على سلامة أداء القرآن ، فرأى بالبداهة ، انما هو رسم القرآن بهذه الحروف اللاتينية ، وما أضيف اليها من العربية » .

ثم يقول : وانى أعالنك بهذا مطمئن الضمير ، مراقبا الله - تعالى - وحده ، فيما أقول ، وما أعالن به (١٦) .

(١٥) رسم المصحف : ص ١٩٣ .

(١٦) الحروف اللاتينية : ص ٢٥ .

ونرد على هذا فنقول :

أولاً : هذا ما يقوله هو عن اقتراحه ، وليس كل ما يقال يراد ،
انما الذى يهمه ويريده - ذلك المستغرب - هو تنفيذ اقتراحه (كتابة
العربية ، والقرآن الكريم بالحروف اللاتينية) .

وليس فى ذلك - من قريب أو من بعيد - محافظة على سلامة
القرآن - كما يزعم ذلك المأجور - لأن الحروف اللاتينية لا تستطيع
أن تؤدى جميع أصوات الحروف العربية وذلك لخلوها من الحروف
العربية : الحاء ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والعين ،
والقاف (١٧) .

ثانياً : ما هى السلامة التى يتسنى معها أداء القرآن - كما
يزعم - وتجعله مطمئن الضمير فى تنفيذ هذا الاقتراح ؟ ! وهو يعرف
أن الحروف اللاتينية ما هى الا عملية تشويه للنطق القرآنى ، بحيث
لا يمكن أن يبقى معها - القرآن - لا عربياً ولا قرآناً ، وانما يتحول
الى أصوات مبهمه ، لا يفهمها أحد من العرب فضلا عن الأجانب .

وليس أدل على ما نقول من هذا النموذج لسور الفاتحة ، الذى
ذكره الأستاذ لييب الجمال بالحروف اللاتينية ، والذى يمكن قراءته
على النحو التالى :

« بسم الله أرهمن ال رهم - الهمد لله رب ال الأمن ال رهمن
ال رهم • ملك ياهوم ال دن • اياك نأبود واياك نستين • اهدن ال سرت
المستكم • سرت الزين أنمت اليهم غير المغدوب اليهم ولا الدالن •
أمن » (١٨) .

(١٧) انظر كتاب : (أقلام مسمومة) : ص ١٥٦ .

(١٨) انظر كتاب أقلام مسمومة : ص ١٥٢ .

فان المطالع لهذه الكلمات - لسور الفاتحة - لم يجد فيها كلمة واحدة سقيمة من التحريف والتشويه . فاين السلامة - اذن - التى يتسنى معها أداء القرآن ؟

اذن ما هو الدفاع الذى يجعل ذلك المستغرب مرتاح الضمير بعد ذلك ؟

١ - أهو مراقبة الله تعالى فى المحافظة على سلامة أداء القرآن الكريم كما يدعى ؟ انه - والحق يقال - ليس ذلك أبدا .

٢ - أم هو محاكاة الترك فى نبذ الرسم العربى ، بما فى ذلك رسم المصحف . . . ؟

ان كان ذلك هو الدافع : فان الأستاذ على الجارم قال : « لست أرى ما فعله الترك ، وجهها للعدول عن الرسم العربى ، لأن الترك لم يهجروا كتابتهم ، كما يراد أن يفعل بنا ، بل تركوا كتابة العربية ، وهى ليست كتابتهم . ولأن للترك ميلا لتنقية لغتهم من كل ما هو عربى ، فنحن لا نقيس أنفسنا بالترك ولا بغيرهم » (١٩) .

٣ - أم أن الدافع : هو الانسياق فى الاتجاه المعادى للخط العربى ، واللغة العربية ، والقرآن الكريم ، وقد اندفع - ذلك المستغرب - فى هذا التيار بحسن نية ، أو نتيجة فهم خاطيء ، أو تحت تأثير قوى خارجية تضرر العداء للإسلام والمسلمين .

اعتقد أن الأخير هو الدافع ، ولعل ما يؤيد ما نقول ، ما ذكره المقترح لبيب الجمال - ترويجا لمقترحه - من أن هناك هيئة دولية

قررت الأسهم فى هذه المحاولة بمليون دولار ، هذه الهيئة هى :
« هيئة التمويل الدولية التابعة للبنك الدولى للإنشاء والتعمير » (٢٠)
ولعل للصهيونية ودعاة الاتحاد والتنصير يدا فى هذا الاتجاه .

وبعد أن وصلت ذلك المأجور ورود العلماء المخلصين الغيورين
معتزضة على مزاعمه وسخافاتة هذه فيقول : « اذا هب الهبابون صائحين
قائلين : ان هذا حرام لمخالفته اجماع المسلمين الذين تواضعوا على
رسم القرآن بالحروف العربية . فأقل ما يجب به هؤلاء الهبابون :

أولا : أن المسلمين قد خرقوا الاجماع ثلاث مرات حينما وضعوا
الشكل والنقط . ولست أعترض عليهم فى خرق الاجماع ثلاث مرات ،
فانهم انما أرادوا الاصلاح ما استطاعوا ، والاجماع الفاسد لا حجة
فيه على أحد من المسلمين ، وأنا أيضا أريد الاصلاح ما أستطيع ،
فأبدل الحروف اللاتينية من الحروف العربية ، وأكفى الناس سوء رسم
العربية ، الذى يشكو منه الناس أجمعون .

ثانيا : ان الاعتراض بمسألة (الاجماع) هو تكأة العاجزين ،
وهم أناس مقلدون ، غلف العقول ، اذا صرعهم الحق للموا أشلاءهم ،
وهرولوا لاجئين الى قدس الدين ، والدين فى قداسته - كما يعرفه
رجالہ المحترمون - لا شأن له برسم كتابة العربية . وهم فى كل حركة
وسكينة هكذا يفعلون ، ترهيبا للبسطاء ، وايهاما بخدا باسم الدين ،
والله يشهد انهم لكاذبون .

ثم يواصل كلامه عن الاجماع ، وكيفية نشأته ، ومنزلته من
الدين - كما يراها هو - الى أن يقول : « هذا هو الاجماع لا يجوز
البتة أن يعطل مصلحة من مصالح المسلمين ، بل انه اذا كشفت ظروف

الأحوال عن ضرره بالجموع ، وكان فى اطراحه والاستبدال به خير للمسلمين ، فان واجب الحاكم الشرعى أن يأمر باطراحه ، والاستعاضة عنه من الأنظمة والأحكام بما يحقق مصلحة الاجتماع . وإلى هذا أشاروا الى قواعد منها : (الضرورات تبيح المحظورات) « .

وأخيرا يقول : « هذا هو مركز الاجماع الذى يقولون عنه عند المسلمين ، واذا كانت طريقتى فى رسم العربية ، ورسم القرآن تزيل الضرر ، وتحقق مصلحة المسلمين تمام التحقيق ، فأعفى من زيادة الكلام فى وهانة هذا الاعتراض » (٢١) .

ونرد على جوابه الاول فنقول :

اولا : لم يقل أحد من العلماء على الاطلاق بخرق الاجماع - كما يدعى ذلك المستغرب - حينما وضع الشكل والنقط ، وقد كان يصح له ذلك الادعاء ، لو أن هناك اجماع سابق على المنع من الشكل والنقط ، ولكن ذلك لم يكن موجودا ، فلا يصح - اذن - أن نسمى ما فعلوه خرقا للاجماع .

هذا : وقد كان الموجود بالفعل كراهة بعض العلماء لوضع الشكل والنقط فى المصاحف ، وذلك حماية للنص القرآنى ، فلما فشا اللحن فى ألسن الناس ، كان الداعى الى الشكل والنقط أشد من الداعى الى التجريد . لذلك حدث الشكل والنقط .

ثانيا : نعم الاجماع الفاسد لا حجة فيه على أحد ، ولكن من قال ان اجماع المسلمين على رسم المصحف اجماع فاسد !!؟ أعتقد أنه ليس

هناك أحد من المسلمين قال بذلك غير ذلك المستغرب ، وهو - والحمد لله - ليس بمجتهد حتى يعتد برأيه ، وليس بمصلح - كما يدعى - اذ لو تبين وجه الاصلاح الذى يدعيه لأعضاء مجمع اللغة العربية ، لوافقوه عليه ، لكنه لم يوافقه أحد منهم عليه ، ولم يستطع أن يقنع احدا منهم ، أو من غيرهم ، بما يريده من اصلاح (٢٢) .

ثالثا : ياترى من هم هؤلاء الناس (الأجمعون) الذين يشكون

من سوء رسم العربية !!؟

والعربية برسمها - ككل اللغات - لها علاقتها الوشيحة بنفسية الأمة الناطقة بها ، ولها أثرها الواضح فى تكوين شخصيتها ، ولها شأنها الجليل فى اجتماعيات هذه الأمة ، فهى - على مدى الزمن - وعاء تاريخها ، وأمجادها ، وتقاليدها وشماثلها ، وفضائلها ، وتراثها الفكرى ، والشعورى ، والأخلاقى ، والاجتماعى . وهى المستودع الذى - عنده - يطلب أفراد الأمة الالفاظ والتعابير التى هى أداة الفكر (٢٣) .

أعتقد أنه لم يكن هناك من أحد يشكو من سوء رسم العربية الا هذا المستغرب وأمثاله الذين يريدون صرف المسلمين عن لغة القرآن الى اللهجات العامية المتغايرة أو الى الحروف اللاتينية ، ولا عليهم أن يبقى القرآن بلغته الفصيحة تقرؤه - بفهم قليل أو كثير - قلة متخصصة ، ويقرؤه فى - مثقة وبغير فهم - باقى المسلمين ، كما هو الشأن فى القبطية فى كنائس الأرثوذكس ، أو اللاتينية فى الكنائس الكاثوليكية (٢٤) .

(٢٢) راجع رسم المصحف : ص ١٩٩ بتصريف .
(٢٣) الجمع الصوتى الأول : ص ٣٧٧ .
(٢٤) الجمع الصوتى الأول : ص ٣٧٨ .

ومن المؤسف له أن المسلمين فى كثير من البلاد لا يفتنون الى هذا الخطر المحقق بشخصيتهم ، والممزق لوحدهم ، والذي سيياعد - وشيكا - بينهم وبين ماضيهم الزاخر المشرف ، فيؤثرون الأسهل ، ويعلمون أبناءهم لغتهم العامية الخاصة . والخير كل الخير لو كانت العربية الفصيحة التى نزل بها القرآن هى لغة التعليم ، ومحل هذا الجهد .

وأما عن جوابه الثانى فنقول :

أولا : ليس الاعتراض بالاجماع - كما يزعم ذلك المستغرب - تكأة العاجزين ، ولكنه اعتراض الأمناء الأقوياء الواقفين ، الصارع لمثل هذا الاقتراح ، وليس - أيضا - من يدافعون ضد هذا الاقتراح بوصفون بأنهم غلف العقول مقلدون .

وانما من لا يفهم الاجماع على حقيقته - كما هو واضح فى كلام ذلك المستغرب - فهم فى الحقيقة الذين يوصفون بأنهم غلف العقول مقلدون لاسيادهم من مروجى النصرانية ، ودعاة اللحاد .

ثانيا : من الذى قال ان الدين لا شأن له برسم كتابة العربية

غير ذلك المستغرب !!؟

يقول الله تعالى : « انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (٢٥) ويقول : « وكذلك انزلناه حكما عربيا » (٢٦) ، ويقول تعالى : « وانه لتنزىل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » (٢٧) ، ويقول تعالى : « قرآنا

(٢٥) سورة يوسف آية : ٢ .

(٢٦) سورة الرعد آية : ٣٧ .

(٢٧) سورة الشعراء الآيات : ١٩٢ - ١٩٥ .

عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون» (٢٨) ، ويقول : « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » (٢٩) ، ويقول : « وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها » (٣٠) .

فهذه الآيات وغيرها تصرح بأن القرآن عربى نزل باللغة العربية ، لأنها أفصح اللغات وأبينها وأوسعها ، وأكثرها تأدية للمعاني التى تقوم بها النفوس (٣١) .

ويقول القرطبي : عند تفسير قوله تعالى : (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) - وكما أنزل الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك أنزل اليك القرآن حكما عربيا ، أى بلسان العرب ، ويريد ما فيه من الاحكام (٣٢) .

وحكى شيخ الاسلام ابن تيمية عن الامام أبى يوسف - عليهما رحمة الله تعالى - كراهة التكلم بغير العربية لمن يحسنها من غير حاجة (٣٣) .

ومع كل هذه الأدلة وغيرها يقول ذلك المستغرب ان الدين لا شأن له برسم كتابة العربية يريد بذلك أن يفصل الأمة عن لغتها التى يقول عنها الثعالبي : « انها أداة العلم ، ومفتاح التفقه فى الدين ، وسبب صلاح المعاش ، ثم هى - لاحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة ،

(٢٨) سورة الزمر آية : ٢٨ .

(٢٩) سورة فصلت آية : ٣ .

(٣٠) سورة الشورى آية : ٧ .

(٣١) تفسير ابن كثير : ٢٩٤/٤ .

(٣٢) الجامع لأحكام القرآن : ص ٣٥٥٥ .

(٣٣) روح المعاني للالكوسى : ١٧٣/١٢ .

وسائر أنواع المناقب - كالينبوع للماء ، والزند للنار « (٣٤) ، وهى
- عند المسلمين - السبيل الى قوة اليقين فى معرفة اعجاز القرآن ،
وزيادة البصيرة فى اثبات النبوة الذى هو عمدة الايمان « (٣٥) .

والمسلمون يعتقدون أن اللغة العربية لسان الله يوم القيامة (٣٦) ،
ولذلك كان تعلمها وتعليمها - عندهم - من الديانة .

وأخرج الطبرانى ، والحاكم ، والبيهقى ، وآخرون عن ابن عباس
قال : قال رسول الله ﷺ : « أحبوا العرب لثلاث : لانى عربى ،
والقرآن عربى ، وكلام أهل الجنة عربى » (٣٧) .

وأخرج أبو عبيد فى فضائله عن عمر بن الخطاب - رضى الله
تعالى عنه - أنه قال : « تعلموا اللحن والفرائض والسنن كما تعلمون
القرآن فإنه من دينكم » (٣٨) قال يزيد بن هرون : (اللحن هو اللغة)
ولا خفاء أنها أمتن اللغات ، وأوضحها بيانا ، وأزلقها لسانا ،
وأمدها رواقا - بضم التراء - وأعذبها مذاقا ، ومن ثم اختارها الله تعالى
لأشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وخيرته من خلقه ، وصفوته من
بريته ، وجعلها لغة أهل سمائه ، وسكان جنته ، وأنزل بها كتابه
المبين « (٣٩) .

(٣٥، ٣٤) فقه اللغة : ص ٣ ، د . على عبد الواحد وافى . الطبعة
الثالثة ، لجنة البيان العربى .

(٣٦) انظر : مقدمة متن الأجرمية لابن أجروم . طبعة : المطبعة الميمنية
- القاهرة .

(٣٧) روح المعانى : ١٢ / ١٧٣ .

(٣٨) الاتقان فى علوم القرآن : ١ / ٢٣٢ .

(٣٩) صبح الأعشى للقلقشندي : ١ / ١٤٨ ، شرح وتحقيق : محمد حسين ،
طبعة مكتبة الأدب - القاهرة .

ثالثا : من المعلوم لكل ذى عقل أن الاجماع لا يعطل مصلحة من مصالح المسلمين ، ولا تتكشف ظروف الأحوال - كما يزعم - عن ضرره بالجموع بعد انعقاده ، لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة - كما أخبر الرسول ﷺ - بل تجتمع على ما فيه الخير والرشد للجميع ، وما فيه خير باجماع كل الناس فى كل الأحوال والأزمان ، لا يعقل - بحال - أن يعطل مصلحة من مصالح المسلمين ، ولا أن يلحق الضرر بهم اللهم الا اذا كان ضرر هذا الخير سيعوق تحقيق الاقتراح بكتابة القرآن واللغة العربية (بالحروف اللاتينية) .

رابعا : وأما قوله : فان واجب الحاكم الشرعى أن يأمر باطراح الاجماع ، واستبداله بما يحقق مصلحة الاجماع !!
فنقول : أى حاكم هذا الذى يسميه : (الحاكم الشرعى) الذى يأمر بترك الاجماع ومخالفته !؟

الا يعلم ذلك المستغرب أن الحاكم الشرعى - حقا - لا يمكن له أن يفعل ذلك أبدا ، لأن ذلك يسمى عند علماء الأصول نسخا . اذ من المقرر عندهم : أن الاجماع دليل قطعى ، ولذا فالحكم الثابت به قطعى ، ولا يعقل - بحال - بعد الاجماع وجود قطعى يكون ناسخا له .

لأن الاجماع لا ينسخ الا بقطعى مثله ، وهو اما نص متواتر ، او اجماع ثان ، فأما النص القاطع فيستحيل تأخره عن الاجماع ، لأن الاجماع انما يكون حجة بعد رسول الله ﷺ ، وبعده قد انتهى التنزيل .

كما يستحيل أن يكون الاجماع قد انعقد على خلاف النص القاطع المعروف حين انعقاده ، لأن الأمة معصومة عن الوقوع فى الخطأ ، وبذلك يتبين أن الاجماع ليس محلا للنسخ بنص قاطع .

واما أن يكون النسخ باجماع ثان ، فالجمهور على منعه ، لأن

الاجماع الأول ان كان قديعيا ، لزم خطأ الاجماع الثانى ، لانه جاء مخالفا للدليل القاطع ، وخطأ الاجماع محال (٤٠) .

كما انه من الواضح : أن غير القطعى لا يكون ناسخا له بحال من الأحوال .

وبهذا البيان يستبين لنا أن هذه المزاعم التى أثارها ذلك المستغرب ، ومن على شاكلته ، ما هى الا افتراءات وأكاذيب يحاكى بها أسياده من أهل التنصير ودعاة الالحاد ، والله من ورائهم محيط .

سابعاً : شكل المصحف واعجابه

الشكل : هو ما يدل على عوارض الحرف من حركة وسكون سواء أكان ذلك فى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها .

يقال : شكل الكتاب : اذا قيده بالاعراب ، وأشكل الكتاب : اذا أزال اشكاله والتباسه .

وقال ابن منظور : وشكل الكتاب يشكله شكلا وأشكله ، فهو مشكول اذا قيده بالاعراب ، وأعجمت الكتاب اذا نقطته . ويقال : أشكلت الكتاب بالالف ، كأنك أزلت به عنه الاشكال والالتباس (١) .

ويقال : أعجم الحرف اذا نقطه بالسواد ، كالتاء عليها نقطتان ، وحروف المعجم هى الحروف المقطعة التى يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم (٢) .

(٤٠) أصول الفقه لفضيلة الشيخ محمد الخضرى : ص ٣١٦ .
(٢٠١) راجع لسان العرب لابن منظور : ٢٣١١ ، ٢٨٢٧ ومختار الصحاح للرازى : ص ٣٦٧ ، ٤٤٠ .

فالشكل : خاص ببيان ما يعرض للحرف من حركة أو

سكون .

والاعجام : خاص ببيان ذات الحرف وتمييزه عن غيره .
وقد اتفق المؤرخون على أن العرب في عهدهم الأول لم يكونوا يعرفون الشكل بمعناه الاصطلاحي ، بل كانوا ينطقون بالألفاظ مضبوطة مشكولة بحسب سلبقتهم وفطرتهم العربية من غير لحن ولا غلط ، لما كان متأصلا في نفوسهم من الفصاحة والبلاغة ، واستقامة السننهم على النطق بالألفاظ المؤلفة على حسب الوضع الصحيح من غير حاجة الى معرفة القواعد .

لذلك لما كتب عثمان المصاحف - في العهد الأول - جردها من الشكل والنقط ، اعتمادا على هذه السليقة ، وعلى أن المعول عليه في القرآن هو التلقى والرواية ، فلم يكن بهم حاجة الى الشكل . وأيضا حتى تصلح الكلمة لأن تقرأ بوجوه القراءات الثابتة التي يحتملها الرسم مجردا من النقط والشكل .

ولكنهم اختلفوا في النقط ، فمنهم من يرى أن الاعجام كان معروفا قبل الاسلام لتمييز الحروف المتشابهة ، غير أنه ترك عند كتابة المصحف ما ذكرنا . ومنهم من يرى أن الاعجام لم يعرف الا من طريق أبي الأسود الدؤلى ، ثم اشتهر ووضع في القرآن في عهد عبد الملك بن مروان . والظاهر الأول ، لأنه يبعد جدا أن لا يكون للحروف علامات تميز المتشابهات بعضها عن بعض .

ومهما يكن من شيء فقد اشتدت الحاجة اليه حينما اتسعت رقعت الاسلام ، وجاوز حدود بلاد العرب ، ودخل الناس من

غير العرب في الدين ، وفسدت الفطرة العربية ، ودخل اللحن في الكلام ، وبدأ اللبس والاشكال في قراءة القرآن . حتى قيل : أن زيادا والى البصرة سأل أبا الأسود الدؤلى أن يضع للناس علامات يعرفون بها كتاب الله تعالى ، فاستعفاه من ذلك ، ثم حدث أن أبا الأسود سمع قارئاً يقرأ « أن الله برىء من المشركين ورسوله » بجر اللام في لفظ (ورسوله) عطفاً على المشركين ، بينما هي في الآية مرفوعة في قراءة السبعة على أنها مستأنفة ، أي ورسوله برىء من المشركين كذلك .

أو منصوبة - كما في قراءة يعقوب برواية روح وزيد ، وهى قراءة الحسن . وابن أبى أسحق . وعيسى بن عمرو - عطفاً على اسم (أن) وهو الظاهر (٣) ، أي أن الله ورسوله بريئان من المشركين ، لكن الله تعالى لا يجمع معه غيره في ضمير واحد ، فلذلك فصل بين اللفظين اكتفاء بالعطف .

المهم أن أبا الأسود فزع لهذا اللحن المغير للمعنى - على قراءة الجر - وقال : (عزوجه الله أن يبرأ من رسوله ، وذهب الى والى البصرة ، وقال له : قد أجبته الى ما سألت (٤) .

وقيل : أن أبا الأسود لما سمع ذلك رفع الامر الى على كرم الله تعالى وجهه ، فكان ذلك سبب وضع النحو والله تعالى أعلم (٥) .

(٣) روح المعاني للكلوسى : ٤٧/١٠ ، ومجمع البيان للطبرسى : ١١/١
المجلد الثالث ط . دار مكتبة الحياة .

(٤) فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم : ص ٦٤ .

(٥) روح المعاني : ٤٧/١٠ وقال الكلوسى : ويحكى أن أعرابياً سمع

المهم أن أبا الأسود وضع الشكل أولا ، لأن الحاجة الى معرفة حال الحرف أمس من الحاجة الى الاعجام الذى يميز الحرف من الحرف ، فوضع على الحرف المفتوح نقطة من أوله ، والمضموم نقطة من آخره ، والمكسور نقطة تحت أوله .

ويروى الدانى أن المبتدئ بذلك كان نصر بن عاصم الليثى ، وأنه الذى خمسها وعشرها . ويروى أيضا أن ابن سيرين كان عنده مصحف نقطه يحيى بن يعمر ، وأن يحيى أو لمن نقطها . ثم يقول : (وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعى البصريين ، وأكثر العلماء على أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلى ، وجعل الحركات والتنوين لا غير ، وأن الخليل بن أحمد هو الذى جعل الهمزة والتشديد والروم والاشمام (٦) .

وأما ابن عطية فيرى أن عبد الملك بن مروان هو الذى أمر به (فتجرد لذلك الحجاج - بواسط - وجد فيه ، وزاد تحزيبه ، وأمر وهو والى العراق : الحسن ويحيى بن يعمر بذلك ...) .

وأما وضع الأعراس فيه : فمر بى فى بعض التواريخ أن المأمون العباسى أمر بذلك . وقيل : أن الحجاج فعل ذلك . وذكر أبو عمرو السمرقانى عن قتادة أنه قال : بدعوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا ، وهذا كالابتكار (٧) .

رجلا يقرؤها - أى بالجر - فقال : ان كان الله تعالى بريئا من رسوله ، فأنا منه برىء فليبه الرجل الى عمر - رضى الله تعالى عنه - فحكى الأعرابى قراءته ، فعندها أمر عمر بتعليم العربية .

(٦) راجع المقنع : ص ١٣٣ .

(٧) مقدمة ابن عطية : ٢٧٥ .

وهؤلاء الأربعة (أبو الأسود ، ونصر ، ويحيى ، والحسن) من جلة علماء التابعين ، وقد عاشوا فى النصف الثانى من القرن الاول الهجرى ، ومن هنا يمكننا أن نقول : ان احداث الشكل تبعه احداث النقط مع تقارب فى الزمن . ويمكننا أن نقول فى التوفيق بين الأربعة : أن ابا الأسود هو أول من بدأ على الاطلاق فى شكل المصاحف بطريقة النقط ، فوضع على الحرف المفتوح نقطة من أوله ، والمضموم من آخره ، والمكسور نقطة تحت أوله ، والساكن نقطتين من فوقه . ولكن بطريقة فردية . وأن نصر ابن عاصم الليثى هو الذى زاد على الشكل التخمينى والتعشير (٨) . وأن الحسن ويحيى هما اللذان نشر المصحف على حالته الأخيرة بأمر الوالى ، فأخذ الصفة الرسمية وذاع بين الناس .

قال الزرقانى : ثم طفق الناس ينهجون منهج أبى الأسود ، ثم امتد الزمان بهم فبدعوا يزيدون ويبتكرون ، حتى جعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس ، ولالف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها ، على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة . ودامت الحال على هذا حتى جاء عبد الملك بن مروان ، فرأى بِنافذ بصيرته أن يميز ذوات الحروف من بعضها ، وأن يتخذ سبيله الى ذلك التمييز بالاعجام والنقط ، على نحو ما تقدم تحت العنوان السابق . وهنالك اضطر أن يستبدل بالشكل الاول الذى هو النقط ، شكلا جديدا هو ما نعرفه اليوم من علامات الفتحة والكسرة

(٨) التخمينى : كتابة لفظ خمس عند رأس كل خمس آيات ، والتعشير : كتابة لفظ عشر عند رأس كل عشر آيات ، ومنهم من يكتفى بكتابة حرفى (خ) و (ع) .

والضمة والسكون . الذي اضطره الى هذا الاستبدال ، أنه لو
أبقى العلامات الأولى على ما هي عليه نقطاً ، ثم جاءت هذه الأخرى
- أى أعجم الحروف - نقطاً كذلك لتشابهها واشتبه الأمر . فميز
بين الطائفتين بهذه الطريقة . ونعما فعل (٩) .

ثم جرى تحسينات على هذا النقط والتشكيل كان من أكملها
ما جرى على يد الخليل بن أحمد الفريدي حيث جعل الهمز
والتشديد والروم والاشمام ، حتى أصبحت الآن لها صفة الحاجة
الملحة التي لا غنى عنها ، ولا يكاد يسد مسدها شيء .

تجزئة القرآن وتحزيبه :

لم تقتصر الاضافات الى الرسم العثماني للمصاحف على النقط
والشكل ، بل تعدتها الى اضافات أخرى مثل علامات الأجزاء ،
حيث جزء العلماء القرآن تجزئات شتى ، منها :

التجزئة الى ثلاثين جزءاً ، وأطلقوا على كل واحد منها
اسم الجزء ، بحيث لا يخطر بالبال عند الاطلاق غيره . فاذا
قال قائل قرأت جزءاً من القرآن تبادر للذهن أنه قرأ جزءاً
من الأجزاء الثلاثين . ثم جزؤاً كل واحد من هذه الأجزاء الثلاثين
الى جزئين ، وقد أطلقوا على كل واحد منها اسم الحزب ،
فصارت الأحزاب ستين حزياً ، ثم جزؤاً الحزب الى أربعة
أرباع .

ثم وضعوا علامات المد والوقف ، وأسماء السور ، وترقيم

آياتها ، وبينان المكي والمدنى منها قبل بدء السورة كالعنوان لها ، وغير ذلك مما هو معروف لدى القراء والمعلمين .

هـم نقط المصحف وشكله :

كان العلماء فى الصدر الاول يرون كراهة نقط المصحف وشكله ونحوهما مبالغة منهم فى المحافظة على القرآن من التزويد وكتابته فى المصاحف على هيئة ما كتب بين يدى النبى ﷺ .

فقد أخرج أبو عبيد وغيره عن ابن مسعود قال : جردوا القرآن ولا تخطوه بشيء . وأخرج عن النخعى أنه كره نقط المصاحف . وعنه أيضا أنه أتى بمصحف مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية ، فقال : امح هذا فان ابن مسعود كان يكرهه . وعن ابن سيرين أنه كره النقط والفواتح والخواتم .

وأجاز ذلك الامام مالك للمتعلمين فحسب حيث قال : لا بأس بالنقط فى المصاحف التى تتعلم فيها العلماء ، أما الامهات فلا . وقال الحرى فى غريب الحديث : قول ابن مسعود : (جردوا القرآن) يحتمل وجهين : أحدهما : جردوه فى التلاوة ، ولا تخطوا به غيره .

الثانى : جردوه فى الخط من النقط والتعشير . قال البيهقى : الأبين أنه أراد : لا تخطوا به غيره من الكتب ، لأن ما خلا القرآن من كتب الله انما يؤخذ عن اليهود والنصارى وليسوا بمؤمنين عليها (١٠) .

(١٠) راجع هذه الآثار فى كتاب الاتقان : ٢١٩/٢ ، والمقنع للدانى : ص١٢٣ ، وكتاب المصاحف لابن أبى داود : ص١٣٨ - ١٤٣ .

وأخرج ابن أبي داود عن خالد الحذاء قال : رأيت ابن سيرين يقرأ فى مصحف منقوط . وسئل ربيعة ابن عبد الرحمن عن شكل القرآن فى المصاحف فقال لا بأس به . وكذا سئل الحسن عن المصحف ينقط بالعربية فقال : أو ما بلغك كتاب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن تفقهوا فى الدين وأحسنوا عبارة الرؤيا ، وتعلموا العربية (١١) .

ومن خلال هذه الآثار وغيرها يتبين لنا أن سلفنا الصالح اختلفوا فى حكم نقط المصحف وشكله ، فمنهم من كرهه كابن مسعود وغيره ، ومنهم من أجاز التنقيط وكره التخميم والتعشير ، وأسماء السور وعدد الآيات وغير ذلك ، كالنخعى والحليمى وغيرهما ، ومنهم من أجاز ذلك للمتعلمين ومنعه فى الأمهات كالامام مالك .

ولكن الحال قد تغيرت عما كان عليه الناس فى العهد الأول ، فاضطر المسلمون الى نقط المصحف وشكله ، للمحافظة على القرآن من اللحن والتغيير والتصحيف ، وبعد أن كان العلماء يكرهون ذلك صار واجبا أو مستحبا ، لما هو مقرر فى علم أصول الفقه من أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما .

قال الامام النوى ما نصه : (قال العلماء : ويستحب نقط المصحف وشكله ، فانه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه ، وأما كراهة الشعبى والنخعى النقط ، فانما كرها ذلك فى ذلك الزمان خوفا



من التغيير فيه ، وقد أمن ذلك اليوم ، فلا منع ، ولا يمتنع من ذلك لكونه محدثا ، فإنه من المحدثات الحسنة ، فلا يمنع منه كمنظائره ، كتصنيف العلم ، وبناء المدارس والزيارات وغير ذلك والله أعلم (١٢) .

وقال الدانى : « والناس فى جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين الى وقتنا هذا على الترخيص فى ذلك فى الأمهات وغيرها ، ولا يرون بأسا برسم فواتح السور وعدد آياتها ، ورسم الخموس والعشور فى مواضعها ، والخطأ مرتفع عن اجماعهم (١٣) . »

احترام المصحف وتقديسه

ليس فيما نرى ونسمع كتاب أحيط بهالة من الاجلال والتقديس ، كالقرآن الكريم . حتى لقد وصفه الحق جل شأنه كتاب مكنون ، وحكم بأنه لا يمسه الا المطهرون ، وأقسم على ذلك ، حيث قال تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العلمين » (١٤) .

ولذلك كان من اجلال القرآن وتعظيمه عدم اباحة كتابته على الجدران سواء كانت جدران مساجد ، أم جدران منازل ، أم غير ذلك .

أما جدران المساجد فقد اتفق الأئمة على كراهة كتابة شئ من القرآن عليها . حيث قال المالكية : (ان كانت الكتابة فى

(١٢) التبيين فى آداب جملة القرآن : ص ٩٨ .

(١٣) المفتح : ص ١٣٣ .

(١٤) سورة الواقعة آيات : ٧٥ - ٨٠ .

القبلة كرهت ، لأنها تشغل المصلى سواء كان المكتوب قرأنا أو غيره ، ولا تكره فيما عدا ذلك .

وقال الشافعية : (يكره كتابة شيء من القرآن على جدران المسجد وسقوفه ، ويحرم الاستناد لما كتب فيه من القرآن ، بأن يجعله خلف ظهره.) .

وقال الحنابلة : « تكره الكتابة على جدران المسجد وسقوفه ، وان كان فعل ذلك من مال الوقف حرم فعله » .

وقال الحنفية : (لا ينبغي الكتابة على جدران المسجد خوفاً من أن تسقط وتهان بوطء الأقدام) (١٥) .

فهذه أقوال الأئمة ، نجد فيها المالكية يعللون الكراهة بانشغال المصلى ، والحنفية يعللونها بالخوف من سقوط المكتوب ، ثم الاجماع منهم جميعاً بصفة عامة على الكراهة .

وأما جدران المنازل وما شابهها ، فإن علة الكراهة قائمة بسبب عدم التحرز من تطاير النجاسات ، أو عبث الصبيان . فقد قال القرطبي : ومن حرّمته - أي القرآن - ألا يكتب على حائط كما يفعل بهذه المساجد المحدثة . . ثم روى عن محمد ابن الزبير قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يحدث قال : مر رسول الله - ﷺ - بكتاب في أرض . فقال لشاب من هذيل : (ما هذا ؟) قال من كتاب الله كتبه يهودي ، فقال : لعن الله من فعل هذا . . لا نضعوا كتاب الله الا موضعه) . وقال

(١٥) الفقه على المذاهب الأربعة (قسم العبادات) ص ٢٤٥ . طبعة وزارة الأوقاف والشئون الاجتماعية . السادسة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

محمد بن الزبير : رأى عمر بن عبد العزيز ابنا له يكتب القرآن
على حائط فضربه (١٦) .

فهذه الرواية - الأخيرة - تبين لو أن كتابة القرآن على
الجدران مباحة لما منع عمر بن عبد العزيز ابنه من الكتابة .
ومن تعظيم القرآن الكريم واجلاله أن لا يصغر (المصحف)
كتابة لدرجة عدم امكان قراءته الا بمشقة شديدة ، ولا يصغر
كلما ، بأن يقال : مصيحف .

فقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رأى مصحفا
صغيرا فى يد رجل ، فقال : من كتبه ؟ قال : أنا . فضربه
بالدرة ، وقال : (عظموا القرآن) . وروى الأعمش عن ابراهيم
عن على رضى الله تعالى عنه قال : (لا يصغر المصحف) (١٧) .
وقال الزركشى : (وتكره كتابته - أى القرآن - فى القطع
الصغير) (١٨) .

قلت وهذا الحكم بالكراهة ينطبق على القرآن الذى يكتب
جميعه فى صفحة واحدة بخط صغير جدا أو غير ذلك .
هذا : والله تعالى أعلى وأعلم . .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .
القاهرة فى يوم الاثنين

١١ من جمادى الأولى الموافق ١٨/١١/١٩٩١ م

المؤلف

الدكتور / السيد اسماعيل على سليمان

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر

اسماء المراجع والمصادر

أولاً :

١ - القرآن الكريم .

ثانياً : مراجع التفسير وعلوم القرآن :

١ - اتحاف فضلا البشر فى القراءات الأربعة عشر ، لأحمد بن محمد بن أحمد الدمياطى المتوفى سنة ١١١٧ هـ طبعة : عبد الحميد أحمد حنفى .

٢ - أسرار عن القرآن ، تأليف : جرجس سال ، تعريب : هاشم العربى - سلسلة الهدايا - طبع النمسا .

٣ - الاعجاز البيانى فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، للدكتور / محمد أحمد يوسف القاسم - الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٤ - البحر المحيط ، لأبى حيان الأندلسى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ . مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٨ هـ .

٥ - البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم - منشورات المكتبة العصرية - بيروت .

٦ - البرهان فى متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرمانى المتوفى بعد سنة ٥٠٠ هـ تحقيق : عبد القادر أحمد عطا تحت عنوان أسرار التكرار فى القرآن - الطبعة الثانية - دار الاعتصام ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

٧ - الاتقان فى علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ ، طبعة مصطفى الحلبي - القاهرة - الرابعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

- ٨ - التبيان فى آداب حملة القرآن ، للنووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ
طبعة مصطفى الحلبي ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٩ - تعليقات على القرآن ، تأليف : خدام الرب - سلسلة الهداية -
العدد الرابع ، طبع النمسا .
- ١٠ - تفسير جزء عم ، للشيخ محمد عبده - طبعة دار الشعب
القاهرة .
- ١١ - تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ
تحقيق : أوتوبرتزل ، مطبعة الدولة ١٩٣٠ م استانبول .
- ١٣ - تيسير الكتابة العربية ، من مطبوعات مجمع اللغة العربية
طبع المطبعة الأميرية ١٩٤٦ م .
- ١٤ - جامع البيان فى تفسير القرآن ، لابن جرير الطبرى المتوفى
سنة ٣١٠ هـ ، طبعة دار الفكر - بيروت .
- ١٥ - الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ ،
طبعة دار الشعب .
- ١٦ - الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم ، للدكتور / لبيب السعيد
الطبعة الثانية - دار المعارف ١٩٧٨ م .
- ١٧ - جواهر البيان فى علوم القرآن ، للدكتور / محمد محمد
ابراهيم العسال ، مطبعة سعيد بدمنهوور ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
- ١٨ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطى المتوفى
سنة ٩١١ هـ ، طبعة دار المعرفة - بيروت .
- ١٩ - رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين ، للدكتور / عبد الحى
الفرماوى ، مطبعة حسان ١٩٧٧ م .

- ٢٠- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ،
للالوسى المتوفى سنة ١٢١٧ هـ ، طبعة مصورة عن طبعة
دار التراث .
- ٢١- علوم القرآن والتفسير ، د. عبد الله شحاتة - طبعة ثانية
١٩٨٣ م دار الاعتصام .
- ٢٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، للنيسابورى المتوفى سنة
٧٢٨ هـ ، طبعة دار الفكر بيروت على حاشية جامع البيان
للطبرى .
- ٢٣- الفتوحات الالهية ، لسليمان بن عمر (الشهير بالجمل) ،
طبعة عيسى الحلبى .
- ٢٤- فصل الخطاب فى سلامة القرآن الكريم ، للاستاذين : د. أحمد
السيد الكومى ، د. محمد أحمد يوسف القاسم - ط. ثانية
عيسى الحلبى ١٩٧٤ م .
- ٢٥- فضائل القرآن ، للحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ،
ط. عيسى الحلبى .
- الفقه على المذاهب الأربعة ، طبعة وزارة الأوقاف والشئون
الاجتماعية - الهيئة العامة للكتاب .
- ٢٦- كتاب السبعة فى القراءات ، لابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤ هـ
تحقيق : د. شوقى ضيف - طبعة ثانية ، دار المعارف
١٩٨٠ م .
- ٢٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوب التأويل ،
لجار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، طبعة مصطفى
محمد - القاهرة ١٣٠٨ هـ .

- ٢٨- مجمع البيان لعلوم القرآن ، لأبى الفضل الطبرسى المتوفى
سنة ٥٤٨ هـ ، طبعة بيروت .
- ٢٩- المحكم فى نقط المصاحف ، لأبى عمر الدانى المتوفى ٤٤٤ هـ
تحقيق : د. عزت حسن - طبع دمشق ١٩٦٠ م .
- ٣٠- مختصر شواذ القرآن ، لابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ،
تحقيق : ج. برجستراسر ، مكتبة المتنبى - القاهرة .
- ٣١- مدارك التنزل وحقائق التأويل ، للنسفى المتوفى سنة ٧٠١ هـ
طبعة عيسى الحلبي - القاهرة .
- ٣٢- المدخل لدراسة القرآن الكريم ، للدكتور / محمد محمد أبو
شهبه .
- ٣٣- مذاهب التفسير الاسلامى ، للمستشرق جولد تسهير ، ترجمة :
دكتور / عبد الحليم النجار ، طبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ
١٩٥٥ م .
- ٣٤- المصاحف لابن أبى داود المتوفى سنة ١٣١٦ هـ ، تحقيق : آرثر
جفرى ، المطبعة الرحمانية ١٣٥٥ هـ ١٩٢٦ م .
- ٣٥- المصحف الشريف ، للشيخ / عبد الفتاح القاضى ، من مطبوعات
المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٨ م .
- ٣٦- المصحف الميسر ، للشيخ / عبد الجليل عيسى - نشر دار القلم
- ٣٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، للأستاذ / محمد فؤاد
عبد الباقي ، مطبعة مؤسسة جمال للنشر - بيروت .
- ٣٨- مفاتيح الغيب - أو التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازى المتوفى
سنة ٦٠٦ هـ ، طبعة العامرة الشرفية ١٣٠٨ هـ .

٣٩- المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الاصفهانى المتوفى ٥٠٢ هـ .
تحقيق : الأستاذ / محمد سيد الكيلانى - طبعة مصطفى الحلبى
١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

٤٠- مقدمتان فى علوم القرآن ، وهما مقدمة كتاب (المبانى فى
نظم المعانى) لمؤلف لم يعرف اسمه كتبه سنة ٤٢٥ هـ ،
والاخرى : لابن عطية المتوفى سنة ٥٤٦ هـ نشر المستشرق
آرثر جفرى ، السنة المحمدية ١٩٥٤ م .

٤١- منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، لابن الجزرى المتوفى سنة
٨٣٣ هـ ، تحقيق : الدكتور / عبد الحى الفرماوى ، دار المطبوعات
الدولية ١٩٧٧ م .

٤٢- المقنع فى رسم مصاحف الامصار ، لآبى عمرو الدانى المتوفى
سنة ٤٤٤ هـ ٤٤ هـ ، تحقيق : أوتوبرتزل ، مطبعة الدولة ١٩٣٢ م
استانبول .

٤٣- مناهل العرقان فى علوم القرآن ، للشيخ / محمد عبد العظيم
الزرقانى ، طبعة عيسى الحلبى - القاهرة .

٤٤- النبأ العظيم ، للدكتور / محمد عبد الله دراز - الطبعة الرابعة
١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م دار القلم .

٤٥- النشر فى القراءات العشر ، لابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ
طبعة دار الكتب العلمية .

ثالثا : مراجع الحديث وشروحه :

٤٦- تحفة الاحوذى بشرح صحيح الترمذى ، للحافظ محمد المباركفورى
المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ ، مطبعة الفجالة الجديدة ١٣٨٧ هـ ،

- ٤٧- الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ،
طبعة مكتبة الدعوة الاسلامية - شباب الأزهر .
- ٤٨- رياض الصالحين ، للنووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، طبعة دار
التراث العربى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .
- ٤٩- سنن أبى داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة
٢٧٥ هـ ، طبعة دار الحديث - حمص - سوريا ، جمع وتعليق:
عزت عيد .
- ٥٠- سنن الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ مطبعة مصطفى الحلبي
١٣٥٦ هـ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر .
- ٥١- سنن ابن ماجة المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، تحقيق : محمد فؤاد
عبد الباقي ، طبعة دار الفكر ١٣٧٢ هـ .
- ٥٢- سنن النسائى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، طبعة دار البشائر
الاسلامية .
- ٥٣- صحيح البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، طبعة دار الشعب
١٣٧٨ هـ .
- ٥٤- صحاح مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، طبعة دار احياء الكتب
العربية ، ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٥٥- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى المتوفى
سنة ٨٥٢ هـ ، طبعة دار الريان للتراث .
- ٥٦- الفتح الربانى على مسند الامام أحمد ، للشيخ أحمد عبد الرحمن
البنامع مختصره بلوغ الامانى ، طبعة ١٣٥٣ هـ - ١٣٧٦ هـ .
- ٥٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمى المتوفى سنة
٨٠٧ هـ ، تحرير العراقي ، وابن حجر ، مكتبة القدس .

٥٨- مختصر الحافظ المنذرى على سنن أبى داود - تهذيب ابن القيم ، تحقيق : الشيخ أحمد شاکر والشيخ محمد حامد الفقى ، طبعة السنة المحمدية ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م .

٥٩- مستدرک الحاكم على الصحيحين ، لحمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالحاكم المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ، مكتبة المطبوعات الاسلامية - حلب .

٦٠- المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للنووى المتوفى ٦٧٦ هـ ، طبعة دار الغد ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م .

٦١- مسند الامام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ ، المكتب الاسلامى للطباعة والنشر ، الرابعة ١٤٠٣ هـ .

رابعا : المراجع عامة :

٦٢- أبجد العلوم الوشى المرقوم فى بيان احوال العلوم ، لصديق ابن حسن القنوجى المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ، وزارة الثقافة والارشاد القومى - دمشق .

٦٣- الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، طبعة بيروت ١٣٢٨ هـ وطبعة السعادة .

٦٤- أصول الفقه ، للشيخ / محمد الخضر حسين ، مطبعة الجمالية - مصر ١٣٢٩ هـ .

٦٥- اظهار الحق - لرحمة الله الهندى طبعة مكتبة الثقافة .

٦٦- اقلام مسمومة تهاجم الاسلام ، للإستاذ على عبد العظيم ، من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٧٧ م .

٦٧- سير اعلام النبلاء ، للذهبي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، طبعة دار المعارف ١٩٥٥ م .

- ٦٨- السيرة النبوية ، لابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، تحقيق :
دكتور محمد فهمى السرجانى ، طبعة دار التوفيقية بالازهر
سنة ١٩٧٨ م .
- ٦٩- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، لأبى أحمد الحسن
ابن عبد الله بن سعيد المتوفى سنة ٣٨٢ هـ ، تحقيق : عبد العزيز
أحمد ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م .
- ٧٠- صبح الأعشا فى صناعة الانشا ، لأبى العباس أحمد بن على
القالقشندى المتوفى سنة ٨٢١ هـ ، شرح وتحقيق : محمد حسين
طبعة مكتبة الأدب - القاهرة .
- ٧١- طبقات القراء ، لابن الجزرى ، نشر المستشرق ج . برجستراسر
١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ م ، مكتبة الخانجى ، والسعادة - بمصر .
- ٧٢- الطبقات الكبرى ، لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ - دار التحرير
للطباعة والنشر .
- ٧٣- فجر الاسلام ، لأحمد أمين ، طبعة مكتبة النهضة المصرية .
- ٧٤- الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم المتوفى سنة
٤٥٦ هـ ، مطبعة مصر ١٣١٧ هـ .
- ٧٥- فقه اللغة ، للدكتور / على عبد الواحد وافى ، لجنة البيان
العربى - الطبعة الثالثة .
- ٧٦- قادة الغرب يقولون : دمروا الاسلام أبيدوا أهله ، للأستاذ
جلال العالم - دار الاعتصام .
- ٧٧- القاموس المحيط ، للفيروز آبادى المتوفى سنة ٨١٧ هـ ، دار
المأمون ، الطبعة الرابعة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م .

- ٧٨- لسان العرب ، لابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ ، طبعة :
دار المعارف .
- ٧٩- اللغة العربية عبر القرون ، للدكتور / محمود فهمى حجازى
سلسلة المكتبة الثقافية العدد ١٩٧ .
- ٨٠- متن الأجرومية ، لابن أجروم - المطبعة اليمينية - القاهرة .
- ٨١- مختار الصحاح ، للامام محمد بن أبى بكر الرازى ، ترتيب :
محمد السيد خاطر ، المطبعة الاميرية - السابعة ١٩٥٣ م .
- ٨٢- مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لطاش كبرى زادة . تحقيق
كامل بكري ، وعبد الوهاب أبو النور - نشر دار الكتب
الحديثة ١٩٦٨ .
- ٨٣- مقدمة ابن خلدون المتوفى سنة ٣٠٨ هـ ، مطبعة الهيئة
المصرية .
- ٨٤- المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتدال ،
للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، وهو مختصر منهاج السنة
لابن تيمية ، تحقيق : محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية
١٣٧٤ هـ .
- ٨٥- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ
مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ .

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٦ - ١	المقدمة
١١٩ - ٧	الفصل الأول : جمع القرآن الكريم
٨	النوع الأول : جمع القرآن بمعنى حفظه فى الصدور
١٥	حفظ القرآن من أصحاب النبى ﷺ
١٧	النوع الثانى : جمع القرآن بمعنى كتابته فى السطور
١٧	أولا : جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ
١٨	كتاب الوحى
٢٠	طريقة الكتابة وأدواتها
٢٢	الباعث على كتابة القرآن فى العهد النبوى
٢٣	لماذا لم يجمع القرآن فى العهد النبوى فى مصحف واحد ؟
٢٥	ثانيا : جمع القرآن فى عهد أبى بكر رضى الله تعالى عنه
٢٦	تنفيذ أبى بكر لفكرة الجمع ومضججه فى ذلك
٢٩	مزايأ زيد بن ثابت
٣٠	منهج أبى بكر فى جمع القرآن
٣٣	مميزات الصحف البكرية وأهم فوائدها
٣٦	القارأ جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله تعالى عنه
٤٠	تنفيذ عثمان لقرار جمع القرآن
٤١	أسماء لجنة جمع المصاحف العثمانية
٤١	منهج عثمان فى كتابة المصحف
٤٦	عدد المصاحف التى كتبها عثمان
٤٨	هل المصاحف العثمانية تشتمل على الأحرف السبعة
٤٩	معنى الأحرف السبعة - والمراد بها

الصفحة	الموضوع
٦٠	مميزات المصاحف العثمانية
٦١	تحريق عثمان للمصاحف والصحف المخالفة
٦٤	مقارنة بين الجمع فى عهده الثلاثة
٦٦	الشبه الواردة حول جمع القرآن
٦٧	المشبهة الأولى والرد عليها
٧٤	الشبه الثانية والرد عليها
٩٠	الشبه الثالثة والرد عليها
٩٢	الشبه الرابعة والرد عليها
٩٤	الشبه الخامسة والرد عليها
٩٧	الشبه السادسة والرد عليها
١٠١	الشبه السابعة والرد عليها
١٠٩	الشبه الثامنة والرد عليها
١٧٦-١٢٠	الفصل الثانى
١٢٠	آيات القرآن الكريم وسوره
١٢٠	أولا : آيات القرآن
١٢٢	طريقة معرفة الاى
١٢٤	عدد آيات القرآن
١٢٥	فوائد معرفة الايات
١٢٦	ترتيب آيات القرآن
١٣٢	ثانيا : سور القرآن
١٣٢	معنى السورة فى اللغة
١٣٣	معنى السورة فى الاصطلاح
١٣٣	معرفة السور توقيفى

الصفحة	الموضوع
١٣٤	الحكمة في تسوير القرآن
١٣٥	عدد سور القرآن
١٣٦	أسماء سور القرآن
١٣٧	هل تسمية السور توقيفية أم اجتهادية
١٤١	أقسام سور القرآن
١٤٢	أقوال العلماء في ترتيب سور القرآن
١٤٢	القائلون بالاجتهاد
١٤٤	القائلون بالتفصيل
١٤٧	القائلون بالتوقيف
١٥٣	توجيه أدلة المخالفين
١٦١	ثالثا : تنكيس القرآن وحكمه
١٦٢	القائلون بالجواز
١٦٤	القائلون بعدم الجواز
١٦٨	رابعا : الشبه الواردة حول ترتيب القرآن
١٦٨	الشبهة الأولى والرد عليها
١٧١	الشبهة الثانية والرد عليها
١٧٢	الشبهة الثالثة والرد عليها
١٧٧	الفصل الثالث
١٧٧	كتابة القرآن ورسمه
١٧٨	أولا : رسم المصحف
١٧٨	ثانيا : قواعد رسم المصحف
١٨٢	ثالثا : حكم الالتزام برسم المصحف
١٨٢	القائلون بالتوقيف وأدلتهم

الصفحة	الموضوع
١٨٥	الأول : الاستدلال بالقرآن الكريم
١٨٧	الثانى : الاستدلال بالسنة
١٨٨	الثالث : الاستدلال بالاجماع
١٩٠	الرابع : الاستدلال باختلاف رسم الكلمة الواحدة
١٩٣	القائلون بالاصطلاح وأدلتهم
١٩٥	مناقشة أدلة القائلين بالاصطلاح
٢٠٠	القائلون بالتفصيل
٢٠٤	رابعاً : فوائد التزام الرسوم العثمانى ومزاياه
٢١٤	خامساً : الشبه الواردة حول رسم المصحف
٢١٤	الشبهة الأولى والرد عليها
٢٢٢	الشبهة الثانية والرد عليها
٢٣١	الشبهة الثالثة والرد عليها
٢٣٣	الشبهة الرابعة والرد عليها
٢٣٩	الشبهة الخامسة والرد عليها
٢٣٩	الشبهة السادسة والرد عليها
٢٤٢	الشبهة السابعة والرد عليها
٢٤٩	الشبهة الثامنة والرد عليها
٢٥١	الشبهة التاسعة والرد عليها
٢٥٢	الشبهة العاشرة والرد عليها
٢٥٤	الشبهة الحادية عشر والرد عليها
٢٦٣	سادساً : مزاعم على التزام الرسم العثمانى

الصفحة	الموضوع
٢٦٦	الزعم الاول
٢٦٦	حول كتابة القرآن بالرسم الاملائي
٢٦٨	الرد على هذا الزعم
	الزعم الثانى
٢٧٩	حول كتابة القرآن بالحروف اللاتينية
٢٨٠	الرد على هذا الزعم
٢٨٣	ادعاء بان رسم المصحف مخيف ، والرد عليه
٢٨٤	ادعاء بان رسم المصحف وثنى ، والرد عليه
٢٨٩	ادعاء بان اجماع المسلمين على رسم المصحف اجماع فاسد
٢٩٠	الرد على هذا الادعاء ، وبيان بطلانه
٢٩٦	سابعاً : شكل المصحف واعجابه
٣٠١	تجزئة القرآن
٣٠٢	حكم نقط المصحف
٣٠٤	احترام المصحف وتقديسه
٣٠٧	فهرس المراجع
٣١٦	فهرس الكتاب

رقم الايداع : ٩٢٤٦ / ٢٧ / ١١ / ١٩٩١ م

مطبعة الحسين الاسلامية
٢٥ حارة المدرسة - خلف جامع الأزهر
ت : ٩١٩٢٢٤